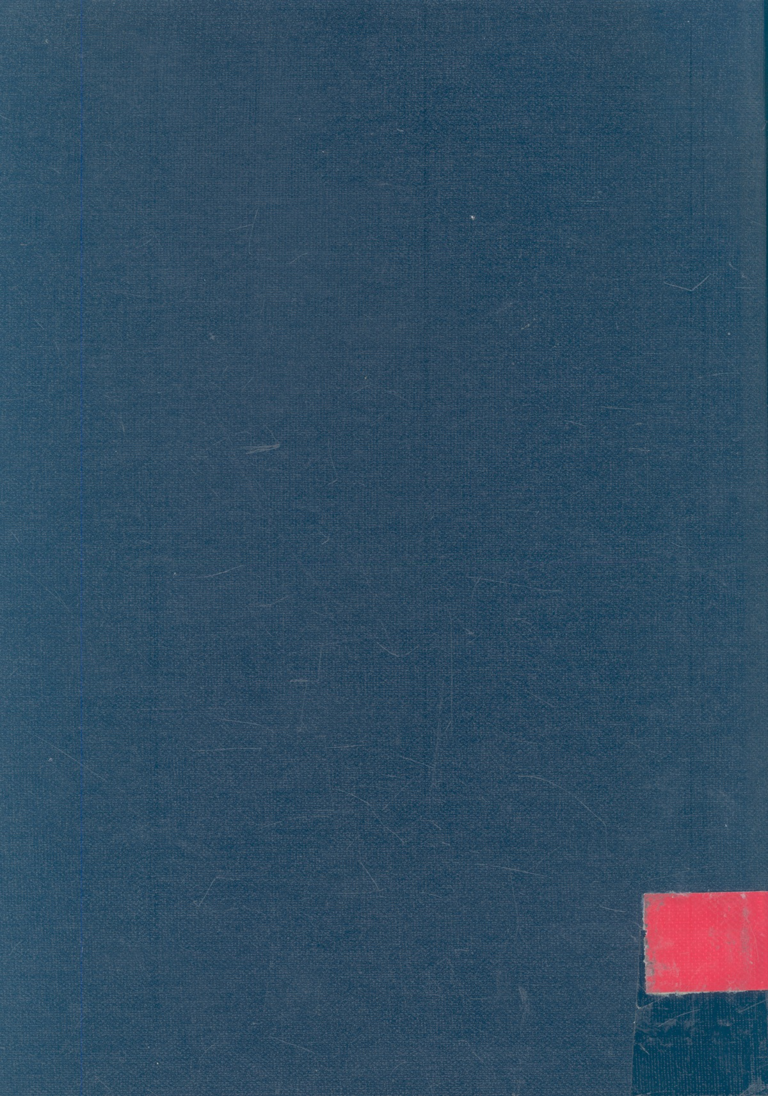




في منتخبات

السيد عبد الله النديم

جمع شقيقه عبد الفتاح نديم

الجزء الأول

طبع على نفقة امين هندية

الطبعة الثانية

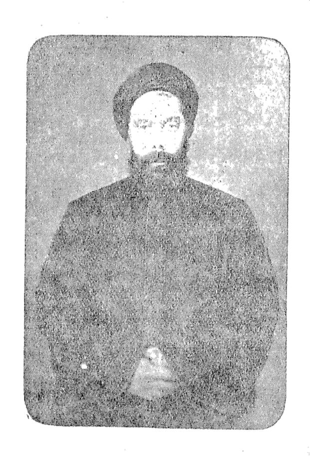
مطبعة هندية بمصر

سنة ١٣٣٢ — ١٩١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أفصحت آياته عن بديع حكمته * ودلت آلاؤه على عظيم نعمته * فنطق بحمده لسان الوجود * واعترف بفضله كل موجود * وصلى الله على سيدنا محمد خير من أدب وعلم * وعلى آله وصحبه وسلم * وبعد فهذا ما تيسر جمعه بعد بذل الجهد وطول العناء وتكبد المشاق من منتخبات فقيد العلم والوطن السيد عبد الله النديم وهو وان كان ليس بالشيء القليل الا انه كنقطة من بحر في جانب ما جادت به أفكاره السامية من الاشعار البليغة والرسائل الادبية البديعة مما لعبت بأكثره أيدي الضياع كما يعلم ذلك من ترجمة حياته المدونة في صدر هذا الكتاب وقد اعتنيت بجمع هذه المنتخبات ودعوتها «سلافة النديم» تخليداً لذكر الفقيد وان كانت أعماله العظيمة قد تكفلت له بذلك واعترافا بما له من الفضل والمنة

وتنقسم هذه المجموعة الى خمسة أقسام القسم الاول منتخبات الرسائل الادبية والثاني منتخبات «التنكيت والتبكيت» والثالث منتخبات «الاستاذ» والرابع منتخبات علمية والخامس منتخبات متفرقة وبالله التوفيق ومنه الاعانة



ترجمة فقيد مصر السيد عبد الله النديم

بقلم صديقه الكاتب الشهير أحمد أفندي سمير

هو الاديب الكاتب الشاعر الناثر الخطيب السياسي المشهور عبد الله بن مصباح بن ابراهيم و ينتهي نسبه الى ادريس الاكبر من أسباط الحسن بن علي بن أبي طالب . ولد رحمه الله بالاسكندرية سنة احدى وستين ومائتين وألف من التاريخ الهجرى (= ١٨٤٣) فحفظ القرآن الكريم وأتمه قبل ان يبلغ التاسعة من عمره وكان أبوه وسطاً في اليسار غاية في مكارم الاخلاق فلما رأى مخايل النجابة بادية عليه أدخله المدرسة الدينية الكبرى الشهيرة باسم «جامع الشيخ ابراهيم باشا» فحضر دروس أكابر الاشياخ كالشيخ محمد نجاد شيخ الشافعية بالاسكندرية اذ ذاك والشيخ ابراهيم السرسي والشيخ ابراهيم الشافعي والشيخ خفاجة والشيخ محمد العشري و به انتفع وعليه تخرج فأتقن فقه الشافعي والاصول والمنطق

وعلوم الادب اللسانية وبلغ منها ما لم يبلغه أحد قبله وذلك كله وهو في سن المراهقة .
وحينئذ بزغت شمس حياته الادبية من آفاق الفضل فأخذ يقول الشعر الرقيق والنثر المسجوع المحكم هبة من الله لا نقلاً عن أحد فما لبث ان سارت الامثال ببدائع آدابه وتسابق بلغاء الكتاب والشعراء الى مطارحته بألسنة الترسل . وكانت الكتابة الى ذلك العهد قاصرة على السجع لا يعرف أحد من الادباء غيره حتى في المحررات العامة تقليداً للاعاجم الذين لو تأمل العربي لجزع حسرة وأسفا على ان لغته لم تصل اليه الا بواسطة أولئك القوم اذ اضطرتهم بلاغة القرآن الكريم لاتقانها درسا وبحثا وتأليفا فوضعوا فيها ما وضعوا من الكتب التي لا زالت تشهد بفضلهم على تعاقب الاجيال فخلف من بعدهم خلف مشوا وراءهم خطوة خطوة متابعين لهم في الاسجاع وما وضعوا من المحسنات البديعة وكانت نتيجة ذلك ان بقيت الكتابة العربية أكثر من عشرة قرون على حالها الاولى يجارى فيها الخلف السلف حتى كانت كانها ضرب من الالغاز أو الطلاسم لا يصل اليها الا من صرف نفيس عمره في حفظ المقامات المسجوعة والرسائل المنمقة بالتجانيس والالفاظ المترادفة الا من عصم ربك وقليل ما هم

فلما انتظم المترجم في عقد أهليها جاراهم اولا في طريقتهم ثم ما لبث ان برز عليهم وزاد بابتكار أساليب جديدة في الانشاء فاق فيها المتقدمين وأعجز المتأخرين ان يلحقوا له في مضمارها غباراً تشهد بذلك رسائله الادبية ومؤلفاته التي تبلغ نحو مائة مؤلف في فنون مختلفة فقد أكثرها سرقة او اغتصاباً او رميا في مياه النيل على ما ستحققه في غير هذا المكان

ولقد بدت على المترجم مذ ترعرع دلائل الجرأة والاقدام وركوب الاخطار والاهوال ومعاناة الشدائد والخطوب سعياً وراء المعالي وحباً للظهور الحق في عالم المشاهير من الرجال وقد رأى ان ذلك لا ينال عفوا ومن خطب الحسناء لم يغله المهر . فكان أول ما بدأ به من تلك المطالب المعجزة ان نظر في الوجود نظرة باحث مدقق فتبين ان الاشتغال بالعلم ربما عاقه عن بلوغ مقصده فتظاهر بترك المظهر العلمي وطلب تعلم صناعة التلغراف ليقف بواسطتها على أسرار الامم في مخابراتها والممالك في سياساتها حتى يتيسر له المقابلة بين أحوال بلاده وغيرها من الممالك البعيدة لعله يقدر على اصلاح الفاسد وتقويم المعوج . ولم يكن للجرائد

اليومية اذ ذاك وجود فدفعته قوة ذكائه الفطري البالغ حد الاعجاز الى تعلم تلك الصناعة بخصوصها فأتقنها في أقل مما يتصور من الزمن كأن الكهرباء لم توجد الا لتكون مزاحمة لخاطره في السرعة فلم يمض عليه بضعة أسابيع حتى استخدم تلغرافياً (= او تلغرافجيا) في مكاتب مختلفة أهمها مكتب تلغراف القصر العالي الخاص على عهد عزيز مصر المغفور له اسماعيل باشا الخديو الاسبق

ومع ذلك لم تكن وفرة الاعمال عائقة له عن التحصيل اذ كان ينتظر نوبة فراغه من العمل فيمضي الى الجامع الازهر ويطالع مع بعض رفاق شبيبته الدروس التي كانوا يشتغلون بها . وأخص من بين هؤلاء الرفاق امام البلغاء وحجة اللغويين في هذا العصر المولى الفاضل السيد السند الثبت الحجة الثقة صديقنا العلامة الشيخ حمزة فتح الله المفتش الاول للغة العربية بنظارة المعارف المصرية حالاً فلقد أخبرني المترجم انهما كانا تربين لا يفترقان لدى المطالعة كانما هي جذيمة وهما النديمان

ثم طرأ من الحوادث التي لا يخلو من مثلها وقت ما أوجب انفصاله عن الخدمة فاتصل بكثير من المقربين والعظماء كالمغفور له شاهين باشا كنج وغيره من وجوه القطر وأعيانه فكانت له لديهم مجالس مشهودة حضرها أفاضل الشعراء والمنشئين وناظروه وطارحوه في أساليب متنوعة وفنون متعددة من النظم والنثر فظفر بهم جميعا حتى كانوا لديه كالراعي لدى جرير او كالخوارزمي امام بديع الزمان فاعترفوا له بالسبق وهم ما بين طائع وكاره

اذكر له من ذلك انه حضر اجتماعاً حافلاً لدى شاهين باشا تحامل عليه فيه كل القوم فاقترح بعضهم عليه انشاء قصيدة يعارض بها دالية المتنبي المشهورة التي مطلعها

أقل فعالي بله أكثره مجد * وذا الجد فيه نلت او لم أنل جدّ

وقال انه لا يتأتى لشاعر ان يعارض قوله في هذه القصيدة

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى * عدوّا له ما من صداقته بدّ

فغضب المترجم وأمسك القلم وانشأ قصيدته الدالية التي اولها

سيوف الثنا تبدا ومقولي الغمد * ومن سار في نصري تكفله الحمد

الى ان قال معارضاً ذلك البيت الذي ظنه المتعنت معجزاً

ومن عجب الايام شهم أخو حجا * يعارضه غمر ويفحمه وغد

ومن غرر الاخلاق ان تهدر الدما * لتحفظ اعراض تكفلها المجد

وأردفها بخمسة أبيات على شاكلتهما ولكن لم يبق غيرهما في محفوظي لاني انما سمعتها منه سماعا سنة احدى وثمانين وثمانمائة وألف فأفحم المعارض وأبلس ولم يدر كيف يقول

ومن غرائب بداهته ما جرى له في طنطنا مع جماعة المكدين المعروفين « بالادباتية » وهي منشورة في العدد الـ ٤١ من الاستاذ

واعرف له من هذا القبيل أشياء كثيرة لو كنت أعلم اني أنا الذي سأكتب ترجمة حياته لطلبتها منه وحافظت عليها حتى يرى القارئون منها ما لم يكن يخطر لهم على بال

ثم اختار المترجم ان يقصد المنصورة ترويحاً للنفس فمضى اليها ورأى ان التجارة خير رياضة له فأنشأ هنالك متجراً ملأه بكثير من أنواع السلع الغالية فراج سوق بضاعته رواج آدابه ولكن تغلب كرمه الحاتمي على رأس المال والربح ففقدهما جميعاً وكان بيته ومتجره في تلك الاثناء كلاهما كعبة يحج اليها من رجال الادب من استطاع الى الحذق سبيلا فكانوا يتحدثون بمعجز رسائله ومحرراته نظماً ونثراً ولا يزال كثير من بلغائهم يباهي بما يحفظ منها في الاندية والمجتمعات

ولما رأى ان الغربة كربة حبب اليه الرجوع الى مظهر وجوده ودار مولده الاسكندرية فعاد اليها أوائل سنة ١٨٧٩ وهنالك أخذت شمس حياته السياسية تبدو ليستضيء بها الوجود المصري وكان اول سعيه في هذا السبيل ان اجتمع ببعض أصدقائه المخلصين ممن يتحقق فيهم حب البلاد والميل الى اعلاء شأنها بالوسائل الشريفة وهما اثنان من مؤسسي جمعية مصر الفتاة احدهما نائب رئيسها والثاني كاتم اسرارها فتعرف منهما ليلة اجتماعه بهما بالمأسوف عليهما اديب افندي اسحق وسليم افندي النقاش صاحبي جريدتي مصر والتجارة كما تعرف بكثير من اعضاء هذه الجمعية فكان ذلك بدء حياته السياسية وشرع في بث افكاره السامية بما كان ينشره في تينك الجريدتين معزوا الى اقلام محرريهما ثم لما رأى ان جمعية مصر الفتاة (وكانت في بدء شأنها) جمعية سرية يخشى عليها من غوائل الحكومة في ذلك العهد اقنع هذين الصديقين بالانفصال منها فانفصلا وتبعهما كثير من اعضائها ثم ذاكرهما

في انشاء جمعية علنية تسعى فيما يعود على الوطن واهله بالمنفعة الحقيقية فاستصوبا رأيه. ومنذ ذلك العهد شرع في تأليف قلوب اهل الثغر وجمع كلمتهم علماً بان المرء قليل بنفسه كثير باخوانه وقد تم له ما اراد بعد مصاعب هائلة ومشاق لا تحتمل فتألفت الجمعية الخيرية الاسلامية وذلك في أواخر ولاية المغفور له اسماعيل باشا والاستبداد قد بلغ اشده والظلم جاوز حده والقلوب واجفة والافكار مضطربة وقد خرست الالسنة وغلت الايدي الى الاعناق واشتغل كل امرئ بنفسه فأصبح خائفاً يترقب زوال نعمته او نهاية محنته حتى دنت ساعة الفرج فلم تشعر الامة المصرية الا بالعزيز الكريم المرحوم محمد توفيق باشا جالساً على سرير الملك فقرت العيون وهدأت الافكار فقام المترجم يثبت دعائم دعوته ويبث في الاذهان فوائد الاجتماع بلسان طلق وعبارة هي السكر لولا انها تذيب ولا تذوب فبرزت الجمعية الخيرية بمساعيه في ثوب الائتلاف وتسارع اعيان الثغر ووجهاؤه للانتظام في سلكها عن طيب خاطر وسرور نفس وكانت هي اول جمعية اسلامية اسست في القطر المصري من لدن عام الفتح الى الآن

ولم يكن لها مقصد سياسي قط وانما كانت ترمي الى غرض واحد شريف وهو تربية الناشئة وبث روح المعارف فيهم لترقية افكارهم وتطهير اخلاقهم من دنس الجهالة التي ليس للامم داء سواها على ما أوضحه المترجم في خطابه الطنان الرنان الذي القاه يوم الاحتفال بافتتاح تلك الجمعية ولم يزل صداه في الآذان والاذهان مسموعاً محفوظاً

انشأت هذه الجمعية مدرستها العظيمة لتعليم الايتام وابناء الفقراء مجاناً فسعى المترجم جهده حتى اكسبها عناية امير البلاد فجعلها تحت رآسة ولي عهده ووريث تاجه اذ ذاك وهو خديوينا الحالي اطال الله عمره فكان ذلك ادعى لنشاط رجالها وزيادة اهتمامهم فوسعوا دائرة المدرسة واستحضروا لها فضلاء المعلمين من العرب والافرنج وأقاموا المترجم مديراً لها فوضع لها أساساً (= پروغراماً) محكماً واخذ على عهدته تعليم الانشاء وعلوم الادب فنمت وعظمت وبلغ عدد الطلاب بها اكثر من ثلثمائة طالب في زمن وجيز ورتبت لها نظارة المعارف ٢٥٠ جنيه في كل عام

فلما رأى المترجم ان غرسه قد كاد يثمر استرحم المغفور له الخديو السابق ان ينعم على

الجمعية بالمدرسة البحرية لاتساعها وجودة موقعها فاجابه الى ما طلب

ولقد بلغت هذه المدرسة من الشهرة وبعد الصيت على قصر المدة ما لم يبلغه غيرها في ازمان وحضر المرحوم توفيق باشا مرة امتحانها العامّ في يوم مشهود كان يسأل فيه رحمه الله بعض التلامذة بنفسه فسر من اجابتهم ونجابتهم سروراً بدت على أسرّة وجهه لوائحه. فاغتنم المترجم هذه الفرصة واستعطف مقامه الكريم ان يضيف الى مننه القديمة منة أخرى وهي السماح بزيارة صاحب السمو الملكي ولي العهد (أميرنا الآن) ودولة شقيقه المدرسة تنشيطاً للطلبة وتكرمة لرجال الجمعيـة فتفضل بالقبول فما لبث ان حضر الاميران تتقدمهما المهابة ويحف بهما الوقار فجلسا في مجلس خاص مزين بالاعلام وبدائع الزهور وتقدم نفر من نجباء التلامذة فوقفوا بين أيديهما والقوا ثمـانية وعشرين مقالاً مختصراً نظماً ونثراً اغلبها من انشاء المترجم ثم انصرف الاميران في ابهة ملكهما مودعين بالابصار والقلوب فزادت بذلك المدرسة شهرة على شهرتها التي اوصلها المترجم اليها بمـا كان يعوّد التلامذة عليه من الخطب والمقالات المؤثرة في النفوس فيعقد لذلك حفلات عامة في بهرة المدرسة يحضرها كبار القوم وسراتهـم فيسمعون المطرب والمغرب منه ومن تلامذته ثم ينصرفون ولا حديث لهم الا تفاهم ما سمعوا من تلك العبارات الآخذة بمجامع القلوب انشاءً والقاءً . وكان مراده بذلك تدريب الناشئة وتمرينهم على أساليب الخطابة والجدل من جهة وبث روح الغـيرة والنخوة في افكارهم من أخرى ليتمكنوا اذا بلغوا مبلغ الرجال من اداء مقاصدهم بلا حياء ولا خجل لان الامة كانت لا تزال في أشد الحاجة الى ذلك بسبب ما قضى به ضغط الحكام السابقين على اذهانها من الجبن والخمول حتى ان اعظم عظيم فيهم كان لا يقدر ان يحدث نفسه في سرير نومه بشيءٍ من دواعي الاصـلاح خوفاً من الطيف ان ينم عليـه كأنمـا كل مصري كان هو المقصود بقول أبي الطيب :

اذا رأى غير شيءٍ ظنه رجلا

ولهذا الغرض بعينـه اختار المترجم ان يمثل بالاسكندرية في الملهى الاكبر (تياترو زيزينيا) حالة البلاد وكيف يكون الوصول الى الشهامـة والمروءة فأنشأ روايتيه المشهورتين باسم «الوطن» و «العرب» ومثلهما هو وتلامذته في ذلك الملهى بحضرة ساكن الجنان الخديو

السابق فكان لهما في نفسه من حسن الوقع ما بعثه على ان يدفع من ماله الخاص مائة جنيه مساعدة للجمعية التي لمدرستها مدير كالمترجم يعرف كيف يتلطف في اداء المقاصد العائدة على الوطن وبنيه بالنفع العام .

غير ان هذه المقدمة جاءت بنتيجة لم تكن في حسبان عاقل اذ ظن جماعة من سفهاء الاحلام ان في شهرة النديم ضياعاً لصيتهم وحطا من كرامتهم فأجمعوا أمرهم وائتمروا على الايقاع به شيمة كل ختال نخور مناع للخير معتد اثيم وقد ساعدهم بعض كبار الحكام في ذلك الوقت وكان هو الرئيس العامل للجمعية فدعا الاعضاء للاجتماع في ليلة استمدت من آراء المنافقين ظلامها وغاب فيها الرشد عن العقول فهمس بعضهم في آذان بعض وظهر ذلك الكبير بمظهر عدوّ ألدّ للنديم فطلب من الجمعية تقرير فصله من ادارة المدرسة والعضوية جميعا وكان المترجم قد أحس بالمكيدة قبيل ذلك بأيام فكتب الى الجمعية كتابا يستعفى به من الادارة والعضوية بعبارة ترقص الالباب طربا ببلاغتها وقوة حجتها فأبرزه الرئيس وتلاه على الجمعية واتخذه من ضمن الأسباب التي ينتقم بها على النديم . وكان الحاضرون تلك الليلة مرغمين على الخضوع لامر الرئيس اذ انه كان من اذناب دولة الاستبداد فأمر باغلاق الابواب وكتب وافضيحتاه كتابا كله هذر وهذيان وضلال وافتراء مبين وتطويل بارد خلاصته ان النديم لا يليق ان يكون عضواً في الجمعية او مديرا لمدرستها — مع انها غرس يديه وكتبوا منه عدة صور ودارت الزبانية على الحاضرين تطلب التوقيع على ذلك الكتاب الذي سموه منشورا . ثم انفض الحفل فمضيت الى المترجم وحدثته بكل ما جرى فلم يتأثر بل قال «لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون»

وقد كان قبل هذه الحادثة بشهور ترك الكتابة الادبية واشتغل بالتحرير السياسي على الاسلوب الحديث بلا سجع ولا تقفية فكان يحرر جريدتي «المحروسة» و «العصر الجديد» اللتين صرح للمأسوف عليه سليم افندي النقاش باصدارهما عقيب الغاء «التجارة ومصر» وابعاد فقيد سوريا أديب أفندي اسحق الى خارج مصر فجاء فيهما بالمعجب والمطرب من غير تكلف قط حتى كان من شاهده لا يظن الا انه ناسخ يرسم ما يحفظه .

وما زال مستمراً على كتابتهما احتساباً الى ان استدعى صاحبهما من بيروت بالكاتبين

الفاضلين سليم افندي عباس وفضل الله افندي الخوري فترك لهما أمر هاتين الجريدتين وأنشأ «التنكيت والتبكيت» وهي جريدة أسبوعية ظاهرها هزل و باطنها جدّ وحقيقتها حكمة وتهذيب فاقتصر عليها وأودعها من الآيات البينات ما لم يسبقه احد من كتاب العرب اليه ولن يقدر غيره على مجاراته فيه

ثم استبدل هذه الجريدة بالطائف على ما قضت به المناسبات الزمانية وذلك قبيل الثورة العرابية وكانت جريدة سياسية محضة بلغت من الشهرة ما لم تبلغه جريدة قبلها وآتاه الله فيها من التأثير على الافكار ما لم يؤت أحداً من العالمين . ثم اغتصبها منه أمراء الجند ولم يدعوا له منها غير الاسم فكانوا يحررون فيها ما يشاؤون دون ان يقدر على رد امر واحد منهم حتى انطفأت جمرة تلك الثورة المشؤومة فاختفى

وهنا يقف قلمي و يضيق صدري ولا ينطلق لساني لو اردت بيان الدواعي الحقيقية التي اضطرته للانضمام الى القائمين بأمر تلك الثورة وكنت اودّ ان يبقى ذلك سراً مكتوما حتى عن نفسي فما كل ما يعلم يقال ولكن ليس من الحزم كتمان أمر مثل هذا من أهم ما تضمنه تاريخ حياته فاسمع ان شئت والا فلك الخيار

كان النديم ميالاً بفطرته الى الظهور في عالم الادباء بمظهر الخادم لابناء وطنه وملته فأخذ يخطب بذلك على ملأ الاشهاد ارتجالا في كل ناد ومحتفل بصوت جهوري ولسان أمضى من الحسام وقلب اجرأ من الاسد . ويعلم الله اني مارأيت عمري اخطب منه على كثرة من سمعت في الشرق والغرب من كبار الخطباء الذين تضرب ببلاغتهم وقوة براهينهم الامثال . فلما ناصبته الجمعية الاسلاميه العداوة وقلبت له ظهر المجن غادر الاسكندرية واتخذ القاهرة دار هجرة ومقام وكان اسمه قد اشتهر وفضله ظهر و بهر فظن ان الهيئة الحاكمة تحفظ له ذلك ولكن ما لبث ان تبين فساد ظنه اذ ان تلك الهيئة تركت ابناء البلاد عموما و بعثت فاستدعت برجل من غير المصريين مبعد الى بلاده فقلدته منصبا خطيرا ثم عرضت على المترجم وظيفة اقل من تلك في الاعتبار المعنوي ولو ان مرتبهما واحد فأبت نفسه الا الاباء حيث تيقن ان في تفضيل غيره عليه بعض التفضيل امتهاناً لقدره فأسرها في نفسه ولم يبدها لهم وصادف ان اخذت نيران الثورة تبدو من خلل الرماد فاصابت منه هوى في الفؤاد

لا حباً في الهيجان ولا شقا لعصا الطاعة ولكن لكونه سمع رجالا تنادي بطلب الاصلاح وتعقد الاجتماعات العلنية لذلك مجاهرة بمقاصدها في أهم الصحف الخبرية المتداولة عربية وغير عربية حتى اتفقت كلمة الباحثين على ان في مصر حزباً وطنيا لا همّ له الا السير بالبلاد في سبيل الحضارة والمدنية وانتشالها من وهدة الخراب التي القاها فيها الحكام السالفون ولم يستطع احد من اهل الشرق والغرب انكار هذا القول البتة. فكانت رسل الحزب العسكري تتردد على المترجم ورؤساؤه يكرمونه ويعظمونه والقوة كلها في قبضة ايمانهم وتحت تصرف سيوفهم وكل ميال للسلم في اعتقادهم عدو للبلاد مبين فما زالوا به حتى انضمّ اليهم رغم ارادته فوسموه بخطيب الحزب الوطني واتخذوا جريدته مجالا لاقلام الكثير منهم ومظهراً لافكارهم ولكنه كان يتأفف سراً من وقوعه في تلك الورطة فاذا خلا بأحد من اخصائه اظهر له حقيقة ما يضمره

سمعته مرة في غرفة نومه حيث لا ثالث بيننا يقول مامعناه ان البلاد قد ضاعت بتهوّر رؤساء الجند الذين خدعونا في مبدأ الحادثة وأوهمونا ان لا خوف من العاقبة ولا فزع فانما هي اقوال تضرب بأقوال وقد اعتاد الاجانب ان يبلغوا منا ما ارادوا بالتهديد والايهام فنحن انما نقابلهم بالمثل والا فهم اعقل بكثير من ان يقصدوا محاربتنا فعلا ولكن وجداني الآن يحدثني بفساد هذه المزاعم فلقد تفاقم الخطب واشتدت النازلة وظني ان الحرب واقعة ولا بد فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انه ليس لنا اليوم الا ان نبقى مسيرين لا مخيرين فقد ملئت الكأس ولا بد من شربها

ولم يمض اكثر من اسبوعين على هذه الحادثة حتى زلزلت الارض زلزالها وهاجت القاهرة وماجت اذ حمل البرق الينا من الاسكندرية أخبار ضرب الانكليز لها في الحادي عشر من شهر يوليو سنة ١٨٨٢ وانتشاب الحرب بينهم وبين عرابي فقام المترجم مع محمود باشا سامي البارودي وغيره من رؤساء الجند المتخلفين الى الاسكندرية فوجدوا الجيش المصري يتأهب لمغادرتها الى كفر الدوار بعد ان صارت معالمها دوارس فباتا (هو وسامي) في منزل المترجم ولحقوا جميعاً بزعيم الثورة فأقام المترجم معه حتى كان ما كان من انتقال الجنود الانكليزية بحراً الى بور سعيد فالاسمعيلية ومحاربتهم المصريين في نفيشة والقصاصين والمحسمة فانتقل

عرابي الى التل الـكبير ومعه المترجم . فلما وقعت تلك الالعوبة المضحكة المبكية المسماة بواقعة التل الكبير فرّ عرابي واخوه وعلي الروبي وتبعهم المترجم وذلك في الخامس عشر من شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ وقت السحر فحضروا الى القاهرة في الساعة الرابعة بعد الظهر وقصدوا في الحال قصر النيل مركز نظارة الحربية اذ ذاك وكنت هناك وقتها فرأيتهم في منظر لايسر فقصدت المترجم واستخبرته الخبر فاخبرني ان الانكليز استولوا على التل الـكبير ولم يزد على ذلك شيئا . ثم ركب ومعه صاحب له عربة وتبعتهما بعدقليل الى بيته فلم اتمكن من رؤيته لاني صادفت بالباب من أخبرني انه لا يريد ان يقابل احدا الا غدا حيث يكون قد ارتاح من تعب السفر فقصدت في المساء بيت عرابي لعلي اقف منه على بعض الشيء فوجدته يتأهب هو وطلبه عصمت لتسليم انفسهما وسلاحهما الى القائد الانكليزي المخيم بالعباسية . وفي تلك الساعة بلغني ان وفدا مؤلفا من المترجم وجماعة من العظماء على عزم المضيّ ذلك المساء الى الاسكندرية يحملون كتاباً من عرابي ورفاقه الى أمير البلاد يتضمن التوبة مما فرط ويعترفون بالعودة للطاعة والخضوع والاذعان

ولما اصبح الصباح بكرت الى دار المترجم فوجدتها مقفرة من ساكنيها امست خلاء وامسى اهلها احتملوا فسألت عن الخبر فقيل لي انه لم يصل الى الاسكندرية وانما عاد من كفر الدوار في الساعة الرابعة بعد نصف الليل ثم اختفى هو ووالده وخادمه ولم اعد بعد تلك الساعة اسمع عنه شيئاً بالمرة مدة عشر سنين متوالية امضيت بعضها في مصر وبعضها في القسطنطينيه واوربا وقد ثبت في ذهني اننا لن نجتمع الا في يوم النشور لما نقل اليّ كثير من الناس انه قبض عليـه عقب اختفائه وقتل في بعض الليالي خنقاً بسجن دمنهور وأكد لي ذلك اعتقادي انه لوكان حياً لراسلني وأنا بعيد عن القطر المصري حيث لاخوف من رقيب.

الا اني تبينت بعد ظهوره اني كنت مخطئاً في اعتقادي فقد سمعت من لفظه انه لما عاد من كفر الدوار خرج هو وأبوه وخادمه الى ساحل بولاق ثم ودعه أبوه بعد ان اوصاه ان يدعو الله كلما وقع في خطر بسرّ رضا والديه عنه واكترى لنفسه سفينة ركبها وأقام فيها مصعداً منحدراً الى ان عفا المولى الخديو عفوه العام فذهب الى الاسكندرية كما كان . اما هو فانه مضى الى صديق له مخلص من اهل بولاق فمكث لديه مستتراً ومعه خادمه نحو عشرة

أيام تمكن في خلالها من استحضار ثوب من الصوف المصري الاحمر المعروف (بالزعبوط) فلبسه وتعمم بعمامة حمراء ووضع على عينيه غطاء وامسك بيده عكازة طويلة وخرج وكانت لحيته قد طالت فارسلها الى صدره حتى صار لا يعرفه أدنى الناس اليه ومشى هو وخادمه ليلاً الى الساحل فوجدا سفينة مقلعة الى بنها فركباها وتظاهر بانه من مشائخ الطرق الريفيين فلما وصلت السفينة الى بنها نزل اليها قوم من رجال التفتيش ليفتشوا عليه بخصوص تخفي عليهم ولم يعرفوه ثم انتقل من تلك السفينة الى أخرى وقصد بليدة يقال لها «ميت الغرقا» (محرف منية الغرقى) فاقام بها دهراً عند رجل من ذوي المكانة ونفوذ الكلمة وكانت الحكومة قد جعلت لمن يدل عليه الف جنيه فتعب كثير من الحمقى في البحث عنه ولكن رجعوا بصفقة المغبون وهو آمن مطمئن يقرأ ذلك في الجريدة الرسمية وغيرها فلا يهتم ولا يضطرب

وقد كان خادمه أميا أجهل من دابة فبكى وانتحب عقيب اختفائهما بايام قلائل وطلب الرجوع الى اهله فخشي المترجم ان يفتضح به امره فجاء بالجريدة الرسمية ونظر فيها فاظهر الجزع والتأسف وضرب كفا بكف فسأله الخادم عن السبب فقال ان الحكومة جعلت لمن يرشد اليّ الف جنيه ولمن اتاها برأسك خمسة آلاف فخاف الخادم واخذ يبالغ في التنكر زيادة عن سيده وكان ذلك سبباً في ملازمته خدمته مدة اختفائه وقد كافأه المترجم احسن مكافأة فعلمه القراءة والكتابة وحفظه جملة سور من القرآن الكريم واقرأه مبادئ التوحيد والفقه ثم زوجه واتخذه صاحباً ورتب له بعد ظهوره ما يكفيه هو واهله

ولما جدت الحكومة في طلبه ولم تصنع شيئاً حكمت عليه بالنفي المؤبد غيابياً فقرأ ذلك في الجرائد وهو غير هياب ولا وكل ولكن الطلب لم ينقطع فاستعان برجل من الاجانب شهم فاشاع هذا ان النديم هرب الى (ليفورنو) من اعمال ايطاليا وقد نقلت هذا الخبر جريدة الاهرام في سنة ١٨٨٣ وعنفت رجال الضبط والربط على اهمالهم تعنيفاً شديداً وحينئذ تحولت الانظار عن البحث عنه في مصر . وبلغ الحنق ببعض كبار الحكام ان بعث مندوباً خاصاً الى ليفورنو ليقتله فذهب وعاد بخفي حنين لم يقطع الا راس مال مرسله ..

ومن الغريب ان المترجم بعد نحو سنة من تاريخ اختفائه عرض على من آواه ان يبعث به الى محل آخر فارسله الى رجل يثق به في بلدة تابعة لمديرية الغربية تسمى (العتوة) ولم

يعض على مفارقته مختفاه الاول بضع ساعات حتى اجلب رجال الحكومة بالخيل والرجل للتفتيش عليه فلم يظفروا منه بطائل

وما مضى على اقامته بتلك البلدة اكثر من سنة حتى قضى رب البيت نحبه فجاءت زوجته باكبر اولادها وهو شاب لم يجاوز الخامسة عشرة من عمره فقالت هذا عبد الله النديم الذي جعلت الحكومة لمن هداها اليه الف جنيه افتريد ان تؤويه وتكرم مثواه كما فعل ابوك ام ترغب في حطام الدنيا فاكون بريئة منك الى يوم الدين فقال حاشا لله ان اخفر ذمامي فسترين اني احافظ عليه محافظتي على عرضي ولن يصل اليه احد بسوء ما دمت حياً فقالت له والدته الكريمة بارك الله فيك من شهم حازم فمكث في جوارهم نحواً من اربع سنين ضيفاً كريماً ثم وشى به بعض اقرباء الرجل لضغائن بينهما فمضى هو ليلاً وصار يضرب في بلاد مديرية الغربية وكلما التي عصا التسيار في مكان اكرمه اهلوه وانزلوه على الرحب والسعة وشدّوا ازره بتزويجه منهم

ولا غرو فقد كان له من حلاوة الملتى و بلاغة القول وذلاقة اللسان ما لا يستغرب في جانبه غريب فتلك خاصة طبيعية فيه جذبت اليه القلوب كما يجذب المغناطيس الحديد فلم يبال احد من اولئك المفضلين بما كان يتهددهم في هذا السبيل الشاق من الحبس او التشريد او غيرهما من انواع العقوبات الحاقة على من أخفى رجلاً تهتم الحكومة بالبحث عنه حتى استقرت به النوى في بلدة تعرف بالجميزة فلم يبرحها الى ان قبض عليه هو وخادمه بسعاية بعض الطامعين غير ان ميعاد المكافأة كان قد انقضى فذهبت مطامع النمام ادراج الرياح

ولم يكن له على احد ممن آواه سابقة فضل ينتظر عليه اجراً او مكافأة وانما هي مكارم اخلاق وطيب عنصر ومحض شهامة خصوا بها فجزاهم الله عن الاحسان خيراً

ولقد كان في اثناء اختفائه كلما انتقل من موضع الى آخر غير زيه واسمه فتارة كان يبخر لحيته بالكبريت الى ان تبيض ثم اذا جاء الليل غسلها ومرة يجعل نفسه مغربياً وهكذا كانما نقل عن ابي زيد السروجي حيله. وقد انتحل تسعة اسماء منها الشيخ يوسف المدني والشيخ محمد الفيومي وسي الحاج علي المغربي وغيرها مما اتى على ذكره في كتاب الاحتفاء في الاختفاء

ومن مدهشات وقائعه اثناء اختفائه انه اجتمع بكثير ممن كانوا يعرفونه حق المعرفة

وحادثهم في شؤون مختلفة وهم لا يظنون الا انه رجل غريب نظراً لتغيير الشكل والصوت واللهجة . اخبرني انه اجتمع بالمرحوم مصطفى باشا صبحي مدير الغربية في ذلك العهد بالكوم الطويل وتكلما طويلاً فقال هذا لولا علمي بان النديم قد مات وانقضت ايامه لقلت انه هو هذا الرجل بعينه ولكن جل من لا شبيه له . وجلس ليلة على افريز (رصيف) محطة طنطا ينتظر القطار القائم الى كفر الزيات وكانت الحكومة قد ارسلت الجواسيس في اكثر البلاد للقبض عليه فلقيه هنالك فريق منهم اشتبهوا في امره وقد عرفهم وهم له منكرون فما زال يحدثهم حتى اعتقدوا انه رجل من الصالحين المقربين فلما جاء القطار اوصلوه اليه وحملوا معه امتعته وظلوا وقوفاً الى ان اوشك القطار ان يتحرك فقبلوا يديه وسألوه الدعاء

وغاية الغايات المأثورة في مكارم الاخلاق انه لما قام من ميت الغرقا قاصداً العتوة صادفه في طريقه احد مأموري المراكز وكان جركسيا ومعه قوة صغيرة من الجند فأمرها ان تسبقه قليلاً ثم لوى عنان فرسه الى الترجم فقال لا ضرورة للتنكر فقد عرفتك وانت النديم فلم يكن له بدّ من الاعتراف بجلية امره فقال له المأمور لا بأس عليك اذهب في دعة الله وحفظه ولا تخف واعلم اني وان كنت جركسي الاصل فاني عربي الكرم ولهذا وهبتك حياتك وتنازلت عن الجعل الذي جعلته الحكومة لمن دل عليك مع احتياجي للقليل كما تنازلت عن كل ما عسى ان اناله بواسطة القبض عليك من الرتب والمناصب لتعلم ان في بقية للكرام . ولكن اياك وهذا الطريق المسلوك فربما صادفك من يقبض عليك فيه فعرج عنه الى جهة اليمين ثم مدّ يده الى جيبه واخرج ثلاثة جنيهات ودفعها اليه وقال والله هذا هو كل ما أملك الساعة فخذه واستعن به على امرك

وكان القبض عليه في شهر نوفمبر سنة ١٨٩١ اواخر ولاية المرحوم توفيق باشا فجيء به الى طنطا مركز مديرية الغربية وهناك حبس اياماً حبساً سياسياً لا جنائياً وسئل عن موجب اختفائه فأوضحه بما لا يخرج عما تقدم فعفا عنه الجناب الخديوي ولكن امر بابعاده الى حيث يشاء من البلاد غير المصرية . فاختار يافا من ثغور فلسطين لانها مدخل بيت المقدس فسافر اليها على احدى البواخر المصرية وشيعه محافظ الاسكندرية اذ ذاك صاحب السعادة عثمان عرفي باشا. ولما ارست السفينة على ساحل يافا نزل اليه بعد ان دفع له ربانها

خمسين جنيهاً كانت الارادة السنية الخديوية قد تعلقت بصرفها له ليستعين بها في غربته .
وكان في استقباله على الشاطئ عدد عديد من العلماء والادباء والاعيان والوجوه فقابلوه بالبشر والترحاب ودعاه رب المجد والكرم والعلم والادب والفضل السيد علي افندي ابو المواهب مفتي ذلك الثغر الباسم للنزول عنده فقبل الدعوة شاكراً وبقي في ضيافته اياماً ثم اتخذ لنفسه داراً خاصة واقام فيها نحو سبعة اشهر فكانت نادياً عاماً يجتمع فيه افاضل القوم وسراتهم للبحث والمذاكرة.وحينئذ اخذ يكاتبني بعد ان انقطعت عني رسائله اكثر من عشرة اعوام

وفي تلك الاثناء كان يتردد على مجلسه للسلام والمحاضرة كثير من كبراء بلاد فلسطين فيسمع من اخبار مواطنهم ما يبعث فيه روح الشوق ويحرك منه ساكن الاماني ابتغاء الوقوف على الحقيقة فعقد النية على السياحة في تلك الاماكن المقدسة ليتعرف مجاهلها فقام على ما نقلت من خطه في الثامن عشر من شهر شعبان سنة ١٣٠٩ (مارس سنة ١٨٩٢) ومعه صديق له من اكابر الشرفاء فوصلا الى جبل الطور المسمى جبل جارزيم حيث شاهدا باعلاه محج السامرة ومن هناك قصدا مقام العزير فزاراه هو وكثيراً من قبور انبياء بني اسرائيل ثم مرا بعدة قرى ووديان مختلفة الى ان بلغا نابلس فلبثا بها في حفاوة واكرام مدة يومين غادراها بعدهما الى سبطية وبها أدّيا حق الزيارة لمشهد سيدنا يحيى الحصور (مار يوحنا المعمدان) ثم عاودا المسير وقصدا طريق الناقورة فلما جاوزاه سارا في طرق صعبة المسالك كلها عقاب وهضاب فكانا يترجلان كثيراً لعدم قدرة الخيل على قطعها وظلا كذلك ترفعهما النجود والثنايا وتخفضهما الاغوار والمنحدرات حتى عادا الى نابلس بعد ان نظرا من غرائب الآثار وبدائع الطبيعة شيئاً كثيراً بينه المترجم في رحلة له صغيرة شرح فيها هذه السياحة شرحاً بديعاً

وقد زار مدينة الخليل وبيت لحم والمسجد الاقصى وعدة أماكن مقدسة كان موضوع التجلة والاكرام في جميعها ولا سيما لدى العلماء والحكام خصوصاً صاحب السعادة والفضل ابراهيم حقي باشا متصرف القدس الشريف

ثم لما خلف مولانا العزيز عباس الثاني والده الابرّ على سرير الملك عفا عن المترجم وذلك في سنة ١٨٩٢ فعاد من يافا الى القاهرة وظل متردداً بينها و بين الاسكندرية اكثر

من شهر ثم اتخذ الاولى موطناً وأنشأ بها مجلته العلمية الادبية التهذيبية الشهيرة باسم «الاستاذ» فجاء فيها من دلائل الاعجاز بما لم يأت به احد من قبله فاخذت من الشهرة العظمى ما لم تأخذه جريدة سواها وأثرت في افكار الامة على اختلاف نحلها تأثيراً كاد يضطر كل قادر على القراءة ان يشترك فيها فبلغ ما يطبع منها اخيراً نحو ثلثة آلاف نسخة مع ان عمرها لم يطل اكثر من عشرة اشهر كأنّ كل عام من اعوام اختفائه يقابل شهراً في مدة ظهوره

ثم ألغيت لأسباب يعلمها كل متدبر خال من الغرض لان العهد بها غير بعيد. وأعقب ذلك ان كلف المترجم بالخروج من مصر فغادرها ثانية الى يافا ودفعت له الحكومة المصرية أربعمائة جنيه يعتد بها لسفره ورتبت له ٢٥ جنيهاً كل شهر على شرط ان لا يكتب شيئا في الجرائد يختص بسياسة مصر فلبث اربعة اشهر في يافا . ثم سعى به بعض ارباب الغواية والتضليل فأبعد منها بارادة سلطانية فرجع الى الاسكندريه وأقام اياماً قابل في خلالها صاحب الدولة الغازي مختار باشا المندوب السلطاني العالي فساعده هذا على المضي الى القسطنطينية فسافر اليها بارادة شاهانية وما كادت تستقر بها قدماه حتى صدرت الارادة السلطانية بتعيينه مفتشا للمطبوعات بالباب العالي وترتيب ٤٥ جنيها مجيديا له كل شهر فكان يتقاضاها هي والمرتب له من الحكومة المصريه ويأبى كرمه الا ان يصرفها جميعها مع ما كانت تجود به عليه المكارم الحميديه من الاحسانات الخاصة في سبل الخيرات والبر بالاهل والاقارب والاصدقاء

وقد نال هناك لدى المقام السلطاني الحظوة الكبرى التي لا تنال وتعرف بكثير من الوزراء وارباب المظاهر العلمية ولكنه اختص بالملازمة والصحبة والمودّة الامام العلامة الخطير فيلسوف الشرق السيد جمال الدين الافغاني فاتصلت بينهما أسباب الالفة وتمكنت منهما روابط الاتحاد حساً ومعنىً فكان لا يصبر أحدهما عن الآخر ولا يطيب له مجلس الا اذا كانا فيه معا . وقد بلغ تعلق السيد جمال الدين به وجميل اعتقاده فيه ان أصبح وأمسى يعجب بقوة حجته في المناظرة والجدل وسرعة بديهته في التحرير حتى صرح في عدة مجالس بأنه ما رأى مثل النديم طول حياته في توقد الذهن وصفاء القريحة وشدة العارضة ووضوح الدليل ووضع الالفاظ وضعا محكما بازاء معانيها ان خطب او كتب

ومن عجائب المقدور ان واشياً وشى به الى السلطان ونسب اليه أمورا كثيرة هو منها براء فكاد الامر يصدر بنفيه الى بعض الولايات البعيدة لولا ان الخبر بلغه وهو في احدى ضواحي القسطنطينيه فكتب الى السلطان تلغرافاً يتبرأ فيه مما اختلقه الواشي وختمه بعبارة حماسيه معناها انك أنت أمير المؤمنين القادر على الانتقام والعقاب بلا معارض أو منازع ولكننا سنقف بين يدي عادل قاهر يقضي بيننا بالحق وهو خير الحاكمين . وكان السلطان يحب الثبات على المبادئ ويميل لكل رجل فيه عزة نفس واباء فأعجبته تلك الشهامه ولذلك عاد فرضي عنه ورجع عن عزيمته ورد الله الذين مكروا بغيظهم لم ينالوا مما أرادوا نصيبا

وقد كان يود الرجوع الى مصر ليقضي بها بقية أيامه شأن كل حر كريم لا يهنأ له عيش الا في ارض نشأته ومعهد اهليه واقربائه ولعل هذه هي الامنيه التي اعجزه نيلها فما كل ما يتمنى المرء يدركه . ولما سافر الجناب العالي الخديوي الى القسطنطينية منذ سنتين شرفه باستدعائه الى سدته الشريفه مراراً وكان يسر بلقائه وما يسمع من لطائف محادثاته فلما ازمع الاوبه الى القطر سار المترجم بامره العالي في منادمته الى مضيق الدردانيل (چناق قلعه) ثم عاد وقد ضن الجناب السلطاني به على مصر فحسده الدهر على مكانته وكانما خاف على نفسه من نفثاته فتنبه له بعد الرقاد واستعان عليه من السل الرئوي بعدو شديد الباس فتاك غطى على أعين الاطباء ثم انقض عليه فأورده حتفه في ليلة الاحد عاشر شهر اكتوبر سنة ١٨٩٦ فمات بموته العلم والادب وحزن عليه من عرفه ومن لم يعرفه وحاشا له ان يكون مجهولا

وعند ما علم سيدنا ومولانا أمير المؤمنين بموته اصدر امره المطاع بالاحتفال بمشهده على نفقة الجيب الشاهاني الخاصه فسار امام نعشه فرقتان من الجيش المظفر وفرقة من الشرطة (البوليس) وتلامذة المكتب السلطاني وعدة من الوجوه والكبراء والعلماء يتقدمهم العلامة السيد جمال الدين الافغاني والمولى الشيخ محمد الظافر شيخ السلطان والشهم الكريم المفضال السيد عبد الرحمن الجزولي (وهو الذي توفى المترجم في بيته اطاعة لاشارة الاطباء) وغيرهم من الفضلاء الذين

خرجوا به ولكل باك خلفه * صعقات موسى يوم دك الطور

وأودع صدف التراب من مقبرة يحيي افندي في باشكطاش در جسمه النضيد

بالامس كان غريباً في ديارهم * واليوم صار غريب اللحد والكفن

وكانت والدته وأخوه لما علما باشتداد العلة عليه قد برحا الاسكندرية الى القسطنطينيه لعلهما يريانه قبل ان يلحق بربه ولكنهما لم يبلغاها الا بعد ان سكن الثرى فليس يعلم الا الله مقدار ما حاق بهما من الهلع الذي تخلع لهوله القلوب وتذوب الانفس حسرات ومع ذلك تجلدا وقصدا بيته عسى ان يجدا فيه من آثاره ما يخفف عنهما ألم المصاب وليتهما لم يفعلا فقد وجدا البيت أفرغ من فؤاد أم موسى لان بطانة المترجم استحوذت على كل ما كان فيه من الفرش والامتعة والاثاث ولم تترك الا الهواء ولو قدرت عليه لأخذته فكان موتا وخراب ديار لان تلك المقتنيات الثمينة كانت مشتراة بمال من الجيب السلطانى الخاص وفق ما قضى به الامر الكريم

ولقد مات المترجم ولم يورث أهله الا الحزن والعناء فقد كان يقبض مرتبه من مصر والقسطنطينية فلا يمضي عليه بضعة ايام حتى يفرغ من توزيعه على الاقارب والاباعد دون ان يسأل عن نفسه مكتفياً بان له اجر المناول

أما اخلاقه فكانت عجباً للناس اذ انه كان أبرّهم بوالديه وذوي قرابته وقصاده ولو لم يكن يعرفهم فما أقرض أحدا شيئا وطالبه به ولا ردّ يوماً سائلا ولا خضع لعظيم قط وانما كان يلين ويتواضع لصغار الناس واوساطهم

وأما خطبه وتأثيرها السريع في الاذهان فيكفيني مؤونة الكلام الطويل فيه اجماع كتاب الجرائد العربيه والاجنبية على تلقينه بخطيب الشرق فهو اول شرقي وقف المواقف الهائلة وخصوصاً قبيل الثورة العرابيه اذ كان يستدعى بالتلغراف الى الاسكندرية وسواها فيرتجل من حرّ القول البليغ القوي القويم الحجة ما يترك الالباب سكارى من غير مدام

حضرت له من ذلك يوما في دار وزارة الداخلية تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخرّ الجبال هدّا اذ اجتمع في بهرة تلك الدار بعد انقطاع المواصلات بين القاهرة والاسكندرية عدد عظيم من سراة المدينة وعظمائها وعلمائها وفيهم رؤساء الملل الاسلاميه والمسيحية والاسرائيليه للمشاورة في أمر الحرب فلما دار الاخذ والرد بينهم قال المرحوم علي مبارك باشا ما الذي يمنع من ان يكون كل ما بلغنا من اخبار الاسكندرية كذبا وزورا

وكانه كان يقصد بذلك التهكم او المغالطة فلم يكد يتم عبارته حتى ابتدره النديم بصوت اجش وقال اذا كانت لا تكفيك شهادة نحو ثلثمائة ألف نسمة من الرجال والنساء والصبيان خرجوا من ذلك الثغر مهاجرين لا يملكون الا أنفسهم هائمين على وجوههم في البلدان والقرى لا يلوي الوالد منهم على ولده ولا الاخ على أخيه كأنهم الى المحشر يساقون فما ذا الذي يكفيك. ثم استمر في خطابته والقوم سكوت كأنما على رؤوسهم الطير حتى كانت النتيجة تعيين وفد من أعضائه المغفور له علي باشا مبارك ليذهبوا الى الاسكندريه فيحققوا الامر بأنفسهم فمضوا اليها واستمروا بها الى ان وضعت الحرب اوزارها

واما الحفظ فاني كنت اعتقد ان ما يروى عن المنصور فيه من باب المبالغة ولكن لما رأيت المترجم يأخذ ما يراد له من الكتب والرسائل فيقرأ فيه عدة صحائف ثم يعطي الكتاب أو الرسالة لبعض من يحضره ويعيد عليه جميع ما قرأ حرفاً بحرف علمت ان كل ما نقل عن المنصور صحيح

ولا تسل عن الكتابة فقد كان فيها امة وحده فلو تدبرت امره من بدئه الى نهايته لرأيت رجلا قال في صباه وشبيبته السجع الادبي والشعر المعجز والزجل العجيب ثم اختار التحرير المرسل في الجرائد ونسك آخر عمره من لدن اختفى وطالع كتب القوم فأنشأ في العقائد والمذاهب شيئا كثيرا وكان لا يدانيه مدان في واحد منها والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

وله من المؤلفات الكبيرة والصغيرة ما يعد بالمئات منها ديوان شعر يشتمل على نحو اربعة آلاف بيت نظمها وشبابه باسم الثغر طلق المحيا ـ وديوان آخر في نحو ثلاثة آلاف بيت ـ وروايتا «الوطن» و«العرب» ـ ورسائل أدبية مسجوعه لم تصل أيدي جامعي السلافة منها الا الى أربع عشرة رسالة بعد السعي الكثير ومكابدة العناء الجزيل . وكان ويكون (وهو الذي طبع بعضه في الاستاذ) ـ وواحد وعشرون كتابا في فنون مختلفة قطع لأجلها ايام حرب الاختفاء رقاب الفراغ بسيوف الاقلام . منها ديوان شعر يحتوى على ما يقارب عشرة آلاف بيت وهو الآن محجور عليه في القسطنطينية مع باقي تلك الكتب التي ينادي لسان حال كل واحد منها

عسى فرج يأتي به الله انه * على فرجي دون الانام قدير

ومنها . النحلة في الرحلة - والاحتفاء في الاختفاء - والشرك في المشترك - وكتاب في المترادفات - وآخر في اللغة سماه موحد الفصول وجامع الاصول - والفرائد في العقائد واللآلئ والدرر في فواتح السور - والبديع في مدح الشفيع - وأمثال العرب ، وغير ذلك مما ينطق بانه هو المجلي في كل فن وسواه السكيت

ولما كان في يافا اول مرة بعث اليّ محرراً يكلفني به ان اطلب ديوان شعره الصغير من صديقه المرحوم عبدالعزيز بك حافظ (والد تلميذنا الابر المغفور له مصطفى أفندي توفيق أحد أساتذة المدارس الاميرية كان) فلما قصدته وجدته مصاباً في قواه العقلية بما لم يدع للطلب مجالاً . ثم كتب اليّ كتابا ثانياً بان ديوانه الاوسط عند م . بك . ف . فطلبته منه فاعتذر بانه ضاع فلما أنبأت المترجم بذلك ارسل اليّ في مكتوبه الثالث انه انما طلبهما ليحرقهما براءة منهما ومن أمثالهما لان فيهما هجوا كثيرا وختم المكتوب بهذه العبارة «قد خلعت تلك الثياب الدنسة ولبست ثوب انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»

وعلى ذكر الشعر وبراعته التي لا تدرك فيه نورد له هنا طرفا يسيرا مما عثرنا عليه صدفة لا قصداً فمن ذلك قوله متغزلاً

سلوه عن الارواح فهي ملاعبه ... وكفوا اذا سل المهند حاجبه
وعودوا اذا نامت اراقم شعره ... وولوا اذا دبت اليكم عقاربه
ولا تذكروا الاشباح بالله عنده ... فلو أتلف الارواح من ذا يطالبه

وقوله

أراه بعيني والدموع تكاتبه ... ويحجب عني والفؤاد يراقبه
فهل حاجة تدني الحبيب لصبه ... سوى زفرة تثني الحشا وتجاذبه
فلا انا ممن يتقيه حبيبه ... ولا أنا ممن بالصدود يعاتبه

الى ان قال

فلو ان طرفي ارسل الدمع مرة ... سفيراً لقلبي ما توالت كتائبه

وقوله مفتخراً

أتحسبنا اذا قلنا بلينا ... بلينا أو يروم القلب لينا

نعم للمجد نقتحم الدواهي　　فيحسب خامل انا دهينا

تناوشنا فنقهرها خطوب　　ترى ليث العرين لها قرينا

سواء حربها والسلم انا　　أناس قبل هدتها هدينا

الى ان قال

اذا ما الدهر صافانا مرضنا　　فان عدنا الى خطب شفينا

صلينا ياخطوب فقد عرفنا　　بانا الصلب صلنا أو صلينا

وقرّي فوق عاتقنا وقولي　　نزلت اليوم أعلى طورسينا

ومنها

ولسنا الساخطين اذا رزينا　　نعم يلقى القضا قلباً رزينا

فانا في عداد الناس قوم　　بما يرضى الاله لنا رضينا

اذا طاش الزمان بنا حلمنا　　ولكنا نهينا ان نهينا

وانا والورى قسمان لكن　　اذا ماتوا بنازلة حيينا

وان شئنا نثرنا القول دراً　　وان شئنا نظمناه ثمينا

وان شئنا سلبنا كل لب　　وان شئنا سحرنا المنشئينا

ومسطرنا يناجي كل حبر　　بما يهوى ويعلي الكاتبينا

سلوا عنا منابرنا فانا　　تركنا في منصتها فطينا

ورثناها عن الآباء بحق　　فان صرنا نورثها البنينا

سرى فينا من الآباء سر　　يسوق البر نحو المعوزينا

فان عشنا منحنا سائلينا　　وان متنا نفحنا الزائرينا

ولضياع أغلب مؤلفاته بواعث شتى منها انه كان اذا سوّد شيئاً جاء اليه من يستعيره منه ثم لا يرده عليه وقد فعل ذلك معه جماعة من اهل القاهرة والاسكندرية والمنصورة . ومنها انه كان مقيماً في بلد من اعمال الدقهلية يقال لها بدواي فبلغه ان فريقاً من اهل البلدة يأتمرون به ليقتلوه فاتخذ الليل جملاً ومضى الى حيث يأمن فلما جاء المؤتمرون ولم يجدوه أحرقوا البيت حنقا فاحترقت كتبه فيه . ومنها انه زمن مقامه بالمنصورة للاتجار غافله

خادمه وسرق بعض متاع البيت ومنه الكتب وهرب . ومنها ان والده رحمه الله هاجر من الاسكندرية الى القاهرة فيمن هاجر يوم الحرب الاخيرة فأحضر معه كتبه جميعها (وكان لي انا أيضاً فيها كتب قيمة) وملأ بها وبباقي أمتعته عربة نقل من عربات السكة الحديدية فلما وصل القطار الى كفر الزيات ازدحم المسافرون من المهاجرين وغيرهم ازدحاماً هائلا فلم يسع رجال المحطة الا ان رموا جميع ما بتلك العربة في النيل ليركب الناس فيها ولم يستطع فيها اعتراض

وان شاء القارئ ان يعلم الباعث على اتصال المودة بيننا حتى عرفت من أمره ما لم يعرفه غيري فذلك اني كنت في أوائل سنة ١٨٨٠ عقيب خروجي من الازهر مدرساً بمدرسة الجمعية الخيرية القبطية بالاسكندرية فجاءها المترجم يوماً زائراً وهناك تعارفنا فمال كلانا لصاحبه وما لبثنا ان تآخينا فتركت المدرسة القبطية وسكنت معه في بيت واحد بعد ان قاسمني التدريس بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية فكان يعلم الانشاء وأنا أدرس علوم اللغة حتى انفصل منها فتبعته ثم جئنا القاهرة معاً وبقينا متلازمين ليلا ونهاراً وسفراً ومقاماً الى ان فرقت الحوادث بيننا نحو احدى عشرة سنة ثم اجتمعنا وكأننا لم نجتمع الا لنفترق فانه

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت لها المنايا الى ارواحنا سبلا

فماذا اقول ام ماذا اكتب في ترجمة رجل طبقت سمعته الآفاق وكان في كل دور من أدوار حياته شغلاً شاغلاً لافكار الباحثين وأقلام السياسيين فان أخبار خطبه وكتاباته السياسية وما تبع ذلك من اختفائه وظهوره والعفو عنه وسفره وايابه الى ان ادركه القضاء المحتوم شغلت كل الجرائد الشرقية والغربية حتى صح ان يتخذ مثلاً للشهرة بدل النار على العلم . فياليت مبدع الصور المتحركة قد تمكن من نقل صورته ليبرزها لرجال المستقبل عنواناً على انه نادرة مصر في هذا العصر ادباً وفضلا

وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

احسن الله عزاء الوطن فيه وانزل على قلب الوجود لفقده الصبر والجلد انه على كل شيء قدير

القسم الاول

منتخبات الرسائل الادبية

(وهي مما أنشأه في أيام صباه)

لواء النصر في أدباء العصر

وهي رسالة أنشأها عند دخوله محروسة مصر للاقامة بها سنة ١٢٧٧ هجرية وكان سنه اذ ذاك ستة عشرة سنة وقد اجتمع بجماعة من الشعراء والمنشئين بواسطة اديب مصر المرحوم الشيخ احمد وهبي وقد تعرف منه بستة من الشعراء علم انهم ادباء العصر على التحقيق فكتب هذه الرسالة في تراجمهم منسوجة على منوال من السجع لا على وتيرة واحدة وهي

الحمد لله مولاه والصلاة على اصل البديع الشفيع وبعد فهذه نتيجه بهيجه عن ناقل الاكياس من الناس روى عن فكره عن لبه عن نظره عن قلبه حديثاً حديثاً الصدق منه والحق عنه والدقة اليه والرقة عليه انه ركب افراسه وثار واستصحب الفراسة وسار يجوب الاقطار اختباراً ويترك الاوطار اختياراً ويقرأ الجرائد اكتشافاً وينظر الخرائد استلطافاً في شرف نفس عن الناس على طرف انس بلا كاس لا ترده المتاعب عن امله ولا تلهيه الملاعب عن عمله حتى ملأ أوعيته حكماً وعاد اندبته حكما وقابل أحباره ببضاعته وقص اخباره على جماعته فغطوا رؤوسهم وناموا ثم قطبوا وجوههم وقاموا سكوتاً لا يتكلمون من الهم ومرضى يتألمون من الذم فتعلق بالاذيال وصاح وتحقق الوبال فناح ونادى بأعلى صوت أيها الكرام هذا هو الموت تقومون بلا كلام مع اني عبدكم في الخدمه وعندي عهدكم في الذمه ما أضعت لكم مالاً ولا اطرت لكم سراً ولا عكست لكم حالا ولا أثرت لكم شراً زودتموني للسفر فجبت وقضيت الوطر وابت بكوا كب دريه كلها غرر وغرائب ادبيه حليها درر حسبما اوصيتموني وقت النحله فلم تركتموني بعد الرحله هل بضاعتي رديئه أم بيعتي نسيئه كلا لا بضاعة أحلى من جوهر العقد في جيد السعد ولا أجل بعد النقد يداً بيد ولئن ابيتم القبول يقبح أذواقكم مضيت بها قبل الذبول لغير اسواقكم ثم رحل بها الى الاسواق المأنوسه أسواق الادب في مصر المحروسه بستان

الارب ووضعها بخان شاهبندر التجار لحفظها وما خان وأمنت البوار الا انه لم يعرض البضاعه على أهل الصناعه من أول الامر بل لزم حده وسكت مده على نار الجمر واستصحب الجلد ودار البلد لمعرفة السلع حتى عرف الجديد من الرث والثمين من الغث من الجواهر والخلع فرأى الناس يتهادون بالمواهب مع اختلاف المذاهب في المعامله وكل ينادي على بضاعته ويفتخر بصناعته حتى يكدر آمله فلا يربح منها غير الكاسد ولا ينجح منهم الا الحاسد البليد الحمار تراه في المشدقه كأنه في مشنقه يحاول الفرار يعارض استاذه ويفتت افلاذه بما يبديه ان دخل على امير لا يفارق السرير حتى يسديه وان فارق صوبه جرّ ثوبه مهرولاً في مشيته يسلم بالبنان وينكر بالجنان ويعبث في لحيته ان جلس تفرطح وان نام تبطح وان قام تمطى وان تكلم مقت وان استفتى سكت فان أجاب أخطأ وما ذاك الا من عدم الالمام والخروج عن مذهب الامام والاقتصار على الاجتهاد فلو اكتسى بالحلم ولزم اهل العلم لروى واستفاد فان من حاد عن هذا المورد النهل ورضي بمر الجهل ضل ومن اعتمد على العقل وازدرى بالنقل ذل ولكن صار الجهل شرابهم فاستنعق البوم غرابهم لخراب رؤسهم واتخذوا الطمع امامهم لحول الفقر ذمامهم لذل نفوسهم فقال بئس الصنيع يتقدم الوضيع ويتأخر الشريف ويتطاول اللئيم في مجلس الكريم ويذم الظريف فرجع الى الشاه الكبير الجليل الامير السيد الشهير تاج النباهه بدر الكرام وراوي الأوام بل باب السلام ونفس النزاهه لسان العرب ومعين الادب عريق النسب طاهر الاخلاق روض البيان ثبت الجنان حلو اللسان سليم الاذواق بغيض المعازف حبيب المعارف الغيث الواكف سمير المعالي البليغ الرشيد اللبيب المجيد العقد الفريد ناظم اللآلى انسان عيني وعين انساني بل نور لبي لسان فني وفن لساني السيد احمد وهبي وجلس بين يديه واخبره بالحقيقه الى آخر القصه فمال بعطف اليه وادخله الحديقه وداوى له الغصه بحديث احلى من الشهد واطيب من القرب وألذ من الوصال فاستراح من السهد واقتحام الكرب في نقد الرجال ثم استعاده منه لحلاوة الوعظ في هذا المجال ليرويه عنه لفظاً بلفظ فابتدأ وقال لكل سلعة قوم ولكل قوم بضاعه ولكل عصر رجال وحالنا اليوم تزييف الصناعه وطلب المحال والعادة ان اعتيدت صارت

طبيعه لايمكن فوتها والسادةابيدت في المدة البديعه ومضى وقتهـا ولكن على من اجتمعت وجلست معه ومن عرفت وممن سمعت وكنت تبعه ومنه اغترفت هل اختبرت بنفـسك وعلمت افرادهم ام اتكلت على الاخبار السائره فأن ابناء جنسك لايحسنون انشادهم الا في الامور الطائره وقد كثرت تجار هذه البضاعه في كل سوق وكلٌّ ممتري فهجرت الناس هؤلاء الباعه ومالوا الى الفسوق فقل المشتري فالتزم كل دلاّل ان يحمل على رأسه وكتفه ويمشي في طرق غير مستقيمه ليروج هذه الاحمال بتزيينه وحلفه ولو بدون القيمه فقال اني لم أجيء للبيع والشرا مع هذه الطائفة الزائفه وجوب القرى في المدة السالفه للامة العارفه ولم ادخل بيت احد طمعاً في فوائد او جرياً على عوائد بل دخولي هذا البلد برسم السيد الماجد الفرد الواحد الكامل المؤدب البارع النجيب البليغ الاديب الشهم المهذب المجيد اللبيب المحب الحبيب عزيز الوجود حافظ [1] العهود ومنـه تعرفت بحضرتكم وبه تقربت اليكم ووفدت عليكم حتى تشرفت بطلعتكم ووقفت بين يديكم وحظيت ببعض ما لديكم ثم اخذت اسأل جرائد الاخبار عن اهل المعارف والعوارف فرأيت فيها من عد من الاحبار وهو من اهل المعازف او المناسب حتى سئمت نفسي وعلمت ان الادب عدم صحبه فقضى نحبه وتحققت فوت أنسي وقلت اقنع من الغربه بحسن الأوبه والزم وكري فهو لي جنه بل جنه وأجانس فكري واحسن ظنه بلا منه فقال انك لم ترغير هذا الشهم سماء اخوانه وبدر خلانه وسحاب جيرانه صائب الفهم المعنى الوجيز عبد العزيز الحافظ المجيز الواله بالجود حسن الخلق والخلق محب الصواب والحق باب الوفاء والصـدق ذي السير المحمود والرأي الصافي والعقل الوافي والقول الشافي نعم وانـ كان شمس الاماره ومعدن الكرم وثابت القدم بل المفرد العلم الا انه لم يجلس لهذهالتجاره وانما هوذو مقام عالي يشتري اللآلى بالثمن الغالي والا فصناعها في هـذا المصر كثيرو العدد قليلو الرشـد عادمو المدد لا لفقد المشتري في هـذا العصر بل لسعي الاجلاف في غش الاصناف مع عدم الانصاف فشقي كل بفعله وانكسر جمله وخاب امله وضل عمـله فلم يبق منهـم على اصله سوى من لاذ به البديع والتجا ولم يرض منه بمسكن غير الحجا حتى أمن من السفلة

---

(١) اشارة الى صديقه المرحوم عبد العزيز بك حافظ

ونجا من رضع قلمه ثدى البيان فجرى في بحر الادب وخط وسار بالسلامة من شط الى شط ولم يدركه عطب قط فنظم فكره عقود الجمان وحلى بالدرر النحور والغرور بل الطرر العالم المدقق بدر هذا العصر ولسان الادب في مصر السيد علي ابو النصر زكي محقق امام كبير حافظ خبير ليس له نظير فانه ان تكلم اوجز وان انشأ اعجز وان وعد انجز وان سكت دابته القلوب ليس في مجلسه شغب بل كله طرب في ادب بكل أمر محبوب وفيه من حسن الاخلاق ما تحلى به الاذواق بل الاطواق في الرقه وعنده من المعاني حصن الاماني محكم المباني بكل دقه فهذا قوي الجلد طاهر الخلد اديب البلد ابو الفصاحه ابن الشرف وخدن التحف مباهي السلف بحسن السماحه نظمه نظم اللآلى ونجمه بدر المعالي وحظه مدح الموالي وحليه الذوق السليم والطبع القويم يقول الزجل على عجل بلا وجل بأفصح لسان وبالسجع يداوي الصدع ويشنف السمع بأوضح بيان ويليه صاحب الحماسه والفطنة والكياسه روض البديع وثمرة افنانه مجلي عرائس الابكار في خدور الافكار لكل مقام رفيع من قومه واخوانه الذي طلع في سماء المعارف شمساً وطاب برقائق الاقوال نفساً وأرضع العلم لليراعه فنطقت بأحسن براعه زاحم من تقدم حتى جلس في الصدر وسهر الليالي حتى رأى ليلة القدر ففاق الجماعه في هذه الصناعه تمشي المعاني تحت ظل ركابه وتجري البلاغة طبق أمر جنابه فانه زينها حتى تحلت وزفت في الوجود وتجلت خاتمة أهل الادب وقاموس لسان العرب من سحت سحب معانيه فأروت محمود افندي صفوت [١] فهو المشار اليه بالبنان المنفرد بالبيان في الرقائق الادبيه والمحاسن العربيه لم يلحقه في هذا الميدان فارس ولم يدرك معارفه ممارس وانسجام البديعيه يقضي له بالافضليه مع بقية غرائبه الشهيره وكواكب سمائه المنيره التي ظهرت للعيان فأبصرها العميان لا ينكرها الا الجاهلون ولا يعقلها الا العالمون ويليه الشاب الذي غرس غصن القريض فأثمر واطلع هلال البديع فأقمر وفوق سهم الاجادة فأصاب الغرض وعالج جسم العروض حتى نقه من المرض اللوذعي السري المدره الجري مجلي من خدور افكاره كل بهنانة رعبوبة ومبدي للوجود كل آية أعجوبة المرجف بفخامة

(١) الشهير بالساعاتي السكندري اصلاً

لفظه قلوب المرّان والخرس بجزالة نظمه ألسنة الخرصان من رق حتى استعبد حر الكلام وعف حتى تشربته قلوب الكرام ان جلس للانشاء جثا سحبان على ركبه وان اعمل قلمه كف قس عن خطبه غيث البديع الهامي محمود بك سامي [1] ـ ويليه بستان الكلام وعنوان الكرام الشاب الذي شمر عن زند الفهم وحسره وحمل على جيش المعاني فأسره البارع الذي فاح عطره على المعارف فنشقته ورأت بنات الافكار جمال ذهنه فمشقته الفاضل الذي الفته اللغة العربيه وعرفته المعاني الادبيه فطلع في سماء العلم بدرا وجرى في فيافي الفنون بحرا الاديب الذي سمعه بلبل الذوق فأفصح ورآه زهر البديع ففتح ولزمته المحاسن لزوم النور للبدور وهامت به المعارف هيام النفوس بالسرور خد البديع المورد القاني الشيخ احمد الزرقاني ـ ويليه الامير الذي دعا الادب فلباه وساسه حتى رباه فظهر للوجود بدراً ما به افول وغصناً لم يعتره ذبول فهو بين اهل الصناعة الرئيس والجوهر النفيس نظم من المباني ارقها ومن المعاني ادقها الشاعر الناثر المجيد الماهر من غاص بحر الادب واستخرج الصدف من قاعه وحاصر جيش البديع حتى صار من حزبه واتباعه عقد جيد الزمان الفريد محمد بك سعيد [2] فانه امتد في البلاغة باعه فأعيا معاصريه اتباعه ـ وافضلهم بستان العلم وزهر الحلم مجري جياد افكاره في كل ميدان محلي بجواهر ألفاظه كل ديوان رامي نبال وعظه الى الاحشاء ومفوق سهام بديعه الى الانشاء حامل لواء العلوم العقليه وقائد جيوش الفنون النقليه مطلع شمس الاماني ومبارز فرسان المعاني الهمام الذي ان اطنب اطرب وان اعرب اغرب اللوذعي الذي ان ألف لم يتكلف بل يجعل الانسجام زينة الكلام وان نثر كر بهجوم على سرايا النجوم فالنثر كتاب هو عنوانه ولبه ملك والنظم ديوانه نفث في المعاني نفثة ماهر لا نفثة ساحر وخدم الفنون خدمة مجدي لا خدمة مكدي ورواه الصدق بنهله حتى اعترف بالفضل لاهله من ملأت من دنان ادبه اقداح سكري عبد الله بك فكري [3] فهو واحد الدنيا وممتطي العليا فهؤلاء هم تجار البيان ونبلاء الزمان لا تنتشر الرقائق الا عنهم ولا تقتبس المعارف الا منهم ومن عداهم رعاع لم

(١) محمود باشا سامي البارودي رئيس مجلس النظار فى الحوادث العرابية ونزيل سيلان الآن

(٢) نجل المرحوم جعفر باشا مظهر (٣) المرحوم عبد الله باشا فكري ناظر المعارف المصرية سابقاً

يضيء لهم شعاع يسرقون الكحل من العيون ويمزجون الجد بالمجون فساق في صفة عباد وسفلة في هيكل زهاد ثياب منقوشه وعمائم منفوشه (واعباب) كبيره ممتلئة كبيره لا يعرفون من العلم الا اسمه ولا من الادب الا رسمه ان رأوك على بساط الادب تطفلوا فان أخذت في البحث تنصلوا على ان شهرتهم اكبر من الاجرام ولحاهم اطول من ألية الاغنام فعلمت انه التزم الصدق وقال الحق وعجبت من حسن قريحته وشكرته على نصيحته

﴿ التنور المسجور ﴾

وهي رسالة وضعها أيام صباه ايضاً في المفاخرة بين السفينة والوابور وكانت مسودتها قد تمزقت وبقي منها جانب اعتنينا بتبييضه وان لم يكن تاماً حرصاً على ما فيه من الفوائد قال

حديقة معاني ونادي مغاني وبستان افكار به قصور ابكار وجياد تجري بفوارس الالباب وعروس تجلي وكانت دونها ابواب

تسحر اللب ان تأمل فيها بمعان تمر خلف معاني
رافعات على البديع بنودا ساحبات على البيان يماني
مثل جيش اجابه النصر يوماً فتوالى كأنه الملوان

فكاهة نفوس وزينة طروس هزلها أدب وجدها طرب ان سئلت اوجزت فان سألت اعجزت لو أقت لها حكماً وجدها كلها حكماً بكرٌ مانيط عنها سجف ولطف مركب من لطف لا يمل منها نظر ولا تسأمها الفكر لم يحم حولها فهم بل ما ترقى لها وهم ولا تصورها عقل ولا حواها نقل محاوره في مفاخره تأليف عجيب وتركيب غريب سر ضاق به الصدر وصبح نم عليه الفجر بحر كله درر وأنجم كلها غرر بل روض كله ثمر وسماء ما غاب لها قمر سفينة مشحونة برقائق وساعة لم يخلها الدهر بدقائق اكليل بديع رصعه الفكر بجواهر وبدر تم باتت له الالباب سواهر ولست أعني بها جواهر لعبت بها القيان ولا بدور استرها الكسوف عن العيان وانما هي عقود سلوكها لطائف في جيد آداب تخدمها من ابكار المعاني وصائف الطف من النسيم في الرقه واحكم من الفكر في الدقه وافصح من قلم روى حديثه عن المحابر واوقع في النفس من خبر دعا اميراً الى المنابر تتزاحم فيها المعاني مزاحمة الشفاء للامراض وتحن اليها النفوس حنين السهام الى الاغراض بكرٌ

صداقها الصدق وانسها الرجوع الى الحق لا يكشف لثامها ويفض ختامها ويحظى بوصلها ويفتخر باصلها الا من رغب في صحبتها فبادر لخطبتها ليرى نفاسة حليها و براعة وليهافانه قال

أرسلت فكري في ميدان المفاخرات ودخلت به حومة المحاورات فرأيت كل ضد زاحم ضدا وكل لبيب نظم منهما فرائد وعقدا الا السفينة والوابور فانهما لم يتفاخرا في جمع ولا حاول ذلك بينهما فكر ولا سمع ولا حواه منقول ولا مأثور وليس لهما ذكر مسطور فسرحت في حالهما النظر واطلقت فيهما سراح الفكر فرأيتهما جلسا يوماً للمناظرة والفخر وقابل كل صاحبه بقلب كالصخر وطلبا الركوب للبراز والدخول في ذلك المجاز فشمرت السفينة عن الذراع وسحبت طرفها ونشرت الشراع واعتدلت ومالت وابتدأت وقالت

حمداً لمن اسبغ على عباده جزيل الانعام وسخر لهم من فضله السفن والانعام وجعلهما مطيتين لحمل الارزاق والاثقال وحافظين للذخائر عند السفر والانتقال وامتنّ بهما على عباده وهو عليم بما يصنعون فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون وصلاةً وسلاماً على من اسفرت اسفاره عن عظيم اخلاقه فانفتح بتوجهاته الشريفة باب السياحة بعد اغلاقه وآله واصحابه الذين تحملوا في الغزوات مشاق البرد والحر واقتحموا في نصر دينه عقبات البحر والبر وبعد فان المخترعات في الدنيا كثيره وقد صارت سهلة بعد ان كانت خطيره ولكن من المعلوم لكل عاقل عارف بأحوال الاوائل ناقل ان شكلي أول غريب ابتدع وأحسن عظيم اخترع ما تقدمني سوى الحيوان والكواكب وضروريات الزرع وبعض آلات المعاطب وكان البحر قبلي ظلمة ما طلع لها فجر ولا انشرح لها صدر بل غرضاً ما اصابه سهم ومعنى ما ترقى له وهم حتى أمر الله نبيه نوحاً بصنعي وعلمه تركيب ضلوعي عند جمعي فبذل فيّ جهده وباشر عملي وحده وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فقال تعالى واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاستمر حتى أتم عمله وحقق رجاءه وأمله وأنزلني البحر عروسا وأطاب بي نفوسا فتلقاني البحر على راسه وجريت بين روحه وانفاسه وصار كل غريب حاضراً لدي وكلما تلاطم البحر ضربته بيدي لا ترهبني منه الامواج ولا تردني عنه الابراج أحمل الذخائر والارزاق وأجمع الاحباب والعشاق ومع ذلك فان

أصلي معدن الثمر ونزهة الارقاء عند السمر فمن له أب كأبي ومن قبلي صنعه نبي فمجدي شامخ ومجد غيري متهدّم والفضل كل الفضل للمتقدّم فالتهبت احشاء الوابور بفحم الحجر وصمدت أنفاسه مشوبة بشرر وزمجر وكفر وصاح وصفر وجري حتى خرج عن الشريط وقال السكوت على هذه من التفريط ثم كر بعجلة وجال وابتدأ راداً عليها فقال

الحمد لله خالق كل موجود الذى شرفني بالذكر قبل الوجود حيث امتنّ على عباده بخلق عليها يحملون ثم قال ويخلق ما لا تعلمون ويستأنس لي بقوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ولا يغفل عن ذكري الا الجاهلون والصلاة والسلام على من تكلم بالمغيبات من غير شك ولا التباس المنزل عليه وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وأصحابه الذين اتخذوا من معدني دروعاً وتيجانا وقاتلوا بها حتى اظهروا ديناً وأرضوا ديانا وبعد فالوقوف عند حد النفس انصاف والخروج عنه من قبيح الاوصاف الفخر لا يكون الا عن كبر او غباوه وهو اول داع للحرب والعداوه فكم أثار حرباً واضرم نارا وكم هدم قصراً وأباد داراً ولكن شرٌّ أهر ذا ناب وكوّة فتحت بها ابواب فاني ما كنت اظن ان السفينه الحقيرة المسكينه تخرج من الاجراف وترفع في وجهي المجداف ولكن قد يلقى الانسان ضد أمله والمرء مجزى بعمله ومن سل سيف البغي قتل به وأهم أمريك الذي انت به فانتبه فقابل اعداءك بأردا الحجاره واياك أعني فاسمعي ياجاره فانك وان كنت اول عمل للخلق وصناعة نبي بوحي الحق الا انك حمالة الحطب قريبة العطب ان هبت عليك نسمات هلك من فيك ومات وان كتبت لك سلامه فلا حباً ولا كرامه وان كسر ضلعك فار علا فيك الماء وفار بم تفخرين وانت مكتفة بالحبال وخدمتك ينادون بالوبال ان سلكت طرق الامن ارتجفت القلوب وان ساعدتك الصبا اهلكتك الجنوب تغرقين انزاد عليك (طرد) وتهلكين ان نزل عليك (شرد) فان أبيت السير سحبوك على وجهك وان كلوا تركوك وباتوا على قلبك ما أقبح اصوات الاوباش حين يصعدون لسحب القماش وما أفظع تلك الضجه (اذا شحطت) وسط اللجه كم عقت محباً عن حبيبه واحرمت تاجراً من نصيبه وكم جعلوك مطية للفساد وآلة لهلاك العباد فان كنت ذكرت في الكتاب صراحة فقد ذكرت ضمنا وان ظهرت قبلي لفظاً فقد كنت معنى ما تأخر لتاجر عندي سبب ولا حرم

من صاحبني بلوغ ارب طريقك معوج وطريقي مستقيم لا يملني صحيح ولا يسأمني سقيم فسحبت السفينة (المدارى) وقالت له (بارى بارى) كم تعرض وتصرّح (واصفح واصلح) ولكن مهلاً يا أبا لهب فقد خرجت عن الادب ولا بد ما (ارسى) على بركـ واحرقك بلهيب جمركـ حصرت بين (عجل وقضيب) ووقعت في حميم ولهيب وتغذيت (بالخشب والفحم) وتفكهت (بالزيت والشحم) وتولعت (بالمشاقة والكهنه) وتحليت (بالنقش والدهنه) وتمكن الغيظ فيك وانحبس حتى صار فيك (نفس) وجئت تقول اني حمالة الحطب وانت حمال النار واللهب واني قريبة العطب وانت ابو البلايا والكرب ان جريت فضحت عرضك وان وقفت تأكل بعضك وان صدمك شيء هلكت ووقفت وما سلكت وان كسر (ذراعك) وقعت وقليل ان طلعت وان دخن انفك تعمى صورتك وان ظمئت يوماً طقت (ماسورتك) تجري في الخلاء والقفار وتقول النار ولا العار ما أوسخ رجالك واضيق مجالك يا مفرق الاحباب ومفزع الركاب غريقي ارجى من حريقك وبحري أنجى من طريقك كم هرست من شخص وطحنت من حيوان وخلفت راكباً وتركته حيران وكم جعل رجالك الناس مسخره اذا لم يجدوا معهم (تذكره) وكم أضعت على تاجر فلوسه اذا فقدت منه (بوليسه) أعلى غير (الشريط) تجري فضلاً عن لجي وبحري ادخل نفسك في (مخزن الوفر) (وفضك من النفخ والصفر) تفتخر على اغصان الطموم وانت (حديد يامشوم) ولئن سرت على (عجل) فقلوب اهلك في وجل اما علمت ان العجلة من الشيطان وان الباغي جزاؤه النيران شغلت بالاكل والتمني ففاتك الرفق والتأني وبالجملة فاني سابقة هذا الميدان ولا ينتح فيها عنزان فتحرك الوابور تحرك ناقد وتنهد تنهد حاقد وقطع (قطره) وأبى (شحنا) وقال اسمع جعجعة ولا ارى طحنا أبعوض تطنّ في أذن فيل وصورة تعد في التماثيل ولكني قد ابيت مخاطبتك وعفت وكرهت وجهك المدهون (بالزفت) فان حالك حال الحيران وصباحك صباح (القطران) وكيف أفاخر امرأة عقلها في (موخرها) وهلاكها في تمزيق مئزرها تقاد بحبل طويل وتنقاد لادنى (عويل) يديرها (شاغول) وفكرها مشغول تتبع هواها في السير ولها جناح كالطير أمية وفيها (قاريه) ويد عاجزة لها (باريه) ثالثة العيرين في ذل (الوتد) حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد اه

﴿ طالع الكرامه بحسن السلامه ﴾

وهي رساله كتبها الى استاذه المرحوم الشيخ محمد العشري وقد بلغه انه كان راكباً عربة مع بعض الناس في زمن المطر فوقعت بهم العربة ونجا الشيخ منها سالماً واصيب الذي كان معه فكتب اليه بعض الاخوان من الاسكندرية يهنئه بسلامة الاستاذ وكان اذ ذاك بينهما فكتب الى الشيخ هذه الرسالة وهي سجعات مختلفة الاوضاع والاوزان من مبتكراته كما سيظهر للقارئ

منحتنا اللهم سلامة الروح فلك الحمد على هذه المنحه حمداً بلا عد ووهبتنا صحة لب البيان فلك الشكر على هذه الصحه شكراً بلا حد يلوح بدره ويفوح عطره روح هو عين الحياه ومدد العقل ولب هو منطق الشفاه وسند النقل طال عمره وجال امره غذاء النفوس وبهجة المهجه ونور الشموس ومهجة البهجه امنّا سرّه وعمنا برّه استاذي وقدوتي وعين بشرى وملاذي وعمدتي محمد العشري قام ذكره ودام شكره سيدي ومجيري ومؤيدي ونصيري يخصك التحيه غرس بستانك وغصن رقتك وزهر احسانك وثمر دقتك الطيبة الشهيه ويهدي لسيادتك الرفيعة الشريفه ويعرض لسدتك المنيعة المنيفه سلام لسان وجنان ويميل لرأفتك وعظيم فضلك بل الى رحمتك وعميم عدلك ميل حيران ولهان

رُمي بالعناء وطول التنائي   على انه مخلص في الوفاء

لعبت به الاشواق في مصارع العشاق لعب الراح بالارواح في مجلس الانس وجرت به الاتواق في ميادين الاذواق جري السحاب والارواح في حومة الشمس وقاده الهيام الى باب السلام فظللته الارواح وطابت النفس حتى طرق الباب وتقدم للجناب فكتب في الالواح مزيل اللبس

صار عين البديع بحر المعاني   باب كنز الفنون سر البيان

وما زلت تغمسه في ألوان الفنون حتى انصبغ وتنشده الجد والمجون حتى نبغ وجرى خلفك في ميدان النباهه وصار الفك في العفة والنباهه

قد كابد الصبر حتى صار مطعمه   لايسأل الناس الحافاً والحاحا

ان تكلم بلسان فبيان من جنان وان خط ببنان فباحسان عن فرقان وان انتسب

فنعم النسب مع الحسب ولا عجب فالى العرب فن الادب

آباؤه الغر اهل الجود والكرم وكلهم غاية في الحلم والكلم

ربيت فأحسنت وغذيت فأسمنت مؤدباً ليثا ولنت فسودت وجدت فمودت مهذباً غيثا وعلمت فافهمت واشرت فالهمت غرض سهمك وقد نلت ما املت فيمن عليه عوّلت بحسن فهمك

غلامك الشهير بالنديم من صار في البيان كالنسيم

وكيف لا يكون لساني قوس البديع وكلامي السهم السريع وانت باريه وراميه أم كيف لا يكون مقامي الحصن المنيع وقدري العزيز الرفيع وانت معليه وبانيه فوجه جمال العلم انت غرّته وانسان عين الحلم انت قرّته وحاليه وجاليه وجبين العقل انت طرّته وكتاب الفضل انت صورته وطاليه وتاليه

على بابك العالي من الفضل راية على رأس أرباب المعارف تخفق

فعلك جنات وحلمك جنة وكلك خيرات وغيثك مغدق

أرى غصن من يدعو الى الفضل نفسه من الفضل عرياناً وغصنك مورق

اذا رمت انشاء فعن صدق فكرة تهادي بابكار وغيرك يسرق

ثم انهي لفضيلتك وحضرتك السنيه ما وصل اليّ فاوجب الشكر عليّ ما دمت حيا وهو سلامتك من تلك البليه بمعرفة العربيه وقد وقع في الريّ من ادركه العي ولم يع شيا أدخله التقصير في جمع التكسير فكفت في جمع السلامه تحية وكرامه اذ كنت تقيا وظهر ذراعه الكسير ظهور الضمير ومذ رأى اولاده آلامه وفهموا كلامه صاحوا بكيا

قد أتى أهله فساءت دياره اذ وهت رجله وبانت يساره

ولو جاءهم الخبر في الابتدا لطلبوا الفدا وقالوا انقبر هل للصدى رد الندى ولو سلك الفحل طرق الهدى أمن الردى وما وقع في الوحل وترك العدا تجلو الصدا فالحمد لله على السلامه والنعمة والكرامه اذ انقذ عمدتي وانجد منيتي فانه باب السلام وبدر التمام

﴿ نار الغدو وثار العدو ﴾

وهي رسالة من غرائب المنثور فانها سجعة وآية قرآنية مع تمكن الدخول على الآية من غير

خروج وقد كتب بها الى صديقه المرحوم عبد العزيز بك حافظ تنبيهاً وايقاظاً حينما رآه يجتمع ببعض المغاربة ويشتغل معهم بخرافات باطلة واوهام ما انزل الله بها من سلطان

لا حول ولا قوة الا بالله اشتبه المراقب باللاه واستبدل الحلو بالمر وقدم الرقيق على الحر وبيع الدر بالخزف والخز بالخسف واظهر كل لئيم كبره ان في ذلك لعبره سمعاً سمعاً فالوشاة ان سعوا لا يعقلوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فكيف تشترون منهم القار في صفة العنبر وقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم اكبر وكيف تسمع الاحباب لمن نهى منهم وزجر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر عجبت لهم وقد دخلوا دارنا وهم عنها معرضون فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون فقابلوهم بنبال الطرد في الاعناق حتى اذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق أيدخلون بما لا ينفع في بيوت اذن الله ان ترفع سيعلمون مقام الهبوط والعروج يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ويقولون اذا لم يجدوا ملاذا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا فانهم عزموا على الاقامة مده ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عده وانت يا عزيز العليا ووحيد الدنيا قد بينت لك فعلهم فبما رحمة من الله لنت لهم ولكنهم طمعوا في عميم قولك ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك أتراهم يعقلون كلامك أم يفهمون لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون لهم قلوب لا يدرون بها للحسد قرارا لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا واني قد شيدت لك بقلبي حصنا صعبا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا نسيت بالعاذل جميل الصوت وانكره وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره رميت ايها العاذل بسيف الغدر في نحرك اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك فان لم ترجع عن السحر وفعله فلنأتينك بسحر مثله كيف يسعى العاذل بين النديم والفه وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه فيا سادتي دعوني من المعجب والمطرب ليس البرّ ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب واجعلوا سيف ثباتكم للعذال مسلولا واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا فانهم ان قالوا كذب النديم او بطر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وها قد صار امر الحزبين عندك جليا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا أتظن عهد العاذل عند غضبك لا ينكث مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث على انه لكم عدو كبير ففروا الى الله اني لكم منه نذير فانه جمع لقتالك الاولاد والاحفاد وآخرين مقرنين

في الاصفاد تركوا أمر الله واشتغلوا بما يرضونه فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه وظني ان وصل اليك كتابي انهم يطردون ويردعون وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون ايعجبك اذا مشى هذا اللاه ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله وانك وان فرحت بعلم ما يجهلون قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فان قلت ان اجتماعي بهم لاجل الصدقة او شيء من هذا القبيل انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل على انه لا تحل الصدقة لدميم هماز مشاء بنميم وطباعهم كما تعلم منكرة مستقذره كأنهم حمر مستنفره فرت من قسوره وقد قال وفائي خاطب عزيزك هذه المرة وان لم يعمل فيك فكرا وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى فقال لساني ان الود هو الرسول المأمون فارسله معي ردءاً يصدقني اني اخاف ان يكذبون فقلت سيروا مع المحبة ذات الفتوه ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوه وقولوا له عند الغايه قد جئناك بآيه ولا تهابوا جيش الاعداء وان كبر سيهزم الجمع ويولون الدبر ولا تظنوا من ظاهر الامر حلول البلوى اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى بل قاتلوهم قتال المستشهدين وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين واذا اشتبك القتال فليذب كل منكم عن مولاه وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله فسيروا ودعوا الاولاد والجنه وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنه ولا تسألوا عن الميرة من اصله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله فان الله قد أثاركم لقتال العذال العائبين ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين واحملوا عليهم فانهم متى طعنوا في جنوبهم رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم ولا تدبروا اذا أريتموهم اقدامكم ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وان اخذتم اسرى فقاتلوا انصارها فاما منّاً بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها فان أطعتم رفعتم واصلح الله بالكم وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم وسأتلو في خطبتكم عند قدومكم سالمين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

﴿ استعطاف المقرّر قلب المحرّر ﴾

وهي رسالة مسجوعة بعث بها الى المرحوم الشيخ احمد عبد الرحيم محرر الوقائع المصرية

صنة ١٢٨٩ وسببها انه كان قد نظم قصيدة بديعة في مائة بيت وخمسة ضمنها وصف الافراح التي قام بها ساكن الجنان اسماعيل باشا الخديو الاسبق لانجاله احتفالاً بتأهلهم وقد أتى فيها على شرح ما جرى في تلك الافراح بالتفصيل وارسل بها مسودة الى ذلك الشيخ لينشرها في الجريدة الرسمية فتداخل بعض حساد النديم وكلفه ان لاينشر منها الا القليل فنشر منها سبعة أبيات فقط ومزق المسودة فضاعت ورقاً وحفظاً وكان مطلعها

بيت السعادة مطلع الافراح　　دامت سلالته غذا الارواح

وشطرة التاريخ　　﴿ نور الخديوي ادوم الافراح ﴾

اما الرسالة فهذه هي

راكب جياد الآداب في ميدان المعاني ومطلع بدر الالباب في سماء الاماني وباري قوس الملح لصيد البيان ورامي سهم المنح لغرض التبيان ومنتضي سيف الايضاح لحسم المشكلات ومفوق نبل الافصاح لفصم المعضلات لسان سمر يطرب العقول بلفظه في ثغر قمر يشرح الصدور بوعظه لزم الادب لزوم الممنوح للشكر بخدمته البلاغه وقام بالانشاء قيام المعاني بالفكر فأحسن الصياغه فما ترى الا جواهر في جيد عرائس تجلى على الاذهان وكنزاً ينهب منه النفائس انسان كل انسان ان قلت نبيه في فصاحة سحبان خطاك حسن نسج لسانه او قلت بلاغة زياد بن ابي سفيان كذبك لطف تطريز بنانه وانما هو سرٌّ ضاق صدر الادب عن كتمانه فاظهرته البراعة ظهور البدر وكتاب بديع عرف بعنوانه كما عرفت بالنور ليلة القدر فانهم وان تقدموه في الوجود فكم تقدم الصباح فجر كاذب وان حازوا أصول البلاغة والجود فكم سبق العروس خاطب كيف وهو ثمر أفنان المعاني وزهرها العاطر وبدر سماء التهاني وغيثها الماطر مجلي ابكار الافكار على كل كفؤ نبيه كريم فمن يتوهم الانكار على مخاطب احمد عبد الرحيم محرر الوقائع المصريه وحافظ الحوادث العصريه وما على النديم اذا وقف ببابه كباقي الشعراء وعرض على رحابه تهنئة الامراء أظنه يحظى بمشاهدة جلاله ويتروح بتلك البدائع ويذكر في طبقة أمثاله ضمن صحف الوقائع فاني امرت بذلك وما تكلفت كبعض الطفيليه فقالت فكرتي هلا نظمت دراً والفت في الحضرة الخديويه أما ترى سماء اجلاله وسحبه الصيبه منيرة هامعة بانجاله في

حياته الطيبه انظر الى الافراح في ديار مصر وابتهاج الارواح في رحاب القصر ألست مستظلاً بهذه الدوحة العظيمه دام ظلها وغارقاً في بحار نعمها العميمه فاض نيلها ألم يك أحب اليك ان تشمر عن الذراع القصير ولا بأس عليك فلك اسوة بكثير

وما عليك اذا ما قلت تمدح من   في مدحه يحسن الانشاء والكلم

فما أراد بليغ مدح سيده   الا تسابق فيه الفكر والقلم

فثرت وحقك من نومي بهمه كأني عثرت على كنز لآلي وصرت أهجو التأخير وأكثر ذمه على فوات تلك الليالي ولكن رأيتني ان دنوت من القول شبرا أخرتني الاشغال ميلا فيغيب بدر فكري في محاق الافول فان ذكرت نزراً من نعم سيدي أو جميلاً أرى الذهن صفا ويحب أن يقول وما زلت على هذه الحال عدة ايام لا اذوق المر والحال ولا طيب المنام فناداني لبي عند ذكر الطول وقال ما هذا الاهمال

﴿ جبنت وما عهدتك بالجبان ﴾

فقلت له اذا الزمتني القول مع ملازمة الاشغال

﴿ أعر لي فكرتي وألن لساني ﴾

فوربك لقد رأيتني تحن اليّ المعاني حنين السهام الى الاغراض في ملاعب فرسان وتزاحمني الغرائب مزاحمة الشفاء للامراض في مسالك أبدان فقمت بليلة طلع بدرها وقت الاصيل فلم أر فيها ظلمات حتى مال عليّ الفجر بخصره النحيل وما بقي الا كلمات فشربت على ذكر سيدي راحات الراحات برهه واجلت فكري في تلك الساحات نزهه فرأيتني تلعثمت من شراب تلك النعم حتى كاد يفترسني النوم فما نمت ولا سعت لي قدم في صباح ذاك اليوم بل قلت لا بد للسكران من كاس لعله من سكره يفيق فأردفت كاسا بطاس على محبة ولي عهدنا توفيق ثم ملت الى شراب خدمة صدقها اصفى من اللجين تستدعى لشربها الصالح الحليم فسكرت في مدح دولة الوزراء حسن وحسين وأصهار الخديوي طوسون وابراهيم ومن سكري بحبابهم وشكري لجنابهم ما قمت ولا ارتحلت حتى أتممت ما ارتجلت وسميتها خدمة الملوك في تهانئ الملوك وهي بفضل الله بمدحهم وافيه وان صعبت القافيه وكنت قد أرسلتها بجملتها الى ناديك لتنشرها فاضمّ هذه اليد الى أياديك

واشكرها ولكن خاب الامل بتعرض الحاسد المتشاعر فقل لي ما العمل أيها الواحد فانك آمر لا أرى سبيلاً للوصول غير العتاب فقد ضاعت الاصول وأغلق الباب

درر النحله وغرر الرحله

وهي رسالة بعث بها من الاسكندرية الى صديقه الشيخ احمد وهي

لك الحمد يا موفي كل عامل أجره والصلاة والسلام على صاحب الهجره وبعد فقد ألهمني خير من رحم السعي في صلة الرحم فخرجت آخر الصوم وقت العصر من المحروسة مصر بوابور يقطع الطرق قطع الصواعق للجو والغيث للنو كلما اطعموه نفر وزمجر وصفر حتى اذا التهب قبسه وطلع نفسه ارسل الدخان خلفه ذوائب والاخبار امامه جوائب ثم نبه رفقته للسير وحثها على الطير [1] وسار ولكن بحساب وهي تمر مر السحاب فما ندري اهو النعمان يوم عبوسه ام الحجاج يمر على حبوسه أم عنترة يكر على آسر عبله أم الكسعيّ يشفع قوسه بنبله أم جبان رأى الصمصامة في يد عمرو ام سياف صدر له من الخليفة امر تارة يرينا حملة عليّ على ابن ودّ وهجومه على باب خيبر وقد سد ويقول خذوا من اندفاعي كيفية سير الافاعي فما نعلم ابساط الارض يطوى على عجل ام ليالي الانس تسرق الاجل فانا كنا لا ننظر في هيئته ونعجب من مشيته الا وقد عدل عن السير وكف وادرك المقصود ووقف اذ ذاك يضيق عليه المجال لكثرة النساء والرجال والاطباء تجس نبضه وتتعهد طوله وعرضه فان وجد فيه اختلاج بادروه بالعلاج حتى اذا صح السقيم واخذ شهادة الحكيم ودع القوم وثار وارسل العنان وسار وانا اقول فيه لا كون من واصفيه

نظر الحكيم صفاته فتحيرا	شكلاً كطود بالبخار مسيرا
دوما يحن الى ديار أصوله	بحديد قلب بالهيب تسعرا
ويظل يبكي والدموع تزيده	وجداً فيجري في الفضاء تسترا
تلقاه حال السير افعى تلتوي	او فارس الهيجا اثار العثيرا
او اكرة ارسلتها ترمي بها	غرضاً فجلت ان ترى حال السرى
او سبع غاب قد احس بصائد	في غابه فعدا عليه وزمجرا

(١) المراد برفقته العربات المقطورة خلفه .

فكانه المديون جاء غريمه ... فانسل منه وغاب عن تلك القرى
او انه شهب هوت من افقها ... او قبة المنطاد [1] تنبذ بالعرا
لا عجب للنيران اذ يمشي بها ... فمن اللظى تجري الورى كي تحشرا

وما زال يقوم من محطة بعد محطه وهو على نسق لا يخالف خطه حتى شممت الشذى العنبري من النسيم السكندري فتحركت الاعضاء واضطربت واحست النفس بالسرور وطربت وتامشت تلعثم المخمور وحرت حيرة اليحمور [2] وزاد الانس ان قدح أذكى وهكذا السرور ان زاد ابكي وما زلت اشرب السرور شيئاً فشيئاً واتفرس القصور هيئة وفيئاً حتى مزجت بالفرح وتناساني الترح فحصرت عن ان اقول شعرا او اكتب نثرا بل اقتصرت على التمتع بنورها الطبيعي وتروح الفكر بشكلها البديعي فانها نزهة نفسي ومركز أنسي

﴿ وأول ارض مس جسمي ترابها ﴾

فلما انجابت عني الكروب ودخلتها وقت الغروب وجدت السماء عابسة اليها والمزن حاقدة عليها ترمقها بعين الانتقام وتوبخها على فوت النظام والذي أدركته من كلامها وسمعته من ملامها قولها : أيها الثغر المحروس العامر المأنوس جوك لله الحمد منير وخيرك دون الثغور كثير وبيوتك في غاية النظافه وطرقك في نهاية اللطافه ودرجة الكسب فيك عظيمة وعاقبة الامور بك سليمه وخيرك لم يكن قاصراً على القريب بل هو متاح له وللغريب والصحة فيك سهلة الحصول اذ كنت معتدل الفصول وفيك من الرياض والبساتين ما هو جنة للناظرين وحولك نهر وبحر كالحرس لك وقت العجاج هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج وفيك من قديم المصانع ما يعجز كل صانع وكم فيك من مسجد يشرح الصدر وعباد كأن وجوههم البدر وكتب العلم تقرأ فيك وتسمع في بيوت اذن الله ان ترفع وبالجملة فانك مصر الامصار ونزهة الارواح والابصار فعلام تعصب على أهل الادب وتحرمهم القصد والإرب وتجلب عليهم بخيلك ورجلك وتجشمهم المشاق من اجلك حتى اذا ضاقوا وملوا تركوك لجة وانسلوا ورحلوا

---

(١) المنطاد هو البالون (٢) اليحمور حيوان اذا رأى الماء دار به حيران ولا يشربه

بالحريم والاولاد واستوطنوا غيرك من البلاد وهذه عادتك مع كل أديب برع وأخذ في جمع شمل البديع وشرع وليس هذا من الانصاف ولا جميل الاوصاف فقال الثغر أيتها السماء العاليه ذات الدرارى الغاليه من عهد ما أنشأني الله من العدم لم تزلّ لعالم فيّ قدم ولا خاب له في الحياة سعي ولا ضاع له بعد الممات نعي ولا كدرت عليه عيشه ولا قصصت منه ريشه ولا ألزمته بكد ولا ضربته في حد ومهذا ما اعلمه من نفسي فلم حجبت عني شمسي فقالت السماء ان كان ما تقوله هو الحق ولم يعصك احد منهم ولا عق فكيف ارتحل عنك لسان العرب واصل الظرف والطرب غصن روض النباهه وزهر ثمر البداهه مقلد جيد الكلام بلآليه ومحلي جبين الايام بلياليه غارس اغصان البديع في رياض ذهنه وجاعل ابكار المعاني في ضمانه ورهنه من ارضع البلاغة ثدي فكره حتى تربت ودعا بطون اللغة فهرولت اليه ولبت حتى عرف الادب بخديم ركابه واشتهر البيان بنديم رحابه بليغ استجارت به الفصاحة من الاغبياء فأجارها واستنجدته الغرائب فعبأ لها عساكره واثارها من تهافت عليه الرقائق تهافت الفراش على النور وتحن اليه المحاسن حنين المؤمنين الى الحور أديب رقت برقة كلامه الارواح وتحلت بزهر معانيه الادواح وانتثرت النجوم تشاكل نثره وبدرت البدور تختلسه نظره فضلت الشعرى في محاسن شعره وابت الزهره الا ان تسام بسعره ونزل زحل من الافق الاعلى الى الحضيض ووقعت نقود المشتري فاستنجد جاهه العريض ونظر نعش الى بناته فكأنه ما ولد وحمل العقرب على الشمس وهي في بيت الاسد فتدلت تدلي كفة الميزان وغابت عن الوجود وقد لحقها السرطان والبدور رأت وجوه ابكار افكاره كشفت فأدركها ظلام المحاق لوقتها وكسفت مجيد تلتذ بألفاظه المعاني لذة الاسماع بالأغاني قد شيد للبراعة ابياتاً على احسن اساس فدارت ابيات غيره البلاد تقول لا مساس لبيب يكاد قلمه ينطق بلسان ونخامة لفظه تقتل بسنان من ارضعته النزاهة لبانها وسلمته القناعة عنانها وقال الادب هذا الفاضل دون اهل العصر حسبي العالم النحرير السيد احمد وهبي [1] فانه نشأ فيك وتربى ثم دعته الغربة فلبي فلم لم تعظم له النحله وتمنه

---

(١) توفى رحمه الله يوم العاشر من المحرم سنة ١٢٩١ بعد وصول هذا اليه بنحو العشرين يو[ما] ومراثيه مذكورة فى الديوان الثالث من دواوين شعري . مؤلفه

عن الرحله أخرج حالة سهوك ام كنت في حظك ولهوك ام انت زاهد في اهل الادب وكاره لسان العرب ام حظك موقوف على اهل العي ورجال الفجور والغي فقال الثغر ايتها السماء ما منعته من الزلال ولا صافيه ولا اخرجته زهدا فيه وانما لا يخفاك ان الجار كساكن الدار وقد اوصى النبي على اكرامه ومواساته واحترامه وانت تعلمين ان مصر المحروسه ذات الرياض المغروسه لها عليّ حق الجوار وملاحظتها وقت البوار وكان قد بلغني ان الادب فيها كسد وعدم الروح والجسد واندرس رسمه وما بقى فيها الا اسمه فساءتني هذه المصيبه وخفت على تلك الحبيبه فعينت لها هذا السيد المجيد العالم الوحيد ليجمع شتات هذا الفن ويقطع باليقين رقاب الظن ويحل معضلاته ويبين مشكلاته حتى يحييه من العدم ويعلمه ولو للخدم فودعته وقلبي طائر وانسان عيني حائر وسار حفظه الله حتى دخل مصر واجتمع على ادباء العصر فوجدهم يسمون شقشقة اللسان عنوان البيان ويرون البلاغة والفصاحه في الهجاء والوقاحه ويعدون الغلط الشنيع من أنواع البديع فتحركت فيه همة حفظ الود وشمر حرسه الله عن ساعد الجد وقام باعبائه واجتهد في احيائه حتى ظهر بهمته الشهيره ظهور الشمس وقت الظهيره فمالت اليه الناس وتناولته بالكاس والطاس حتى كادت تقتحم لجه وتعرف من اين اخذ حججه فعاقهم عن ذلك حب الظهور واشتغالهم بحساب الايام والشهور وميلهم للسعي والكسب ولو بالنهب والغصب ولكنهم اغترفوا منه بطريق الشوق ما طور منهم الفكر والذوق وصاروا من أهل الادب لا الطلبه ولزمهم هذا الاسم بالغلبه فانسدت الطرق بالاشعار وباعوها بأوهى الاسعار حتى ملأوا البلد بيوتاً من غير تحكيم فهدم اغلبها وضاع في التنظيم ولم يظهر الا ماشيدته الاكابر ظهور الخلفاء على المنابر ولخوفه من ذهاب الادب بموت اهله [1] ورجوع العالم لضلاله وجهله أنشأ في هذا الفن بديعيات عده هي للمتأدب سلاح وعده ودوّن في الشعر ديوانا جعله للامراء ايوانا ما غرس كدوحه غارس ولا دخل حومته فارس [2] كيف وقد قاتل عليه بالرمح

---

(١) قد وقع رحمه الله فيما خاف منه فان ديوانه وبديعياته عثرت عليها أيدي المتشاعرين فاختلستها من التركة ليدعوا ما لم يكن مشهوراً فحسبي الله ونعم الوكيل (٢) فى فارس التورية بالمرحوم أحمد فارس محرر الجوائب

الرديني حتى اشتهر بالشاعر الحسيني وطالما بذل الهمة العلويه في مدح الحضرة النبويه فمن ذا الذي شاكله في فعله ومن له فضل كفضله كلا لم يدركه طالب ولم يفته هارب فانه امام الدنيا وقبلة العايا ولم ازل في وجد عليه وشوق اليه فانه من سوء الدهر وغدره كان يشكو بصدره فلم ازل اسأل عنه كل حاضر واراسله مع كل صادر حتى حضر الليلة اخوه وخديمه وصديقه ونديمه فسكن روعي بما ابداه واوصله لسمعي واهداه من انه في صحة وعافيه واحوال صافيه منعم بنزاهة نفسه ممتع بضياء شمسه قد فتح باب الادب بعد الاغلاق واستغنى عن الخلق بالخلاق لا يقول الا الحق الظاهر ولا يخدم الا البيت الطاهر فسررت بهذا الخبر وألبسته عليه الحبر واكتفيت منه بهذه الاشاره فهي عندي أعظم بشاره فقالت السماء او حضر النديم لبلده لزيارة اهله وولده فقال الثغر نعم قد حضر وسرني بهذا الخبر فقالت السماء يلزمنا مقابلته بالملابس الرسميه والامطار الوسميه فقامت وقعدت وبرقت ورعدت وأرسلت السحب كالبحار وسوّت بين الليل والنهار فاستكنت في الاماكن الابدان حتى تطهر الثغر من الادران ثم طلعت الشمس بعد اربعة أيام وامتلأت الطرق بالظباء والآرآم فأردت الخروج للنزهه واقامني مع بعض الاخوان برهه فرمدت بعيني اليسار وأردت ان ازور فصرت ازار فلما برئت من الرمد ادركني الكمد بخروج دمل تحت ابطي كأنه مح الشرطي فانه عاندني عنادالسكارى وألزمني حالةالاسارى وكبرالى ان صار كثدي الناقه وآلمني بما هو فوق الطاقه فاستعملت له اللبخ حتى لان وانطبخ ثم ضربته بريشة من الحديد وشغلته بفتيل جديد حتى تحققت انه برئ من سقمه وتطهر من دمه فقطعت الفتيل عنه بعد فراغ الدم منه فالتأم وختم وضم ثغره وكتم وبعد يوم ظهر في جهتين وكنت في بلوى فصرت في بلويين فلبخت لهما أياما وتحملت منهما آلاما حتى صارا يستحقان الضرب ليزول عني الكرب فضربت الذي لان بريشه رجاء ان تصفو العيشه فلا تسل عن ضرب الحكيم جسمي العليل ولا تنس هول تغيير الفتيل وبعد يومين من فتحه اكتحل الاصلي من قيحه نفتحت عينه العميا ورمت بالدموع رميا فزاد الالم في يدي واتسع حتى خفت على كبدي وبين هاتيك الاحوال مصائب وأهوال منها ان الدم وقف بأعضائي حتى يبس وعدمت الاحساس لو بالنار لمست ثم

زادت الرطوبة حتى صرت كالبرد وقد وهى جسمي كانه ابرد فتحقق لاهلي الموت وضجوا بالصياح والصوت وقد لزمتني الغمرات وقامت بي السكرات فكأني أنظر للروح تمشي مشية مدلّ بنفسه وجسمي بعدها يتهيأ لرمسه وعينيك ما تصورت نفسي سوى باريها ومعدمها وذاريها ولم اكترث بعيوبي ولا كثرة ذنوبي بل انحصر رجائي في ربي واتسع املي في حسبي فطلبت الماء وتوضأت واستقبلت القبلة وتهيأت فبعد برهة تداركني الله باحسانه ولطفه وامتنانه وعادت الروح للبدن وشب جسمي من العافية وشدن فأدركت الجس واللمس وتكلمت ولكن بهمس ثم قلت الحركة عما بدأت وسكنت الاعضاء وهدأت فرأيت الفرح ينشر على اهلي راياته والسرور يتلو عليهم آياته وقد غصّ البيت بالجيران وكثير من الاخوان فلما تم لى الشفاء ونوّر بيتنا الصفاء تحركت الهمة القرشيه والرأفة الاخويه في شقيقي عاشق افعالك ومحب اهل الادب امثالك فأحضر جملة من حملة القرآن ودعا مئينا من الاخوان وأحيا تلك الليلة وليلتين بعدها شكراً لله اذ أتم لهذه العائلة سعدها وأحيا لها عديمها وأنطق فيها نديمها والوالدة الرؤوفه المحبة العطوفه ما صاحت ولا بكت ولا ندبت ولا اشتكت بل لم تحول عن القبلة ليلتها فسبحان من قوّاها وثبتها والناس يدخلون عليّ افواجا فرادى وازواجا حتى اذا طوى الليل بساطه وحلّ النهار رباطه نمت ساعة او ساعتين وقمت وقد شغل ابطي بالبلويين فما وجدت سبباً لأنسي وراحة نفسي سوى مخاطبة مقامكم العالي واستهداء عذبكم الحالي فانه مرهم النفوس الجريحه واثمد العيون القريحه فكتبت والألم يطاردني والأمل يساعدني شوقاً اليك ونداء عليك فأدرك اخاك ولو بحرف او شرّف ولا تستكثر الصرف وعلى أية حاله فالقصد لفظك ورقائقك ووعظك فالشفاء كلماتك والصفاء ذاتك ثم انى اعرض لسدتك السنيه وحضرتك البهيه اني مع هذا المرض الاليم توجهت مرة الى الشيخ سليم فوجدت العدوى سبقتني اليه وتخلف في بيته بعينيه فسألت عن داره من جاره فأفادنى افادة ركيكه وقال سل ابنه او سل شريكه فلشدة المطر وخوفي من الخطر رجعت الى مسكنى ولزمت مأمني وقلت عند الشفاء ارجع اليه وأسأل عليه حتى لا أعود الا بخبر صحيح ونقول صريح فسجنت بعدها تحت العرش ولزمت الوساد والفرش وشربت صبر ايوب بالكاس وأظهرت التجلد للناس ٠

اسامرهم وانا حريق وانجدهم وانا غريق وهم يضحكون وانا الباكي ويلعبون وانا الشاكي
وقضيت على هـذا عدة ليال اسامر الصحب والآل وقد صيرني الألم كالرمح بل القلم
فـكتبت ما كتبت ودر الفاظك طلبت وانا مخاطر بنفسي مظهر لنقسي [1] طامع في شراء
الصدف بردئ الخزف واستهداء اللآلى بالخلق البالي ولـكن عادة كل امير ان يخاطبه
الصغير والـكبير ولطفه يشمل الـكل ولا يريهم الذل بل ينزل ويترجل ويحسن ويتفضل
فلا تؤاخذني بغروري ولا تمنعني من سروري وارمق الخادم بلحظك وداو كبده بلفظك
فانه يستفتح باب ابياتك ويقسم عليك بحياتك وحاشاك ان تغلقها امامه وتجعل جوابه
حمامه وانت السيد حيثما كنت فلله أنت ثم انت

حفظ الودائع لدرر البدائع

(وهي رسالة كتب بها الى بعض اصدقائه شكراً على محرّر وصله منه)

لبيك كوكب الصبح دام نداك وسعديك نسيم الصبا طاب شذاك وأهلاً بك يا نور
النهار ومرحباً بك يا نور البهار فاني ارقت للقاء مذ سمعت بالاسراء وما زلت أسأل عن
ركبكم في منازل البدر وأستفهم من ركبان النجوم حتى مطلع الفجر فالشعرى تقول تركتهم
بتلك المرحله وعطارد يقول تقدمتهم بمنزله والمريخ يقول أناخوا ركائبهم والمشتري يقول
أثاروا نجائبهم والدجى تقول ليلهم قمري والزهرة تقول هم أدلاء على أثري وكل ذلك وأنا
هائم كخاطب ليل [2] حتى طلع عليّ من جانب السحر سهيل فهممت بتقبيله فأبى وارتفع
عني ونبا فأشرت له بتلطف وانشدته بتعطف

سهيـل انعطف وانزل بساحة مغرم يراك بعين طول ليلها عبرى
عسى يأخذ الاخبار منك عن الألى سيصلى بهم جمر الغضا ولك البشرى

فسحب رداء التيه وأنشدني من فيه

كأنك بالذكرى وقد بان ركبهم اليك ونجم الصبح في القبة الخضرا
فشاهد محياه وقبل يد الصبا لعلك باللقيا من الاصطلا تبرا

فقبلت أثره الف الف وحولت نظره الى خلف واذا ببريد النسيم يناديني ودليل الفجر

(١) النفس العيب (٢) خاطب ليل طائر لا يسكن الليل كله

يناجيني ويقول أنا الضمير المستتر وما كنت تنتظر فما لويت من وجهته جانباً بل شكرته وان كان كاذباً فلما رآني اجيب نداءه وعيني تنظر وراءه تلطف في الكلام وانصرف بسلام ثم أعقبه السيد الاصيل والامير الجليل منبع الاشراق ومعدن الأرزاق منبه القوم من الغفله ومانح الانام ظله شارح الصدور وباعث النشور ينادي امامه الفجر الوضاح سبحان فالق الاصباح ونسيم الصبا يميس بحسن القد ويعطر الوجود بنشر المسك والند وداعي الخير والصلاح ينادي حيّ على الفلاح فقمت اتعثر في اذيالي لأقابل هؤلاء الموالي فرأيت الصبح قد تقنع بقناع احمر وتحلى بنفيس الدر والجوهر والنسيم قد زادت رقته وازدانت دقته والنور قد كشف اللثام عن وجه النهار والروض شاكل السماء بتفتح الازهار والقطر طيب الوجود بماء الغوالي والغصون ماست تحاكي السمر العوالي والارض توشحت بوشاح اخضر وجرى عليها الماء حتى تقنطر فقلت للصبح أيها الامير الزاهي المنير هذه اللمعه انوار يوم الجمعه ام ذاك فجر عرفه وانت صبح مزدلفه فقال ما انا ذاك لا عدمت شذاك انما انا صبح الوسائل ونور الرسائل وهذا نسيم الطب حامل كتاب الحب وما تراه في الوجود زينة قدومه وواجبات رسومه فقلت من اين يا مطلع شمسي فداك روحي ونفسي امن حبيب صادق ام من عدو منافق فقال بل من المخلص في وده الوفي في قربه وبعده الصادق في حبه الواله في صبة عنوان الادب ومنتهى الارب وكتاب الامان وانسان التبيان غارس المعاني في حديقة افكاره وجاني ثمر البديع بعد قطف ازهاره مجري جياد القريض في ميدان البداهه ورامي نبال الانشاء في غرض النباهه أثيل المجد اصيل الجد فرع شجرة الجود المثمره . ونجم ليلة القدر المقمره وأحد السلالة المطهره وزهر الدوحة المنوّره شقيقي نسبا وصديقي حسبا السيد الشريف . والمولى الظريف الصاحب الابر والخليل الاغر

الماجد الحر اهل الجود والكرم ... آباؤه الغر أصل الخير والنعم

شوقي اليك لطيف الود حركه ... فطرّز الوشي في نوع من الكلم

فقمت لمقابلة النسيم على قدم الاجلال ووقفت وقفة المستمنح من الجواد النوال فوافاني وقطر الندا يسيل من يمينه واشعة الشمس تشرق من مشارق جبينه

سرّ به تنعش الارواح من طرب ... مخلق الثوب مطبوع على الرشد
ناديته سيدي بلغ رسالة من ... بلفظه تشتفي الاحشا من الكمد
فجاء نحوي بكل اللطف ينشدني ... ابشر نديم يبرء القلب والكبد
هذا كتاب الصفا في طي بردته ... شفاء داء الحشا والصدر والرمد
أخذته بيمين العهد مستلماً ... من غير واسطة لكن يداً بيد

ووضعته على رأسي وروحت به نفسي ثم كشفت لثامه وفضضت ختامه ونظرت له بعين الجلال والنجوم بعين الجمال فاذا النجوم رسوم وهو حقيقتها والمعاني غصون وهو حديقتها ان شبهت مداده بالمسك كان عكس التشبيه او حروفه بالدر كان عين التمويه فانما المسك ترب شم مداده فتعطرت عكنه والدر خزف شابه حروفه فغلا ثمنه وما هو الا ترياق النفوس وأنوار الشموس تبتهج الارواح بتلاوته وتحلى الاذواق بحلاوته وتضيء العيون برؤيته وترتاح القلوب برويته كيف لا وقد رق النسيم بحمله وحصل البديع به على جمع شمله كتاب تهيم فيه الالباب هيام قيس بالرباب وتميل اليه الارواح ميل النور الى الصباح وتنتعش به القلوب انتعاش الولي بعلم الغيوب وتحن اليه الافهام حنين الاغراض للسهام كتاب لو سمعه الحريري لعاقه عن المقامات التي او علمه فرعون لرجع عن البهتان والغي بل لو تلي على سحبان ما تفنن في خطبه او نشر على ابرهة لارتد على عقبه كلماته أبطلت سحر هاروت وألفاظه اوهت قوى جالوت من بيانه اخذ الصاحب ابن عباد وبحسنه تحسنت ذات العماد كتاب لفظه عنوان الحماسه ومعانيه اسرار الفراسه تتبختر الآداب في رحابه وتتيه محاسنه على اترابه اذا قرأت لفظه وسمعت وعظه ورأيت ما فيه من المرقص والمطرب والمنعش والمعجب وتلوت ما فيه من الرقائق ونظرت ما حاز من الدقائق علمت انه معجزة المتنبي وان تأخر زمانها وفطنة المعرّي وان بعد مكانها كيف لا وعطر نرجس بلاغته ازرى بطيب الريحانه وحسن دمية بيانه نبه على ضيق الخزانه وانسجام رقائق كلماته اغنى عن البديعيات ورقة لطف سجعاته تاهت على الارتقيات سكرت من سلاف معانيه رشفا وقرأت ما فيه حرفاً حرفاً فاذا هو سفير عن فؤادٍ ودود وترجمان عن ضمير غني عن الشهود ضمير ظاهره المراسله وباطنه المواصله ما اصاخ اذناً للاحي

ولا اعتاض سكران بصاحي قد سكن قلباً شعاره الود ودثاره حفظ العهد ما اساء محبه ولا مل قربه ولا رغب في صد ولا غر بضد ولا ابق من حب ولا تحول عن حب قلب اصفى من الصفاء واوفى من الوفاء كامن بحب ظاهر في صدر طاهر واسع رحب عامر بالصحب صدر كأنه اصداف اللآلي او صفحة مقمر الليالي ركب في جسم جليل ورسم جميل في غاية الجمال ونهاية الكمال يحار فيه الطرف ويعجز عنه الوصف جسم قده غصن البان وانامله اقلام مرجان وسواعده سبائك اللجين وراحتاه صفحتا القمرين ووجهه طوق الهلال وثغره منبع الزلال وعيونه كأنها الصبح بعد السحر بياض حول سواد كالقمر وأنفه كأنه في اللطف ميزان النجوم وخده في صفاء اسلحة الفرسان وقت الهجوم وجبينه النهار وقت الرواح وحواجبه قسي نبال الكفاح قام بادارة الجميع عقل وافي يدبره فكر صافي عقل ما الف الا دقيق المعاني ولا انف الا من كاذب الاماني ولا اثمر الا فضلا ولا جنى الا نبلا ولا اتى الا بطرف ولا اشتغل الا بتحف فكم له في النظم ابكار تحلى بها الافكار وكم له في النثر قلائد تتزين بحسنها الخرائد فمن كلامه الفائق وتثره الرائق ما اتحفني به في هذا الكتاب وفتح برقته باب اللباب يتوجع فيه من تأخير مكاتبتي ويميل بحسن الى معاتبتي فما احلى كتابه وما الذ عتابه ان عتاباً يسوقه الود لعين الوصال وكتاباً يحث على حفظ العهد لنفس الكمال فودّه وعتابي جدير بقول العتابي

ولقد بلوت الناس في حالاتهم وعلمت ما وصلوا من الاسباب
فاذا القرابة لا تقرب قاطعاً واذا المودة أقرب الانساب

فلا غرو ان قلت أخ عاتب شقيقه ومحب كاتب صديقه كيف وغرس اصولنا واحد ومنبت شعر رؤوسنا ذاك الماجد سر الوجود وبدر السعود باب الحق وأصل الخلق سيد العالمين وامام المرسلين الهادي الى الجنه والاصل في كل منه منقذ الارواح من الشقاء ودال السعداء على البقاء النور المكوّن منه كل موجود والذات المنتسب اليها كل محمود العلم المرفوع فوق كل علم والمولى الناطق بصواب كل قلم الجواد الذي من فيض جوده زهرة الدنيا ومن وطء نعال قدمه رفعة العليا المفرد الكامل المكمل المجد غياثي وملاذي سيدنا ومولانا محمد عليه صلاة الله ما تحرك شبح مرّ عليه نسيم وسلام وتحيات

ما تعلقت رحمة بارادة كريم ولو علم السيد ما انا فيه من معاناة الامور ومعاداة الدهور لالتمس عذرًا لتأخيري وضرب صفحًا عن تقصيري ولكنه اصاب اذ متعني بنور خطه وان اغرقني بحر معانيه في ساحله وشطه فمن أين للنهر معارضة البحر ومن أين للراجل مجاراة الفارس وكيف يقاس موري زنده بقابس ولكن كم سيد كاتب عبده وجعله كالرفيق عنده وكم عبد عرض لمولاه ما نعمه به واولاه وانا أعرض على مسامع سيدي ومالكي ومؤيدي انى على ما رباني منعم بما اولاني حافظ لعهده مغرم بوده اتضلع حبه وآمل قربه هائم بذكره مشتغل بشكره وارجوه العفو والصفح عما يوجد في هذا من القبح فقد حررته ليلة نوبتي بعد عشائي وقبل نومتي مع صفير الوابورات وجعجعة العربيات ونداء العده مدة بعد مده وعندي من الاوباش كل سكير حشاش حزب يلعب الدمنه وفريق يقرا كليلة ودمنه وقوم يلعبون النرد وشخص يقزح كالقرد وكنت في بلوى كبيره اذ صار المحل كبيره فظني اني اسامح على الغلط واعذر بكثرة اللغط وكل هذا اذا صحبت كتابي نسمة قبول ووقع عند سيدي موقع القبول والا فهو لا يصلح لمسامعه الكريمه ولا يليق بفكرته السليمه ومع ذلك فاني مهديه من السلام ما يتعطر به زهر الاكمام ومن التحية ما يرضاه ومن الاجلال ما يهواه فالشوق لا يعبر عنه لسان والوجد لا يملكه الانسان ولا اقول شوقي اليك شوق المذنب للرحمه والمعدم للنعمه ووجدي بك وجد الشمس بالظهور وحبي لك حب الايام للدهور وشغفي بك شغف الطفل بالرضاع وولهي بك وله القوة بالسباع فانه تعبير تقريبي يغضبك ويزري بي لان حبنا ليس كحب الناس فانه لازمنا ملازمة الحياة للاحساس وان يسر الله الاياب وصرف عني دواعي الذهاب ووصلت حضرتك السنيه ودخلت ساحتك البهيه وحظيت من التحف بما لديك لثمت خدك وقبلت بين عينيك ان شاء مالك الملك ومجري الفلك جلت قدرته

وبلغه ان صديقه المرحوم عبد العزيز بك حافظ فصل من تفتيش السكة الحديدية فكتب اليه مستفهمًا يستفهم عن الحقيقة ويظهر الاسف فأجابه ذلك الصديق بان انفصاله من تلك الوظيفة هو عين مأموله ووصف له سرور اهله به في كل ليلة بعد ان كان مكابداً خطر الاسفار فردّ عليه النديم بهذه الرسالة وسماها

﴿ تنبيه اللبيب * وتسلية الحبيب ﴾

الحمد لله ذي الجلال والاكرام وعلى نبيه الصلاة والسلام وبعد فاحسن حالات العشاق قبول العتب وبث الاشواق لاسيما اذا لهج محب بالاحبة وغرد ولزم خطابهم وانشد

لست الملول مع التدلل والنوى   ان لم يكن روحي على هجري نوى
ما دام يرضى منيتي فقد استوت   عندي الاقامة في شبين او نوى
أَطعمته أثمار ودّي كلها   وغذيت من تمر المحبة بالنوى

نية المرء غذاؤه وطبه * ومن يتوكل على الله فهو حسبه

خلاصة الوجود ونتيجة السعود وغاية العليا وبهجة الدنيا ولطف البها ونور النهى عزيز جدي وحافظ ودّي رق لفظك وكلامك فطاب عتبك وملامك الا اني وان ظننت السراب ماء وتخيلت السحاب سماء واستنزلت البدر الى الارض واشتغلت بالنفل عن الفرض وتوهمت الدر من الخزف والسلامة في التلف وتصورت الصحة في الاسفار والبعد عن الامصار واقتصرت من النقد على النحاس وفضلت الدر على الالماس وقلت ان مصبوغ القماش هو الديباج وكساد البضاعة عين الرواج واستبدلت البحر بالنهر والدهر بالشهر

وفضلت النجوم على شموس   أضاءت بالاشعة كل وادي

فلست مخطئاً في فهمي وان حسن خطابك ولا مسترجعاً سهمي وان لذّ عتابك فما رأينا كبيرًا الا عن صغر ولا حسن اخلاق الا من سفر ولا بدرتم الا بعد هلال ولا تمكن حب الا من دلال وما سمعنا ان بيتاً بني بلا اساس ولا جيشاً هزم من غير حماس وانك وان كرهت التفتيش وبغضته وابيت المرور ورفضته وسمعت من اخوانك ما نفرك وعلمت ان القدر قدم غيرك واخرك فلا تنكر مقدمات الامور وامتحانات الدهور وركوب المشاق لبلوغ الارب واستعذاب الصبر لتفريج الكرب فعاقبة المتاعب علو المراتب جهل اخوانك هذا فكدروك ولو علوه لاستلطفوك واكبروك . ألم يستعمل الله نبيه في التجاره اكان ذا تمام اللذة ام نقصاً في الاماره كلا فان اللبيب من دار لا من لزم السرير والدار ومن لم يظهر بحذقه لم يظفر برزقه فانه وان كان مضموناً ومن الغوائل مأموناً

الا ان البركه في السعي والحركه فالبطالة عيب الانسان والكسل بئس العنوان وان كانا ليسا مقصودين لجنابك ولا يتمثلان ان شاء الله ببابك فان المعالي حومة وأنت فارسها والمفاخر روضة وأنت غارسها والحسن ذات وأنت دلاله والمجد عذب وأنت زلاله والادب جيش وانت اميره والبيان فلك وانت منيره والفصاحة باب وانت مفتاحه والمعارف بيت وانت مصباحه ظهرت فبهرت العقول بلفظك ونظرت فأسرت القلوب بلحظك فالمعارف والناس بين عاشق ومعشوق والنديم وعزيزه بين راشق ومرشوق ان حضرت عندي فذاتك شمس السعود وان غبت عني فذكرك عين الوجود وأسفي على لؤم الدهر لا على حساب اليوم والشهر فأنت لله الحمد في غاية الرواج لا فقر اعاذك الله ولا احتياج ولقد راقني وصفك الاهل وورودهم المورد النهل وركوبهم سرير النعم وطربهم منها باصفى النغم لا زالت الافراح تخدم موائدهم وايام السرور تحمد عوائدهم وصعاب الامور اليهم مذلله وتيجانهم بدراري سعودهم مكلله وجيد ايامهم مطوقا بصافي ابريزهم وسماء وجودهم منيرة بشمس عزيزهم القوة الفعالة في النفوس والمغناطيس الجاذب نور الشموس ونسيم اللطف الذي منه اوكسيجين الحياه وزلال اللطف الذي فيه ادروجين المياه والواسطة بين الذات والفوتغراف والقوة الموصلة سلوك التلغراف وميكروسكوب النظر القوي والضعيف وبارومتر النسيم اللطيف عجب عجيب وسر غريب اتحدنا في الفكر والعقل واتفقنا حتى في النقل فاني لما خرجت من مصر وانفصلت عنها وحضرت من المحروسة الى بنها رأيت بركاب العاده سليمان افندي واولاده فقال أريد ان تعنون بعنوان الوكيل فقلت حسبي الله ونعم الوكيل فاتني أنسي وحياة نفسي ان عينت بجهة ليس بها عزيز وفاتني من آدابه الحرر الحريز وما ثمرة الحياة اذا تجردت عن اللذه وما مزية النفوس اذا لم تكن اعزه ولم ادر ان القصد اتحاد انتقالنا في وقت وان صحبتك المعالي وصحبني المقت ولو يدري الانسان عواقبه لأمن عواطبه ولكنها اقدار تجري وفق مجريها واغراض اجسام نصبت لقضاء باريها ومن جعل الفرقة سيفاً لجيد القرب ولذذ النوح للمحبين ولثم الترب قادر على جمع الشتات وعدم افتراقنا حتى الممات فاني من بعد ايام قلائل ظهرت عليّ من السقام دلائل وتحيرت حيرة المديون ولزمت قول ابن زيدون

بتم و بنا فما ابتلت جوانحنا شوقاً اليكم ولا جفت اماقينا

شغلت بما لو شغلت به الكواكب لوقفت او حلّ بعضه بشوامخ الجبال لنسفت احشاء ملتهبه واعضاء مضطربه وقلب مجروح ودمع مسفوح وفكر في وهم وعقل بلا فهم وجسم نحيل من خطب جليل اثارته داهيه ليست بواهيه وما ادراك ماهيه نارٌ حاميه لا يخمدها الا الحنوّ ولا يطفئها الا الدنوّ متعني الله بنور ذاتك وابهجني بحسن صفاتك خرجنا من هذا الباب الى ما هو الصواب ورفع الاكف الى الله في طلب ما تتمناه حتي ينتهي الامل وينقضي الاجل ونحن على ما نحب من النعمة والقرب

وكتب عن لسان المرحوم السيد عبد الواحد الحريري شيخ الطريقة العنانية كان الى بدوي بك شعير لما بلغه انه فصل من وظيفته ما صورته

نور سماء الآمال وبهجت رياض الصحب والآل ليست التهنئة على قدوم مولود ولا وجود مفقود فالمولود مجهول الغايه والمفقود عوده آيه بل ليست التهنئة على حصول مرتبه او زيادة منقبه فالمرتبة يشترك فيها الشريف والوضيع والمنقبة سجية لكل ذي قدر رفيع وانما التهنئة على قرب حبيب او عودة غريب فبعد الحبيب يوجب الهيام وغيبة الغريب تشغل الاوهام واذا واصل الحبيب احيا محبه واذا عاد الغريب أزال كل كربه وانت الحبيب الا انك في نفار والغريب مع قرب الدار وطالما تشوقت اليك ادارتك وكادت تطير اليك امارتك والقدر يشغلك بالوظائف ويحرمها تلك اللطائف فضجت الى الله بالدعوات في الظهور والخلوات حتى تقبل الله منها وازال الاكدار عنها فاعادك بدراً في أفق تلك السماء وجعلك بركة في ذاك النماء فغنت لقدومك الاطيار ورقصت من الطرب الاشجار كيف وأنت بحر ضاق عنه مجراه وبدر لم يجد فضاء لمسراه اللهم الا ان تكون رتبة على قدر همتك وادارة تسع عظيم سطوتك اذ ذاك نود من الله دوامها ونرجو زيادة الحالة وانتظامها واما ما تركتها فقد كانت صغيره والاسف على فوتها كبيره فحركة ادارتك منها أسنى والانس بالاهل اشهى وأهنا ولذلك بادرت بالتهنئة على ما فات راجياً من الله علو الدرجات فالمحب يحب رفعة الحبيب وكل آت قريب ان شاء الله

وكان قد بلغه عن صاحبه المرحوم عبد العزيز بك كلام وكانا قد هجرا بعضهما فكتب اليه هذه الرسالة وسماها

﴿ دفع العرام[1] بذل الغرام ﴾

بينما انا راكب لجة بحر الفكر مجدّ في طلب فريدة بكر تارة اغوص ومرة اسبح وآونة اقف وطوراً اصفح لا يقرّ لي قرار ولا يمكنني الفرار ولا يقصر عن طرح شباكي ذراع ولا يطوى لسفينتي شراع كلما ادركني الملل هاجت عليّ رياح الامل حتى دخلت في بحر عجاج متلاطم الامواج فاقتحمت هذا القاموس الصعب وتهت بين الجزائر والشعب فتعلقت أفكاري بالسواري والحبال وبت بليلة نجومها كواحل لا يرى فيها برٌّ ولا سواحل وقلت اشتداد الامر يستدعي ضده ولا يأتي الفرج الا بعد الشده وعينيك ما سل سيف فجرها على مفرق مساها حتى سمعت بسم الله مجراها ومرساها فكان من تمام حظي وسعودي ان تركت لجة اليمّ واستوت على الجودي وانصرف خوفي وارتبا كي وبادرت بطرح شباكي فاذا هي قد ملئت بأصداف الجوهر وعلقت بها شجرة العنبر فتفتح الصدف عن در يستخدم الاقمار وفاح العنبر عما أذهب شذى الازهار

وصرت ما بينها كسرى الزمان له شمس تنادمه في مجلس عطر

ونلت أقصى أمانٍ كنت آملها الانس في خلدي والنور في نظري

ولما جلوت الطرف بما فيها من الظرف ووقعت عندي الموقع الحسن أردت ان اسومها بثمن فاذا هي درة يتيمه لا يقدر لها احد على قيمه فاستهديتها من ربها لشغفي بحبها وجعلت القلب لها كنزا والفؤاد لها حرزا ألا وهي محبة العزيز الحافظ أبدع مرئي وابلغ لافظ فلا تعتب ايها العاذل فلست بالمحب الهازل واترك النقول واسمع ما اقول غلب الوجد فلا عتب ولا ملام ونأى الحب فلا وصل ولا منام وما شكوت من سهد ولا سقام ولا رغبت في كسب ولا مقام ولكنها الايام رأت منيتي بالمقام الاسنى وقد ملك فؤادي بسيرته الحسنى فلما رأى اغصان محبتي مالت اليه لتجنى دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى ثم انصرف بسلام فذبلت لبعده اغصاني ووقفت لصدّه اجفاني وجرت بعتبه

(١) العرام الحدّة

اعيانى وحسن كلامه اعيانى وهذه عادة المدام كلما هبت الارواح المصريه وخلقتنا النسمات العطريه وجاءت البواخر البريه تحمل خلقاً من البريه براني الغرام فأهيم في الليل البهيم حيث لا نديم ولا كليم ولا هام لجسمي للهموم هدف والحظ قالوا صدف بدر في صاف وصب في تلف ابن النظام بعدت الشقه وزادت المشقه فأخذني الوجد رقه واستوفى مني حقه بنبل وحسام دعوه دعوه لقوم ودّعوه بحفظ المقام وزدني ياهوى سقاماً وجوى فقلبي في هيام ما شاء الله كان قد صار في الامكان ان أنشئ الكلام فيا لفظي الوجيز اذا جئت العزيز قبل الاقدام وتلطف في الخطاب اذا دعيت للجواب واحذر الاوهام فمطر الاحسان عذب اسيره واه غضبان وحجتي قصيره تاهت بها الافهام وحاذر التزييف وألفاظ النفاق واستعمل التلطيف وترجّ التلاق تبرأ من الآلام واستشهد بالاشجان وطول الارق وزكها بالاحزان ونيران الحرق في مجلس الاحكام واذا قدمتم اليه فاستسعدوا الاوقات ولا تهجموا عليه في مجلس الدعوات خشية الزحام بل قفوا بالباب واسألوا بالوزن فان دخل البواب واتى بالاذن فادخلوا بسلام

وكتب الى محمد افندي فتح الباب على لسان الاديب البارع الشيخ احمد ابراهيم الاسكندري شاكراً له ما صنعه مع والده (ناظر الدخيلة كان) من الجميل ما صورته الكرم بالهمم فوق الكرم بالمال والتعاضد بالانفع لا بالآل فكم اخ لم تلده الام ودعوة سمعتها الصم والمصاهرة بالافكار خير من المصاهرة بالابكار فالمرء بهمته يعرف نسبه وبحسن مساعيه يقدر حسبه ولا يعلم السعي الجميل الا في الخطب الجليل ولذلك سنت المدائح للتفضل المانح . لا سيما اذا كان السعى للاحباب وظهر الخير من فتح الباب فان الشكر يكون اوجب. ودوام المودة اصوب ولا يشكر على الهمه الا من عرف قدر النعمه وانا ذاك العارف بقدرك المستضيء ببدرك العاجز عن القيام بالشكر المتمايل براح همتك من السكر واذا لم تقم الافكار بامتداح الامير فلا اقل من الاعتراف بالتقصير وهذا كف المعترف به رقيم المعترف فاذا كان له حظ ولمحه منك لحظ ترجم عن فؤادى شكر تلك الايادى وحمدك ايها الماجد على ما فعلته مع الوالد وهكذا تكون الرجال اذا ضاق المجال

فالناس بالناس والدنيا مكافأة والشكر للحرّ دون الناس ميدان

وماذا تقول الفكر في بحر كله درر ومعنى سره سمر وروض حليه ثمر وسماء ما غاب لها قمر فانك كوكب أفق الاناره ورب سرير الاماره فقد طالعت من كتاب والدي ما أنار انساني واعجز لساني فحررت هذه السطور شاكراً سعيك المبرور الا انها بلسان الامكان لا بقلم التبيان وفي طيها الود والوفا وسلام على عباده الذين اصطفى والا فلو ألزمت فكرتي مدحكم بالحتم لاستحال عليه الانتهاء والختم

وزار يوماً منزل المرحوم محمد باشا سيد احمد بشبرى مع المرحومين السيد عبد الواحد الحريري والسيد محمود العكام فلم يجده ولكن وجد هناك ولده حسين بك حسني ومعه الشيخ سليم عمر امام مسجد القلعة فبعد المسامره ساعة عرجوا جميعاً على المدرسة والبستان ورأوا ما فيه من اللطائف والقصور المزخرفة بجميل الظرائف ثم خرجوا بعد الغروب فكتب له رسالة ومعها مع قصيدة دالية ابتدأها بمدح السيف ومطلعها

سبق الجياد اعانة المستنجد وجلا السيوف اغاثة المستنجد

أما الرساله فهي ﴿ نجوم الليالي في عقود اللآلي ﴾

ما شاء الله كان وصار في الامكان فترقت له الهمم العاليه لرشف كؤوسه الحاليه بعقلها الوافي وفكرها الصافي فالعقل لا يتصور الا ما يراه من صنع من براه واذا وصل الغاية وقف وسكت عن السير وكف وقال ليس في الامكان أبدع مما كان ويحمد الله على ما أوصله اليه وما تفضل به من الاحسان عليه ويصلي على ضمير غيبه الظاهر ونور سره الباهر سيدنا محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن والاه حتى اذا خرقت الاقدار العادات وبزغت شموس السعادات تحلى الوجود بآيه فوق تلك الغايه فيرمقها العقل بعين التدبير ويعرضها على فكر التعبير فيراها شمساً لا يحجبها سحاب ولا يعتريها اياب فيعقل أو يتأول ثم يرجع لقوله الاول فتجذب رداءه آيه وتنشر على رأسه رايه فيستظل بظلها الوارف وينظم في سلك المعارف وهكذا في كل آن يمتد ساعد الامكان فيعد وينجز لا يفتر ولا يعجز بدليل نص الكتاب المعجز الوجيز ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز فقد فتح كنوز سره لقوم يعقلون بارشاد قوله ويخلق ما لا تعلمون فكلما تعلقت

به الارادة التي لا يعتريها سكون طلعت عليه شموس كلمة كن فيكون وهذه كلمة واحدة كان بها الوجود اسفله واعلاه ولو ان ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله وحجة العقل المستكمل الادوات يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وهذه نعمة من نعم العزيز الغفار وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار وخالق الارض والسماء يزيد في الخلق ما يشاء لا يعجزه شي [و]لا يلحقه طي ولا يعتريه حصر ولا عي ولا يطلق عليه ظمأ ولا ري ولا يخفى عليه ميت ولا حي ولا تنفعه طاعة ولا يضره غي فعبارة ليس في الامكان أبدع مما كان بالنسبة لحد الافهام وقصور الاوهام لا بالنسبة لتعلقات الاراده ورفع القدرة نقاب العاده ألا ترى انا قطعنا باليأس من عود فطنة اياس ولوينا اعنة الجياد عن حومة ذكاء زياد وقطع علينا ثعبان طريق خطب سحبان وحرمنا كل فائدة من بلاغة ابن زائده وتكدر كل حي بموت حاتم طي ومات منا مدنف بطلب حلم احنف وعدمنا الحظ ونقله بذهاب ابن مقله وفاتنا الانشاء البليغ المفيد بموت ابن العميد وعبد الحميد وتفتتت في طلب الادب الاكباد فلم تدرك الفتح ولا الصاحب ابن عباد وقد حرنا حيرة المديون في معارضة رسالة ابن زيدون وأسف كل الملا على حفظ ابي العلا وقبضنا في شرف الانفس الجمر طمعاً في هيبة ابي عمرو وكم اصبحت الفرسان بعقل خرب من الفكر في شجاعة ابن معدي كرب وعجزنا عن القول المنبي من حكم وامثال المتنبي فرفعت القدرة حجاب الاوهام وفتحت للفكر باب الافهام وأطلقت العقل من عقل العجز وفكت عن مقدماته عقود الحجز وأطالت همته القصيره وأيدته بنور البصيره ثم أتمت له اللذات وجمعت له هؤلاء في ذات

وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

روض الادب المثمر وفلك البيان المقمر وبحر البديع الوافي وجو الذوق الصافي ونور شموس الفصاحه وحسن بدور السماحه مستأسر الدنيا بوجوده ومتطي العليا بجوده ومستخدم النفوس بحسن أخلاقه وفاتح باب الانشاء بعد اغلاقه المفرد العلم رب السيف والقلم الذي تضاعفت به المحامد فعرف بمحمد در كنز الفضل سيدى احمد بليغ ان تناول قلمه تسابقت اليه البدائع فاستخرج من اصداف لآلئها الودائع همام لو توجه للسماك بهمته لبسطه المعالي

تحت أقدام وطأته بحر اذا ورده العالم حالة الجدب صدر وهو عاجز عن القيام بأعباء الخصب بدر تهتدي به العقول في ظلمات المعقول والمنقول سيف لا يثلم حده ولا يعالج خده[1] غيث أنبت أغصان السعاده وأثمر أفنان السياده أمير تحلى به المعالي تحلى العقود بالآلى مجيد تميل له المعاني ميل النفوس للاماني عذب اخضر به روض الجود وأثمر بريه غصن السعود

من يدعي موت الألى سبقوا وهم أحيا جميعاً في صفات محمد

راجت به بضاعة الادب فوفد عليه الناس من كل حدب وتشرفوا بمقامه العزيز وهو يجيز كلا ويجيز فكم أعطى سائلا وأفتى سائلا وأظل قائلا وأجاز قائلا وسوى عائلا وأغنى عائلا وسقى ماحلا فأحيا ماحلا وأجاد كلاما وأبرأ كلاما ومنح قربا ووصل قربى وحسن اسفارا وأحسن اسفارا ورفع اعلاما ونفع اعلاما وأعظم براً وعظم براً وناظر حبراً ونضر حبراً واغاث مستنجداً وزود مستنجداً

وكم له من أياد ليس يخلقها مرّ الدهور ولا تنسى مدى الزمن

وطالما تعلقت مني الآمال بمقابلة بدر الكمال والدهر يبعدني والحال يقعدني والحياء يمنعني والهيبة تدفعني وأدبه يناديني وحظي يعاديني وبلاغته تجذبني وعيي يكذبني وقصوره ترمقني وقصوري يسبقني وحسن خلقه يقربني وبؤس زمني يغربني وأنا اشرب الامور غصة فغصه حتى اغتنمت من الزمان فرصه وسرت لمقامه الشريف ومقامه المنيف مع افاضل امجاد وكواكب اسعاد فسبقني حظي بفرسانه ولم اجده ببستانه الا اني وان حرمت بره فقد صادفت سره كوكب صبح البيان وشمس سماء الاحسان مجري جياد فكره في ميدان الآداب ورامي سهم نباهته في نحور الالباب آسر المعارف بفكره ومطلق الالسن بشكره من عاذ به الادب من الاغبياء وقال اغنتي نجل الحضرة المكرمة حسين بك حسني فسامرنا برقائقه ونادمنا بدقائقه واسعدنا بجوده ومتعنا بوجوده وتلا علينا من الآداب آيات فكانت الدعوى للمتبني ولحسين المعجزات فعلمنا ان الولد سر ابيه وغير غريب نجيب من نبيه وفي اثناء اقتطاف ذاك الثمر واقتباس نور هذا القمر تفضل علينا المولى العليم حضرة الاستاذ الشيخ سليم ومتعنا بمشاهدة بعض الآثار وما تلألأ فيها من

(١) الخد القطع .

الانوار فرأيت ما لو رآه العاشق لسلا او الصبر لعلا او المحزون لسرّ وفرح او السائح لوقف وما برح بل لو علمها من قبل قوم عاد تركوا عمل التي لم يخلق مثلها في البلاد من روضة هي الجنه حيث لا كلفة ولا منه تحلت بأزهار أبهى من الاقمار وأقمار تنهب الاعمار وغصون يلاعبها النسيم فتقبله بثغر بسيم ان غضب مالت تقبل قدمه وان سكن قامت تشابه خدمه تارة يغني فتميل طربا وساعة يهيج فتودّ هربا رأتها البلابل مأمنا فاتخذتها مسكنا وغنت تعارض النسيم في نغماته وصاحت طربا من رقة حركاته والازهار تطيب ثغورا وتضحك سروراً والاوراق حازت الشرف الاكبر فلبست من رقيق الديباج الاخضر وكلما سكرت الاغصان من شراب الانهار تنقلت بالثمر وقبلت الازهار وقد كشفت عن حسنها نقابا وكتبت مع النسيم كتابا انه متى صح وطاب وبرئ من الاوصاب قابلته بالملابس الرسميه وسكرا من الخمور الوسميه واباحت حسنها لكل واصف وعذب نهرها لكل راشف وزهرها لكل خاطف وثمرها لكل قاطف فان اعتل مزاجه وطال علاجه تجردت من حليها ولآليها وتغيرت على اهلها ومواليها اسفاً عليه وشوقاً اليه ومتى احسن الحكيم حاله قابلته بتلك الحاله فهي ولهى بجزوع وهو بجذوع ومدرسة بكل بديع حسن موصوفه فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفه سقفها ادب لا خشب وارضها انبساط لا بساط وفرشها احسان لا أقطان ونقشها علوم لا رسوم أساسها بيان لا بنيان تحلت بولدان لا غزلان صغار كبار عندهم الكبار صغار من زيادة الآداب لا من نقص الالباب قد جرد كل شيف ذهنه وقام به يسطو وأباد مادونه اقليدس وارسطو حيث لم يجدوا فيه حلوا يجنى ولا لطيف معنى وتلاعبوا بمخترع المعاني وحلوا بها المباني وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين من طعام وشراب ولباس وألسن ومعلموها الاعلام قد ذكت منهم الافهام وسهلت أذواقهم وعظمت أخلاقهم وحسنت سيرتهم وطابت سريرتهم فهم أدري بكل منقبه وأحرى بتلك المرتبه وقصور عاقني عن وصفها القصور قصور عدم الاطلاع لا قصور الباع وهبني اطلعت على باطنها ودخلت كل منسا كنها هل يمكن لساني ان يترجم عن انساني فان الانسان بسيط الطبع واللسان مركب الوضع والبسيط لين العريكه والمركب عبارته ركيكه وهبه مدّ للانسان أشراكه وتخلص من تلك

الركاكه فساعساه ان يقول اذا لم يستصحب معه التقول غاية مايقوله من الابتداع وسلامة الاختراع قصر بنته المعالي بحرّ اللآلي على هندسة السعد ورسم المجد وشيده الانس بسرور النفس ونقشه البدر بنور ليلة القدر وفرشته الاماره ببسط الاناره وملأه الحبور بكراسي السرور وزينه الانشراح بسرور الافراح وهيأه الصفاء بأواني الشفاء وفيه بدور مدى الدهر لا يأفلون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون وتنوره ذوات الوقار لا شمس النهار وأمير الشجعان وقت الهجوم لا بدر السماء والنجوم خادم اهله عفه ومنادمهم الفه وحاجبهم عصمه وما بهم وصمه لباسهم ثياب الجلال وحليهم عقود الاقبال وشرابهم سلاف التهاني ونقلهم مصداق الاماني وطربهم رنات اللآلي على غصون المعالي وتفكهم بظهور ليلة القدر من بين الجيد والصدر يتمتع بها بدر سماء سعودهم ونور شمس وجودهم فهل هذا يقوم بوصف ذاك الايوان كلا فقد أدرك الحصر اللسان وعاقه عن الحقيقة الاعجاز فالتزم المجاز والايجاز ولما انقض عقاب من العي على فكري ونسر وعجز اللسان عن وصف ما رآه بالنثر عدلت عن الوصف الى المدح بالنظم المقفى لعلى أسامح على التقصير ومن جرأتي أعفى وعسى ان تهب نسمة قبول فيقعا موقع الاستحسان والقبول فقد ابتدأت نثري بعشيئة القدره وحشوته بما يعرف قدره قدره فناداني لسان المتأدبين في الختام تحيتهم يوم يلقونه سلام فانهم ما وصلوا مقامه الا خرجوا شاكرين داعين وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

وكتب الى صديقيه الفاضلين محمد افندي كمال واحمد افندي علي رئيس قلم المبيعات بالدائرة السنية حالاً وهما اذ ذاك بالمنصورة وهو ببلدة اسمها بدواي من اعمال الدقهلية وقد اكثرا عليه اللوم في عدم التحرير اليهما ما صورته

روى الواله بن الولوع عن الساكن بين الضلوع انه استخدم الناظر والانسان في نقد كل انسان واستعمل رجليه في جوب الاوديه ويديه في نقل احاديث الانديه فالعقل لاه عن نعت الاكياس والفكر مشغول بنقد الاكياس والجسم دخول ولوج لم يترك نادياً بلا ولوج وكلما نفقت عير نبا على عبير فهو جوّاب سائح قناص لكل سانح زاده من

مزوده وحدته من مروده وريه من سقاه لا من دلاء السقاه وصرفه من كيسه دون
كيسه ومأواه حجرات الاجر لا بيوت عجر وبجر ان دخل مجلساً فبنزاهه وان ابدى
بدائع فعن بداهه وان نقل فعن صحيح وان اسند فالى صريح وان سأل أوجز فان سئل
أعجز وأن انشد اطرب وان مدح اطنب وان وعظ سحر وازال الوحر وان تغزل خلب
القلوب وان الف اظهر الغبوب يقطف زهر كل فن ويقتحم لجة كل فن ويردف
المسائل بانشاء الرسائل بذهب سائل لكل سائل ويستكثر الاخوان بدراري وخوان
حتى كثرت في الناس أخلاه ولم يكن عن أخ لاه ثم مال بزورق السباحه ومطية السياحه
الى بندر المنصوره دعته الى تلك الدمن صوره وجال فيها جوله ورأى البندر وما حوله
ثم سأل عن أندية الآداب ليتعرف بذوي الالباب فدل على شرذمة قليله سليلة جليله
فهرول اليها هرولة طامع وجرى اليها جري خامع فالفاها سماء مكارم وبدور اكارم
وشموس ابتكار وخدور ابكار ونجوم ليالي وعقود لآلي لا يفارقهم منادم الا وهو على
النأي نادم لما لهم من حسن الطويه وغرابة الرويه فطرب طرب المتلعثم وابدى سن
المتبسم وقال حسبي هؤلاء من المدن والقرى فكل الصيد في جوف الفرا فعاهدهم عهده
واخلصهم وده وانتدب منهم اثنين لأنسه وسرور نفسه وتصادق معهما صدق القطا
وتلاصقا مودة لصق الغطا الا ان الدهر الغدار لم يرض له قرب الدار بل سلك به طريق
الغربه ومنعه من يحب وقربه فهما في واد وهو في واد وهو منفرد وهما بناد يتسلى بالبكاء
وصوت المكاء ويترنم بالنوح لفقد الروح لا الروح ويتشاغل عن اللذه وسوء النزه بذكر
من يهوى وحسن مايروى لا يرى الا بعران اليعملات ولا يسمع الا سفاسف الخزعبلات
من قوم يحتاجون لترجمة السلام فضلاً عن الكلام قلوبهم غلف وألسنتهم قلف وصورهم
افظع من صورة نعش وطباعهم اغلظ من طباع وحش مشائين همازين غمازين لمازين
اشد نفاقاً من نافقاء اليربوع واشأم من اربعاء الاسبوع وابكى من عيون ينبوع وانكى
من وقوع متبوع واغدر من ام عمرو واحرق من لهب جمر واجشع من تميمي رأى مأدبه
والأم من نوبي بلغ مأربه واشح من مغربي جاع غلامه واظلم من ليل حلق ظلامه
واطمع من طالب النحل مع المحل واحمق من سائق الرحل الى الوحل واتعب من حبلى

حملت صخرا وارذل من خنزير طلب نخرا أهر من كلب ضرب وافرغ من كاس شرب واجهل من ذباب رأى حلوى واعوى من ذئب حلت به بلوى واحزن من يهودي وقعت دراهمه وابلد من جمل دقت مناسمه وأذل من قلب رشق بطرف كحيل وابعد عن الحق من وقوع المستحيل عالمهم اضل من ابليس وصالحهم بادي التدليس ولولا بندراميرهم و بدره وحاجته اليهم وعذره لسوّد وجه النهار بهجاهم وانتزع بنبل القول حجاهم فانهم عن الضلال لا ينفكون قاتلهم الله اني يؤفكون الآ انه متى استعاذ من تلك الحمير برقة هـذا الامير وتروح بمسامرة انجاله نقه من سقمه واوجاله وعاد له ما فقد وان لم يكن فقد فقد وان اغتنم فرصه لمداواة الغصه ترك القرية المحصوره وتوجه الى المنصوره ثم اهتدى بالقلب والعقل دليليه الى حسن مسامرة خليليه ثم يعود والفكر زمامه والهم امامه وطالما تعلقت آماله بالمخاطبـة الخطيه والدهر يذوده بالرماح الخطيه حتى قال خليلاه انه خلي لاه فلما طال عليه الامد وتمطى من فتور الكمد قام يجر رجله قاصـداً خيل البديـع ورجله فلم تطاوعه لخدر لزمها من طول ما ضمها فجلس جلسـة مقعد على سطح مقعد وكتب يشر عذر الاباء وان كان المنثور من الهباء ريثما أخذته رعدته واهـتز وابتـدأ كلامه بقول ابن المعتز

اقبل معاذير من يأتيك معتذرًا ان برّ فيما أتى في القول او فجرا
فقد اجلك من يرضيك ظاهره وقد أطاعك من يعصيك مستترا

استغفر الله من العصيان لا بل تصوّره واعوذ به من تهول الدهر وتهوّره فانه ما فوق سهم الاغتراب حتى أمرضني بسهـم الحراب ولا منعني سيف غدره حتى ضمني الهم لصـدره وشغل الفكر عن اغراضه واستعمل الجسم في امراضه حتى غفلت عن الاخوان وتغافلت عن الخلان ونام الفكر نومة عتود ومال الذهن ميـلة رقود وضـل العقل طرق الغرائب حتى صار احدى العجائب وما زالت الغفلة تزداد والكسل في ترداد حتى توجه اليّ اللوم على الافراط في النوم من سيد ماجد ومفرد واحد غصن ثمر الآداب وثمر روض الالباب حليف الصفاء وخدن الوفاء سرّ الفضائل ومعناها وبحر المكارم ومغناها سـليل الجود ظليل السعود الطالع في سماء المروءة بدرا والمرتفع على صدر المعالي قدرا الراني الى المحاسن

بسهم اغراضه المسبل على العورات ثوب اعراضه من الفته البلاغه فاحسن حديثه و بلاغه
وغازل الادب والفصاحه حتى عرف بالفضل والسماحه

من كمل العليا بحسن صفاته حتى تجلت في صفات كمال
نجل الامير محمد بدر الوفا نور العيون وحسن كل جمال

ومن بديع الزمان وبليغ الاوان روح دوح النباهه وراح راح الوجاهه طراز حلية البداهه وحليه طراز النزاهه باسط بساط الادب لمن دأب وباذل رضاب القلم لمن ألم ومظهر نتائج الحكم لمن حكم صائد القريض بالباع العريض وجامع الاجناس في أنواع الجناس دافع النكايه بالكنايه وفاتح مجاز كل مجاز وجاعل اللفظ حديقه لاغصان الحقيقه وكاشف طلاء التمويه عن وجه التشبيه ومنور وجه الغسق بحسن النسق وكم ابدع والف في النشر واللف بحسن الانسجام للانس جام الشاب الذي طلع في سماء الآداب بدرا وجلس في نادي البديع صدرا احمد الناس حقا وعليّ القدر صدقا فهل للنهر مجاراة بحرين او للنجم معارضة بدرين فأقول مالا يبتدع والحق احق ان يتبع اني مقصر في الخدمه ولست ناقضاً للذمه معترف من الاهمال بذنوبي مقرّ لخليلي بذنوبي ملتمس من كلّ عفوه وغفران هذه الهفوه فسهام لومهم للنديم مسمومه وسيوف عتبهم في الصميم مشمومه على ان التقصير ليس من شيمي ولا صيب الاهمال من ديمي فان عذري اظهر من النهار واشهر من النهار خالفت وقد نهيت فبليت ودهيت بحرب الدهر وجلاء الظهر فانا راجل وهو فارس وانا مجدب وهو غارس ولو ساعدتني الاقدار لهزمته وعلوته وهدمته ولكنه شبّ عن الطوق وتجرد الريف من الذوق واحتوشتني الاحزان واسكنتني الاجران وأعادني الدهر البطين الى الماء والطين اصطبح بهائم يسوق البهائم يستطلع بدور الانوار من خلال مباعر الاثوار ويروي اعراب القاموس عن غراب الجاموس يسبح الله بالرخو ويقول دين الله رخو ويذكر الثور نهاره ويصلي بلا طهاره ويعبد المحراث حق العباده ويجعل الناس ملجأه وعماده ويقول حسن نافي لنومي نافي ان كسرت لمحراثه ريشه تنغصت عليه العيشه فان عدم لثوره دواسه قال ضاع زمام الرآسه الشريف فيهم اللوّاط ونسبه ينتهي الى سخام ابن حواط لهم وقائع في الدين كوقوعهم في الطين وان اختصموا في فحول يرجعون

الى جهول ما سمع آية من قرآن ولا علم حقيقة الاديان نبذ كتاب الله وراء ظهره واشتغل بالضلال في سره وجهره جعله القاضي نائبه وسلطه على البلد نائبه اجتمعت عليه مرّه فوجدته في عيشة مرّه ينهب الكحل من الاجفان ويخطف الثريد من الجفان ان جاءته طالق بالثلاث خلط في الالفاظ وعاث ونص فتواه الشبيهة بنجواه في مذهب القمام البراقة كالحرام والزوج قد قذنب وصار عليه قرنب وعشرة قشلاق من الديس وعقدتين دريس وقفتين تبن وقرصين جبن والمرقة بعد الحيض عليها مرجونة بيض وقالب زبده وطاقيه ولبده وصارت رادّون بعد ما كانت طالقون والله قعلم

اما يوم السوق فانه يلبس ثياب الفسوق شال مسخمط وزعبوط مشرمط وسرمة مقطعه وقطعة طربوش مرقعه ان سمع رجلاً يحلف وهو مظلوم يقول ثبت عليك المعلوم وقرقورتين بطيخ وحوتين فسيخ قدباً لك وعبره كما فتى به الشيخ عبره

﴿ الساق على الساق * في مكابدة المشاق ﴾

وهي حكاية حال في شكل مراسلة بعث بها الى بعض اصدقائه يذم اليه الدهر ويشكو من ضياع الادب بين اهليه

متى أدرك الحظوظ وهي سابقه وكيف أجاري الخطوب وهي لاحقه وأين السرور فقد أعياني الطلب ومن لي بالنصر على الهم وقد فاز بالغلب تالله ان الشجاع في هذا المضمار جبان وقلّ ان يفوز مقتحمه بامان هذا ان صحب من مضارعيه قوما وجال فيه ساعة او يوما فكيف بمن فرته حوافر الجياد فري المعاول للجماد وطارت به أسنة الرماح طير الغبار في الرياح وسكرت الهموم بدمه وتنقلت بأضراسه بعد ان افترشت جلده وتروحت بانفاسه وحقك ان هذا لهو الميت لا من انتقل للقبور بعد البيت فظلمة القبر أبهى من شموس الاحزان ووحشة وحدته اهون من بعد الاخوان كيف وهناك العمل نعم الجليس وهنا الامل بئس الانيس كم غرّ عاقلاً بما صوّر وارتقى حصون الفكر وتسور وعاث في رجال الرأس بسطوته وهجم على حفظة القلب بقوته واستصرخ كل أمير لسماع خطبته بعد نزوله عن عظيم رتبته فأجابته الامراء والباعه بلزوم السمع والطاعه ثم ارتقى منبر التخييل وعدل عن أوامر التنزيل وصوّر لهم ان الحق ما يقول وان الشرع ما تركته النقول وان الهوى

سبيل الرشاد وهدى الهدى امام الفساد ومن تقيد بالشرع زلت اقدامه ومن تبع الآمال رفعت اعلامه ومن سارع الى الخيرات هلك ومن تدرع بالمضرات ملك ومن اشتغل بالعرف باد ومن استعمل العنف ساد ومن ركب المعاصي تمت لذاته ومن سعى الى الطاعات تشوّهت ذاته ومن لزم الادب حقر ومن عرف بالوقاحة وقر ومن امّ المحامد ساءت احواله ومن تكلم بالقبيح سمعت اقواله ومن اصلح بين اثنين حان حينه ومن افسد متحابين قرت عينه ومن اعتزل الناس لزمته الندامه ومن خاص معهم صحبته السلامه ومن اتصف بالبشر فرّت الناس منه ومن عرف بالعبوس رويت المحاسن عنه ومن جالس العلماء بارت تجارته ومن سامر الجهال ظهرت امارته ومن عاشر الاشراف ساءت به الظنون ومن خدم الاوباش رمقته العيون الى آخر ما افتراه واخترعه وغاص بحر الخداع وابتدعه حتى اختطف نور العقل اللامع وشوش فكر كل سامع ثم نزل وقد حفت به الرجال حتى ضاق عليه المجال وهو يقول ثمرة العلم العمل فلا ترعوا مع الهمل ثم اظهر لهم الوقار وودعهم وسار فاشتغل القوم بلفظه واطنابه ووعظه حتى سرى في الدم والعروق وأخذت شمس الضلال في الشروق فجدوا في السير خلفه ولم يجدوا في السعي كلفه حتى أدركوه بمدينة الشهوات وهو يخدع من فيها بتلك الدعوات فحياهم بأحسن تحيه وزادهم مقالة وعظيه ثم اجلس عن يمينه الفكر واللب وعن يساره الصدر والقلب وقال لهم أنتم أمناء سري ولكم خالص برّي فملوا الى ما به أمرتم وان تجحوا أجرتم فقاموا فرحين بالوظائف مسرورين بهاتيك اللطائف وسلكوا طرق الضلال المخيفه وتركوا سبل الرشاد المنيفة فخاب السعي واستحقوا النعي حيث تاهت الافكار واشتد عليها الانكار وضلت العقول فنسيت النقول وضاق الصدر بظلمة الغدر وركب على هام القلب طائر فهو كالجرم ولهان حائر والعين تعتذر الى الآذان والاعضاء تقول أينا المدان فبينما هم في جدال ونزاع وقد فشا الخذلان بينهم وذاع واذا بالامل يناديهم وسط ناديهم

أي فضل لحرفة الآداب بعد سلبي لحكمة الالباب
قمت فيكم بكل زور خطيبا مصلت السيف كاشر الانياب
فاتبعتم وقادكم من بديعي حسن قول يزفّ بالارهاب

ليت شعري اذا ضللتم بقولي كيف نلتم مفاتح الابواب
كل أمر يراد دون سبيل لارتقاه فذاك عين تباب
اي خمر ينال عرش عقول ان رمته معارج الاكواب
لو وعيتم أوامر الحق عفتم حسن قولي ودقة الاعراب
لكن الليل ان أتى بدجاه سوّد الكون كفه بخضاب
والقضا الحتم ان يحل بقوم حول العقل عن سبيل الصواب

فعرفه القوم وابتدروه باللوم فاطرق اطراق مدبر ثم قال بلسان معبر كفوا اللوم أيها القوم فاني منكم واحد وعليكم واجد وقصدي بوعظي النفع لا ما يوجب الصفع وحيث كانت اقوالي مذمومه ونبال وعظي مسمومه فاعرفوا قدركم وخذوا حذركم وعودوا لما كنتم عليه وما تنسبون الخير اليه ودعوا اقوالي عنكم فسأنظر ما يكون منكم وهذه حالة الامل في كل وقت ولا ينشأ عنه الا المقت انعم به اذا كان في الله وجرى في الخير وما والاه فانه يكون محمود العواقب مأمون العواطب ولكنه عشق النفس فأسر وسمع أمرها نخسر وقد كنت في صغري اذم هذه الاحوال واقول كيف تقع الناس في هاته الاهوال وانا اذ ذاك عاشق معان لامغاني وشارب عذب اوان لا اواني اتغذى بنكته واتروح بسكته وامشي لخطبة خريده فاحظى بوصل فريده وامسي تحت ظهر فكر فاصبح على صدر بكر حيث لاحجاب لهذا الحرم ولا مانع لذاك الكرم فان مللت وصال الحسان وسئمت من خمر الدنان ملت الى البساتين والانهار وتمتعت بقطف الازهار مع رفقة هم النجوم بل البدور عليهم راحات الانس تدور وطارحنا النسيم بالرقائق وقابلنا الجلنار بالشقائق وحرضنا الورد فقام بشوكته وقابله الياسمين فمال لرقته وان مدّ لنا المنثور كفه قطعنا اذنه وانفه والنرجس خفير علينا ناظر بعينه الينا والاشجار تمطر الاثمار والاقمار تنهب الاعمار فنحن في تيه الحلو بالحلوى لا تيه المن والسلوى نتناشد المعاني بجميل الاغاني وننظم الجوهر في فرائد البحور على قلائد النحور وننثر الدر على بساط الزهور في صفاء الدهور خمرنا السرور وكاسنا الاجور ونقلنا الصفاء وحاننا الوفاء وشادينا الطرب ونديمنا الادب نعربد في ابكار الافكار بلا انكار ونقطف ورد الخدود بلا

حدود حتى اذا ملت النفس من الراحه وحسن لها الامل السياحه جبت القرى والمدن طورا بالوابور وطورا بالبدن وانتظمت في سلك التلغراف وامتزجت بالاوباش بعد الاشراف فضعف يقيني ولم اجد من يقيني فان اغلبهم سكارى وكلهم حيارى لا يعرفون الهدى ولا يتركون الردى أعبدهم من اذا رأى الخمر هام فلا يردّ الا بالجام واصلحهم نواسي العمل واقنعهم اشعبي الامل لا يركعون ولا يتصدقون ويحلفون ولا يصدقون ولا يرون عيباً في فحش فهم اغلظ طبعاً من وحش ان حدثوك كذبوا وان وعدوك هربوا وان ائتمنتهم خانوا وسرقوا وان هديتهم ضلوا ومرقوا كم قمت فيهم خطيبا واسمعتهم وعظاً رطيبا وتلوت عليهم احاديث وآيات ومواعظ وحكايات فلم يزدادوا الا نفورا ولم يحفظوا الا كفورا وقد اعياني رد هذا الخطب حتى ذبل غصن يقيني الرطب فكاد طبعي تسرقه تلك الطباع وتجري به في كهوف الضباع فقد خضت معهم في حديثهم اللغو ولبست ثياب اللعب واللهو فما طلبت واعظاً الا لقيت شبه شيطان ولا قصدت صالحاً الا رأيت سكران ولا أردت مؤدباً الا وجدت فظا ولا رمت نكتة الا عدمت حظا وفي خلال هاتيك الاحوال وتعصب الاهوال ادركت برهة من الزمن لم أذق فيها سم الاحن وقيما كنت بالقصر العالي بحر الجواهر واللآلي فقد استرحت هناك من الشياطين وانتظمت في خدمة السلاطين وعكفت على كتب الآداب رجاء تطهير الالباب حتى خدمتني الدنيا وصحبتني العليا فانقلب الدهر الغشوم النحس المشوم ورمقني بعين الانتقام وحسدني على هذا الانتظام واخرجني منه قهرا فلم أر أقبح منه دهرا صدمني صدمة معذب لا لطمة مهذب فلتجلدي لحربه مع ضعفي عن ضربه قلت أعزي النفس واسليها واحرضها على القتال واغريها

شلت يمين الدهر أدمت منحري	فرمت بكف الذئب فك القسور
صالت وقد أرخى الدجا ثوب الاما	ن على النديم فمزقته بخنجر
لم يحفظ العهد الذي عاهدته	اني اذا نام الردى لم اسهر
جهل اللئيم مكان قدري فاعتدى	ولو انه يدري به لم يغدر
كنت البليغ أخا الهدى غيث الندى	مجلي الصدى سيف العدا المولى السري
اياك نفسي والفرار فانما	يسعى الفتى للحين ان لم ينصر

ما الدهر الا آلة كنفوسنا ‏ يأتي بكل محتم ومقدر

من يدعي قدم الدهور فقوله ‏ رد بتقسيم الزمان باشهر

وتداول الايام ينبئ انه ‏ في ضمن كن قد كان قبل تصور

هل ثم شيء غير ربي ثابت ‏ حق تراه ليس بالمتغير

ان تغلبي نفسي فان مزية الـــــتدبير تهزم جيش ملك الادهر

فالصبر سيف لا يثلم حده ‏ والحزم حصن للفتى المتفكر

فسمعت مني القول وتبرأت من قوتها والحول والتجأت الى الجانب الذي لا تهدم دعائمه ولا تسقط قوائمه ولا يدرك واصله ولا يغتال داخله كيف لا وهو جانب رب الارباب خالق الاجسام والالباب فما هو الا عهد قريب حتى سهل المجيب وازال عنها الاتراح وعوضها منها الانشراح بالعود الى الثغر المحروس ثغر الاسكندرية المأنوس فطمعت بعد الياس واستبدلت الوحشة بالناس الا انها كانت كطبعي الغيور شديدة النفور حيث لم تجد لآدابها سوقاً تنفقها فيه ولا محباً يتبعه ويقتفيه فكادت ترجع لضلالها القديم وايذاء خادمها النديم لولا ان الله تفضل عليها بحضور بحر الآداب اليها مخرس البلغاء بلفظه الوجيز سلالة الادب والتمييز فلان فانه بحر فضل تلاطمت امواجه وساحل ذوق تحصنت ابراجه وسفين فهم لا تغرقه الاهواء وبدر مجد لا تزاحمه الانواء فسكنت وحنت ولولا ذلك لجنت وهزمت جيش الهموم بنصره ونسيت بؤس العصور بعصره ودام هذا الحال عامين كأنهما طرفة عين ثم صال الدهر صولة ثائر. وانقض علينا كطائر فما صاح حتى تفرقنا وغربنا وشرقنا وعاد البشر عبوسا والنعمة بوسا

سار السرور واهله بسلام ‏ وحلت لديّ مرارة الاسقام

واستنزل البدرَ المنير من العلا ‏ حقدُ الزمان وغيرة الايام

وما اعتدل الدهر ولا استقام بعد هذا الانتقام بل منعني الصديق وقربه وسلك بي طريق الغربه وانا في كل وقت وحين اطرب بذاك اللين واحن اليه واسلم عليه

وكتب من القاهرة الى صديقه الاديب احمد افندي على السابق الذكر بالمنصورة

جل ربي خالق الاكوان بلا شريك ولا اعوان خص من شاء بما شاء بفضله وقسم الاخلاق على عبيده بعدله وباعد بين الصفات والاعراض وباين بين المراد والاغراض فانتظم الكون وفق الاراده ولم يقع فيه الا ما أراده فلو جلت بفكرك في الوجود وحققت النظر في كل موجود لمزجت السرور بكدر الشرور ورأيت الفرح جليس الترح وبدور الصلاح في سماء الطلاح وشموس الجمال في وجوه الجبال وتاج الحظ على رأس كل فظ فان اردت الحقيقه والوقوف على الدقيقه اضناك الحال واظهاك الحال فلا ترى خلاً تقصده ولا صديقاً ترصده الا تغيرت المحبة عداوه والصداقة غباوه والخلة ذبحا والحسن قبحا والكرم ضنا والصحة شنا وهذا بحر شربته الناس وتناولته بالجفان لا الكاس ومن فاته البحر ادرك الترعه وارتشف منها رشفه او جرعه فلم يفق من هذا السكر الا من عافه وطلب من الله الكريم اسعافه حتى تجرد من الاخلاق الدميه وبعد عن الموارد الذميمه ورقي من الشهامة اغلاها وسامر من نجوم المعارف اعلاها كالبدر المهتدى اليه في دجنة الاوهام والشهم المرتقى اليه بمعارج الافهام بيت المجد المرتضى وسيف الفضل المنتضى قوام اللطف الذي طابت عناصره وعقدت عليه من الكمال خناصره لا بل غزال المسك الذي طاب شذاه ومعدن الادب الذي استمال رضاه صاحب القدر الجلي احمد الناس علي

فانه في هذا العصر آيه ولرهان الفضل غايه لا تمل مجانسته ولا تسأم مؤانسته ان زرته زرت البدر أو ليلة القدر بل السحاب الماطر والروض العاطر فسلام عليه ما رفعت له اعلام جود وأشرقت به شموس سعود سلام يحاكي لطفه رقه وفهمه دقه وصفاء باطنه ودا وصدق حديثه جدا هذا وما الزمني التقصير وعاقني عن التحرير الا مرض قاسي لزمني في راسي منذ اياني من مدينتكم المأنوسه الى القاهرة المحروسه فاحكم سكري وشوش فكري وان شاء الله لو بقيت الى اجل وسهل الله عز وجل عدت لانتشاق عطرك الندي فقد اخلصتك ودي فانك لم تزل اوحد والعود أحمد ان شاء مالك الملك ومجري الفلك

وكتب اليه من بداوي وكان ماراً ببعض اطرافها فرأى ركباً ممن يعرفهم قاصداً المنصوره بعد العنوان ما صورته

لولا عيان حروفك لقلت انها أرواح ولولا سواد السطور لقلت كوكب الاصباح ولست اخشى ان قلت معناك جرم والسكر منها لا من الثمار والكرم وهكذا تكون رسائل المنشئين فتبارك الله احسن الخالقين كم بليغ شهر بمعنى او معنيين حتى ضرب صيته صفحة المشرقين وكلامك كله معان تؤثر ولكنك كسر لم يشهر او كنز لم يفتح بابه او طلسم ماتت أربابه والا فلو أنصفت لاخذ المتنبي بركابك واندرج ابن عباد في خدمة بابك فحسبك من الحظ ما قام به لسانك وابتهج برؤية لآلئه انسانك أقول ذلك تسلية لقدرك وجلاء لصدرك وان جل القدر عن الانظار وتطهر الصدر من الاغيار ولو اتسع الوقت لاطلت الرساله فلا تؤاخذ على هذه العجاله فانها سطرت من قيام عند وجود من يوصل السلام سلامي على مقامك البديع ومقامك المنيع المأنوس بك وبروض الجمال بدر الفضائل سيدي كمال والسيد العظيم الجليل شهم الحامد سيدي خليل لا زالت المنصورة بكم دار السلام وأنت في سماء لطفها بدر التمام

﴿ رياض الرسائل ، وحياض الوسائل ﴾

وهي رسائل أدبية فريدة في بابها يدل عنوان كل واحدة منها على مضمونها فمنها الستر المسدول في دلالة الانجيل على الرسول والحصون المنيعه في الرد على اهل الطبيعه والفكرة المطيعه في تطبيق الطبيعه على الشريعه وتطهير الاذواق في حميد الصفات والاخلاق والابكار البديعه في الرد على المعتزلة والشيعه والسهم السريع فيما تضمنته وقيل يا أرض من البديع واخراج الوديع من الظرف في ان المعجز النسق لا الصرف والشنه ورنه في أولاد مصر الزنه والشجرة الغشاشه في أولاد مصر الحشاشه وشد الدبلاق في اكتاف اهل بولاق وحاوريني ياطيطه في الطربوش والبرنيطه وصحبة السلامه للابس العمامه وغيرها كثير مما هو مدون في مجموعة كان قد اودعها هي وديوان شعره الثالث عند من ضن بها لنشرها ولم نظفر منها الا بمقدمتها ورسالتين لم يسبقه أحد من كتاب العربية الى مثلهما كما ترى أما المقدمة فهي يقول حليف الاحزان مرجوح الاوزان داء دهره ودواء قهره كاس الصبابه ومدام تلك العصابه كهرباء الغيد والغواني ومغناطيس الحان والاغاني

مسيغ مطعوم الوجد فهو له اديم أسير الشوق ومولاه عبد الله نديم يا مرسل الطرف في رياض المعاني ويامن هو للآداب معاني خلّ ما تحب والتزم هذه البدائع واستودع سمعك أطيب الودائع وقف بجواد فكرك عند هذه الرسائل فانها لجميع مقاصدك نعم الوسائل أمر قد وجب وسببه عجب من عهد مهدي أميل لصفاء الذات وأرى تعذيبي بها أهنأ اللذات فما زلت أصبو لهيفاء وأعشق ريما وأصحب سيداً وأنادم كريما حتى بعث الله مثير غرامي وزند اضرامي فاتح باب تهتكي وناقض حبل تنسكي ميدان حبي وعنان لبي قوس نبال منوني وجفن مصقول فنوني روض الجمال وورد الكمال كيمياء الادب واكسير الأرب روح الارواح والطف الارواح لسان بلبل النباهه واكليل قمر الوجاهه حبب شمول الافراح وحسام رؤوس الاتراح غاية الدنيا ومبدأ العليا زينة بيت السياده ومفتاح باب السعاده صفاء أفكار النهى وبدر سماء البها

لو انه اذن العبيـ ـد لكان ينطق باسمه
لكنـه رسم التكتـ ـم فامتثلت لرسمه

حفظ ما لفظ ووقي ما بقي شر ما يكدر مزاجه اويوجب علاجه فعشقته وكان ما كان وقلت ليس في الامكان أبدع مما كان وملت اليه ميل الحديد للمغناطيس وتروحت به تروحي بالظل وقت الوطيس ولزمني حفظه الله لزوم النشوة للخمر والتوقد للجمر وتصادقنا تصادق القطا وتلاصقنا مودة اصق الغطا لا يأفل لنا قمر ولا نحرم جنى ثمر وكان ذا بروضة بذري ومحل وفاء نذري فكاهة النفوس الزكيه زينة القطر وحليته الاسكندريه فلما تحولت النحله وتهيأت الرحله في مبدأ عام «عج ضرره» ـ سنة ١٢٧٨ بل بقبس توهج شرره سافرت مع جنابه السعيد الا انه حل بمصر وحللت بالصعيد فلم يكن الا نصف عام حتى حضرت لمولى الانعام ودار علينا صدق الوفاء براحات الالفه وحملت جيوش المحبة على الطبيعة فأهلكت الكلفه واختلسنا النوم من جفون الزهر وكحلنا به عيون الدهر فذاك فتح وتنبه وذا بالاموات تشبه ونام ولا نومة عتود وتحلى الوقت تحلي النحور بالعقود وامتزجنا بالسرور امتزاج النور بالاحداق وصاحبنا الصفاء مصاحبة الآجال للأرزاق فصار مجلسنا الطف من جو مرّ به نسيم وأظرف من ثغر بسيم وأرق من خفر في بكر

وادق من معنى في فكر تترامى علينا الافراح ترامي الفراش على النور ويلازمنا الانس ملازمة السير للبدور وبينما نحن في تيه خر بده وثمل جريده واذا بالدهر انتبه من نومته ونظر في حومته فوجدنا في قصر أنس حاجبه زهر وخادمه نهر وسقفه نشاط وبساطه انبساط وارضه صفاء وحوضه وفاء وشموعه نجوم راح وفراشه نسج افراح وطلاؤه مرمر البدر معجون بليلة القدر لا نميل لسكته ولا نسكت عن نكته خادمنا خفه ومنادمنا عفه وحرفتنا الود وكسبنا الجد فدخل من غير اذن وسقط سقوط المزن ونظرنا نظرة حاسد وتنهد تنهد حاقد وقال عفا الله عما سلف فدعا التيه والصلف فقد بلغتما الغايه وصرتما في آيه قد سرقتما ورد السرور من الخد سرقة يلزمكما عليها الحد وحيث ان غذاءكما النحافه ولباسكما النظافه فجزاؤكما التغريب وعدم التقريب وعينيك ما هي الا ضربة تلغراف أو حركة انحراف حتى ارتد الحال وكفر واستعد عين حياتي للسفر وكانت اقامتي في القصر فاستودعني في مصر فلا تسل عما صار وقتما سار وسل المزن عن دموعي والنار عن ضلوعي والطير عن قلبي وأمس عن لبي والقوس عن ظهري والأجّ عن جهري والقاتل عن جلدي والمسلي عن جسدي ربما تعلم بعض ما نابني او تتصور معنى مما رابني الا انه عند توجهه مصحوباً بالسلامه دعا المسكين غلامه وخاطبه بما سكن وجده أعز الله مجده وقال أحب ان تتواصل اليّ رسائلك وتسامرني وسائلك بشرط ان تكون أسطرها عشرين فما فوق وان يكون بعضها في غزل وشوق وبعضها نكتاً ادبيه وبعضها فوائد عربيه هذه محاوره والاخرى مسايره تارة ظرائف خمريه ومرة لطائف عمريه وهكذا ترشف من كل دن وتشطح في كل فن على ان تكون بحكايات ما طرأت الافكار ولا خرجت من الاوكار وتلتزم الجناس في الفقر ليكون اوقع في الفكر وان لا تأخذ من شعر غيرك الا بيتاً او بيتين وان تأتيني رسالة يوم الخميس ورسالة يوم الاثنين وان يكون آخر كل رسالة دخولاً على اول ما بعدها وهذه عروة ذكري لك فلا تنقض عقدها ثم توجه واصبعي تحت نابي والله يعلم ما بي وكان معنا بعض اصحابنا وجملة من أحبابنا فألزموني ان أكتب من كل رسالة ثلاث نسخ او اربع وهم ينظرونها بالاشتراك حيث لم تطبع فصعبوا عليّ الامر واحرقوني بالجمر ملاحظة عملي وبيتي وصحتي

ونسخ وتأليف ان ذا لاكبر عمل وأشق تكليف ولكني امتثلت وما اقتعلت وأخذت عليهم العهود اذا رأوا غير المعهود او عثروا على تحريف او قلب او تصحيف ان يسلكوا صراط النصيحة ويغيروه بعبارة فصيحه او يتركوا الانتقاد وكشف الغطا وينبهوا محررها على الخطا فنسأل الله تعالى ان يثير لها نسمة قبول حتى تقع موقع الاستحسان والقبول فاني لست من ركبان هذه الافراس ولا من اغصان تلك الاغراس والصفح خير ما تدرع به عاقل والعذر احسن ما تردّى به ناقل وكل متكلم له غلط وكم من انسان خلط فان الناظر يقدح زند الافهام والمؤلف يصيد شوارد الاوهام وبالجملة فالمرء من ماء وطين وله عقل ودين فهو بالخيار بين الميل للطبيعه أو الوقوف عند حد الشريعه على اني سامحت المتكلم قبل الوقوع رجاء ان يكون للحق قريب الرجوع هذا وقد سميت المجموع رياض الرسائل وحياض الوسائل ولكل رسالة اسم ليكون لها كالوسم فأول ما يهدى اليك ويفد عليك

﴿١﴾ ﴿ زند الاذهان وزبد الادهان ﴾

روى مديم الغرام عن نديم الكرام انه قال وقال في يوم ثرت من النوم في خجل ووجل من رؤيا منام في بعض الانام ما رويته بل رأيته كأنه قيل على فيل سما حتى السما وثار اذسار كالورق بل البرق يشق ثوب الدجا لبلوغ الرجا المزن تظله والارواح[1] تقله وقد ألهته حدّة الغيظ عن شدة القيظ قوته ذكر الظبا وريه سيل الظبا[2] لا يرده بعد الشقه ولا ارتكاب المشقه فلما رأيته اقشعر جلدي واكفهر جلدي ودار الانسان بالحدق ووقع القلب في الحرق وعدمت الاحساس ونسيت قصة ذى يزن وجساس وكنت أقول في ابان سعدي انا صاحب عمرو بن معدي ورامي نبل عنتره وحامل لواء القنطره انا ساقي بزرجمهر السم وقاطع خوذة رستم وعيذيك ما رأيته حتى حرت كأني سحرت وتلفت تلفت السارق ويئست يأس المارق ومنها

فقدمت عليه وتملقت اليه بعد ان بدأته بالسلام على عادة الكرام فدل ونأه وما نطق ولا فاه ودام على كبره والضن بخبره فأدركني ما هو نافع بيت قلته وأنا يافع

---

(١) الارواح جمع ريح (٢) الظبا السيوف

ان المدامـة لو صبت على جبل ... خرّت معاطفه تجري بها الريح

وقلت فطنة اياس ما بها ياس

وثرت كالليث قد لاحت فريسته ... ناديت بدراً له الارواح في أسر

وقلت هات لنا بكراً تغازلنا ... مشمولة بوشاح عاطر النشر

وعاطها ضيفنا واجلس بحضرته ... وامنحه منك لذيذ الشهد بالثغر

حتى اذا لعبت بالعقل وانتعشت ... منه الجوارح كن كالايل اذ يسري

فطاف بالشمس يجلوها على يده ... بصورة طبعت في صفحة البدر

لاحت اشعتها بالكاس فاتقدت ... فالكاس في خمرة والخمر في جمر

والبدر في صلف والشمس في شرف ... والضيف قد الف الامرين كالفجر

وحقك ما هي الا لحظه حتى ادار لحظه واخذت الكاس حواس الراس ولعبت الراح بالارواح

و بعد ترواييات اسأله فيها عن اسمه آخرها

يا غافلاً ان الذي ... في حيكم داعي الغرام

فقلت قد أبنت الاسم وحقيقة الوسم فأين الوطن يا فطن فأنشد وغرد وغنى وردد

قلب الكمي وصدره ... هو مسكني و به المقام

حتى اذا ما شمته ... حل به قوم كرام

فقلت واين قومك حمد يومك وهل هم على خلقك وفي خلقك ام اصناف أين بانصاف فقد خلبت الالباب اذ اتيت باللباب فقال قد دخل وقت الاصيل وحنت ناقتي للفصيل ولئن بقيت الى يوم الاثنين اخبرتك عن قومي وفائدتين بمشيئة من ذل الوجود لقهره

﴿٢﴾ ﴿ حوض الخمر وخوض الجمر ﴾

فلما سمع مديم الغرام قصة نديم الكرام قال ما احلى رؤيتك وأعلى رويتك انها لمن اعذب القصص واصعب الغصص تاهت لديها المقول ولم ترقبل في منقول سياقها بديع ومساقها مريع ولكن عهدى انك جبان ضعيف الجنان يدهشك طنين الذباب ويعيتك عواء الذئاب ان ابصرت غير جنسك لم تدر يومك من امسك اوسلم عليك

انسان غاب منك الانسان فكيف قوي فؤادك وطاب لك رقادك وصفا عيشك وسارت عيسك مع هذه الرؤيا الهائله وقت القائله ولو رآها انوشروان ما رقي الايوان او علمها عبد المسيح قضى قبل سطيح او قصت على ابن سيرين ما كان في المفسرين فقال نديم يا مديم ان لله نعماً لا تحصى والطافاً لا تستقصى يلهم الصبر عند الملمات ويمهل القلب عند المهمات وانظر الى النخله ذات النحله تميل مع النسيم بوجه بسيم وتثبت عند القواصف والرياح العواصف وهي كالام الواجده على حالة واحده ان هذه الاوصاف الا الطاف وما تعهده في طبيعتي من الجبن وكلامي من الحبن كان في الصغر قبل ركوب السفر ومعاناة الامور ومعاداة الدهور فان من الف الراحه وانف السياحه واقتصر على مصره ورجال عصره كان كطاير القنص اذا وضع في القفص يفرح بمطعوم جنسه ومائه ويمرح بين ارض حبسه وسمائه فان غابت عنه الميره ادركته الدهشة والحيره يستغيث فلا يغاث حتى يصير كالبغاث [1] وان فتح له الباب غاب عنه اللباب وعدم فكره وضل وكره فربما فر من شبكه ووقع في هلكه ولا يزال على هذه الحال في الحط والترحال حتى تغيض امنيته وتفيض منيته اما من زاد التنفل واراد التنقل واختار التغرب على التقرب وقال قولاً ما به جدل فاغترب تلق عن الأهل بدل فهو كالكركي تارة شامي ومرة تركي وآونة مصري واخرى بصري لا يحرم من القفار نيلها ولا من الانهار نيلها ولا يفوته خير سيحون وفضل قوله تعالى السائحون وعلم ما في البربي من صفات العرب العربا ورأى الطائف وكرومه وغرابة كنيسة رومه وتمتع بالانيسة والانيس من ظباء وغواني باريس ونظر قرى كل اقليم وبندره وتحقق حسن صنائع لندره وسمع الصبا والعراق من اغاني العراق وعلم ان احسن ما يكون الفرند من صنعة حذاق الهند فان شام بر الشام ورام رياضه ودخل غياضه وتنزه في دوره وتمتع ببدوره اتخذه جنه وقال هو الجنه وتارة يطلب النجاز بأرض الحجاز وفارساً لفارس مع صناديد فارس ويعضد ايمانه ودينه بزيارة ساكن المدينه صلى عليه الله وما هو اهله اولاه ويسأل الغرفات في جبل عرفات

---

(١) البغاث ضعاف الطير وعليه المثل حتى البغاث بأرضنا تستنسر

و يرى ما بأرض الحبش من افعى وحنش ونازي ومحريب وتيزي وعرديب [1] وفارس صنديد وجبار عنيد ، فان نظر من الجنوب بريقا وتوجه الى امريقا وتفرج على صنائعها وما يظهر من ودائعها علم انها الدنيا وسلم العليا فان ارتحل الى الصين وانتقل بعده الى الشين ورأى الصنعة التي تدهش العقول ولم تر قبل في منقول هنالك يقوى قلبه وان كثر بالاسفار غلبه ولئن أطلت قلت مطلت او دللت مللت وفي قصة ذات النقاب والحجاب اطلعك على العجب العجاب واراك استعظمت ما سمعت وفي خبر الاقوام طمعت فقال مديم يانديم لا دخلت الخيش ولا رحلت مع الجبش ان قمت من هذا المقام دون خبر الاقوام فأخذ نديم في البراعه وقال سمعاً وطاعه لما جاء يوم الاثنين وتذكرت القوم والفائدتين نمت كأني مت رغبة في الفائده ورهبة من العائده فكأني انظر الى رحله وقد دهمني بخيله ورجله بجيش كالليل مدلج كالسيل فقلت أهذا صاحبي واذا به صاح بي وقال مني عليك السلام يا نديم الكرام صرت علينا محسوبا والينا منسوبا وجدناك لطيف العباره فمنحناك الزياره ولكن ان كنت لخبر الاقوام مشتاقا أخذنا عليك ميثاقا لئن خالفت سنة العشاق وحالفت سنة الفساق ليطافن بك في الاسواق نكالا لادعائك الاشواق فان كنت بهذا راضيا وعلى نفسك قاضيا أخبرناك الخبر والبسناك الحبر والا فمش والهاً بالشعير والبقله مولعاً بالحمار والبغله كاحد العيرين وثالث البعيرين فقلت ما هذا الكلام الموجب الكلام وكيف أكون والهاً بالبقلة والشعير وقلبي مذ فارقته في السعير أم كيف اكون مولعاً بالبغلة والحمار ومنادمتك اكسبت عقلي الخمار فقال عليّ بالمدام وزده وصفاً مع الغلام فقلت حباً وكرامه اصفها وقوامه اصخ لي سمعك وكف دمعك فالاوقات الصافيه في شرب الصافيه حيث الراحات تدور على راحات البدور وليس للسرور سبيل سوى السلسبيل ومتعاطى الحميا يطأ بأقدامه الثريا بل لا يصفي الفكر الا الكميت البكر ولا يقيم الفقار غير العقار تشم المسك الفتيق من السلاف العتيق واذا اردت اللحظ في مجلس الحظ خرقت الحجب ورأيت العجب

---

(٢) النازي نبات يقتل دودالبطن والمحريب نبت يمنع المغس والتيزي الفول السوداني والعرديب التمر هندى

كسرى وقيصر والساقي اخـلاء ان رتبت لقوام الروح انداء
والانجم الزهر في الكاسات طالعة والبدر ساق وشمس الانس غراء
فللسرور سـحاب ثم ممطره وللصـفا في سماء الروح اسراء
قل للطبيب اسقني بكراً تغازلني وداوني بالتي كانت هي الداء

فقال يا نديم الكرام اذا أتيت بالمدام وقصرت الملام أخبرتك خبر الاقوام بما هو جدير بالتسطير والتحبير ولا ينبئك مثل خبير فأتيته بالسلاف كعادة الاسلاف فزاد في الشرب عن الشرب واضطجع وتوسد وانطلق وانشد

قومي لاهل الهوى عز ومسكنة ذل ومكرمة انس واحزان
لو اوتروا وترا في قوس حاجبهم صاد الورى بهلال النبل انسان
فالوجـد قائدهم والسـقم عائدهم والشوق رائدهم والحسن سلطان
لو مرّ قائدهم بالنار لانحدرت والماء منه اشتكى الاحراق ظمآن
او حل عائدهم بالدهر او نظر الا بدرين لاندرست للكل اعيان
اورام رائدهم شمّ الجبال غدا لتكل في سائر الاحوال اشجان
سلطاننا لو رنا للكون قاطبـة فالكل في اسره قيـل واعوان
والجسم في عرفهم كالعود قد سكنا ضدان في قلبه ماء ونيران
ماء الحياة سرى بالروح ان وصلوا فان هم هجروا تفقده أغصان

فقلت اعوذ بالله من سوء قومك وشؤم يومك ايرضى عاقل بهذا ويتخذهم ملاذا اميدخل معهم حديقه بعد ان علم الحقيقه لك الحمد ربي على الجهل والاقتصار على الاهل فان من كلف العزل هوى ومن تكلف الغزل زعم انه ذو هوى وكنت منحتك من المحبه قيراطا وحبه والآن تخلصت من القياد وحصلت على الفؤاد فقد صدق القائل ومنح السائل

فلم ترني الايام خـلا تسرني مباديه الا ساءني في العواقب

اتريد ان اتحمل الاثم وما حواه وادخل في قوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه تأمل قوله جل شأنه واتبع هواه فتردى واسمع أفمن يمشي مكباً على وجهه اهـدى فقال يا جاهل عدمت الكاهل لو تأملت القرآن وما فيه وعلمت قوله تعالى فذلكن الذي لمتنني

فيه أو لو لم تكن ممن اتبع هواه وسمعت قوله يحبونهم كحب الله تحققت ولكن الله ألف بينهم وحمدت قومي ويومهم ثم مدّ يده لصدري فأضاع نور بدري وقال ترى هذا فارغ ام ملآن من زمن ام الآن فقلت دعني اي شيء تعني فقال أراه في الهوى قد غوى فقلت الهوى خبل ونحن في جبل وما اسباب الهوى أقرب ام نوى فقال قد اعترفت ومن بحره اغترفت أليس اسمك نديم الكرام يا أسير الغرام فقلت اسم وضعه غير ابي وهو ابي فقال نظرلك بالفراسه فأركبك افراسه واعلم ان من بصرك فقد نصرك ومن وعظك فقد ايقظك فقلت اذا فقد العقل حجابه ساء سمعاً فأساء اجابه ما عقلت وما نقلت فقال يا أحيل من ثعلب وأمكر من تغلب ظهرت فيك العلامات وحظك في العلامات وها أنا تاركك كالمحمور اذا دار كالمخمور ولئن بقيت الى يوم الجمعه لامتعن نظرك بما يجري دمعه وارى قلبك الشوق ومأواه بعزة الله

القسم الثاني

﴿ منتخبات التنكيت والتبكيت ﴾

منتخبات من العدد الاول الصادر بتاريخ ٨ رجب سنة ١٢٩٨ هـ (٦ يونيو سنة ١٨٨١)

اعلان الى النبهاء والاذكياء من أبناء بجدة اللغة العربيه

اليكم يراعي فاستخدموه في مقترحات افكاركم العالية وصحيفتي فاملأوها بآدابكم المألوفة وبدائعكم الرائقة فاليراع وطني يخاطب القوم بلغتهم ويطيعهم فيما يأمرون به والصحيفة عربية لا تبخل بالعطاء ولا ترد الهدية وأنتم كرام اللغة واخوان الوطنية فشدوا عضداً اخيكم بالقبول والاغضاء عن العيوب وساعدوه بافكار توسع دائرة التهذيب وتفتح ابواب الكمال وكونوا معي في المشرب الذي التزمته والمذهب الذي انتحلته افكار تخيلية وفوائد تاريخية وامثال ادبية وتبكيت ينادي بقبح الجهاله وذم الخرافات لنتعاون بهذه الخدمة على محو ما صرنا به مثلة في الوجود من ركوب متن الغواية واتباع الهوى اللذين اضلانا سواء السبيل

﴿ المقدمة ﴾

حمد الله تعالى فاتحة كل كتاب   والصلاة على انبيائه منهج ذوى الالباب

(أيها الناطق بالضاد)

أتقدم بين يديك بخدمة وطنية دعاني اليها حبي فيك وخوفي عليك وما هي بالعظيمة فتشكر ولا بالبليغة فتمدح وانما هي صحيفة ادبية تهذيبية تتلو عليك حكماً وآداباً ومواعظ وفوائد ومضحكات بعبارة سهلة لا يحتقرها العالم ولا يحتاج معها الجاهل الى تفسير تصوّر لك الوقائع والحوادث في صور ترتاح اليها النفوس وتميل . ويخبرك ظاهرها المستهجن بان باطنها له معان مألوفة وينبهك تقابها الخلق بان تحته جمالا يعشق وحسناً تذهب الارواح في طلبه . هجوها تنكيت ومدحها تبكيت ليست منمقة بمجاز واستعارات ولا مزخرفة بتورية واستخدام ولا مفتخرة برقة قلم محررها وفخامة لفظه وبلاغة عبارته ولا معربة عن غزارة علمه وتوقد ذكائه ولكنها احاديث تعودنا عليها ولغة الفنا المسامرة بها لا تلجئك الى قاموس الفيروزابادى ولا تلزمك مراجعة التاريخ ولا نظر الجغرافيا ولا تضطرك لترجمان يعبر لك عن موضوعها ولا شيخ يفسر لك معانيها فهي في مجلسك كصاحب يكلمك بما تعلم وفي بيتك كخادم يطلب منك ما تقدر عليه ونديم يسامرك بما تحب وتهوى فاجعل لها نصيباً من عمرك الجليل ومتعها بنظرة تجلو مرآتها وتبصر خباياها ولا تفوق سهام الرد قبل ان تدخل معها المضمار ولا تنكر عليها ما تحدثك به قبل ان تطبقه على احوالنا ولا تظن مضحكاتها هزؤاً بنا ولا سخرية بأعمالنا فما هي الا نفثات صدور وزفرات يصعدها مقابلة حاضرنا بماضينا فان صدقت في الخدمة فأجري منك المساعدة وان قصرت فقد بلغت جهدي وصرفت ما في امكاني فان شئت عذرت وان شئت اطلقت عنان افكارك في ميدان يكبو فيه جوادي

ولسنا بدار الحرب او ارض فتنة   ولكن لنا في العالمين نظير

سهروا الليالي فاستراحوا دهورا وما بلغوا مقام العزه بلهو ولا لعب ولا افساد ولا خروج عن حدود الانسانية وانما نظروا الى الانسان فرأوه فعالا ما اضطر او اضطر وقد اضطرهم تقدم الامم الى النظر فيما يعظم ثروتهم ويؤيد حكومتهم ويعلي كلمتهم ويظهر وطنيتهم فما تركوا خفياً الا اظهروه ولا مجهولاً الا علموه ولا مشكلاً الا حلوه ولا معمى الا فسروه

فباتوا غرقى في بحار الخشونة والخرافات وأصبحوا في سفن السياحة يعبرون بها بحار الوجود لمباح يملكونه ومهدر يختلسونه وتجارة يوسعونها وأمة يسوسونها وانت انت تفخر بعزة الآباء وتمرح في ارض اتسع غامرها وقل عامرها وصمفت حجابها وفتحت ابوابها فهي كدار الضيافة يقابل فيها القادم بالسلام والترحاب ويتمتع فيها الضيف بكرم لا يدخل تحت حساب مع تعظيم يجل عن مقامه واحترام لا يبلغه في اشراف قومه ان غضب ترضيناه بتقبيل الايدي والاقدام وان لخش قابلناه برقيق الكلام وان انتهب حقاً سامحناه وان اغتصب مالا زدناه فانه عزيز في الوجود رفعه العلم الى درجة يعدّنا فيها من البهائم وأوصلته محبة الجنسية الى مقام يصعب علينا الوصول اليه فهو في عالم ونحن في عالم وان جمعنا في مكان

ويا أيها المصري ألا تذكر ما كنت فيه من حضيض الخسف وحفرة الذل وتراجع ما كنت تقاسيه من دفع المغارم وتحمل المظالم وتقابل ماضيك بحاضرك لتعرف فضل النعمة وقدر الاحسان . الا ترقب حكومتك في أعمالها لتهتدي الى سبيل التقدم وطريق العرفان. الا تقرأ ما ينشر عليك من الاوامر الداعية الى الائتلاف المحذرة من الاختلاف الداحضة حجج اهل البغي والفساد . الا تنظر ما تعقده من المجالس لتخلصك به من مخالب المصائب التي اوقعك فيها جهلك وبعدك عن التبصر في العواقب واهمالك في حقوق الوطنية وواجبات الانسانية . اظنك لو تدبرت امرك لاستحييت من مقابلة من لم يولد في ارضك وعلمت انك في احتياج الى مهذب يرشدك ومؤدب يوقفك عند حدودك ومنبه يوقظك من غفلة الكسل ونومة الاهمال. على انك اهل الذكاء ورب البلاغة ومنبع المعارف ومبتدع الصنائع ولكنك جهلت تاريخك . وسأتحفك بغرائب قومك ومناقب اصلك اقدمها اليك شذوراً مردفة بما نحن فيه من التبكيت لتعذر المتنهد وترحم المسكين وتكون من الذين اعادوا مجدهم واحيوا اوطانهم فاصبحوا ببقاء ذكرهم في الوجود من الخالدين

﴿ مجلس طبي ﴾

(على مصاب بالافرنجي)

كان هذا المصاب صحيح البنية قوي الاعصاب جميل الصورة لطيف الشكل ما رآه فارغ القلب الا صبا ولا سمع بذكره بعيد الا طار اليه شوقاً نشأ في العالم روضة ودار به اهله

يحفظونه من الإعداء ويدفعون عنه الوشاة والرقباء وقد مات في حبه جملة من العشاق الذين خاطروا في وصاله بالارواح والاموال وكلما وصل اليه واحد سحره برقة الفاظه وعذوبة كلامه وسلب عقله ببهجة يحار الطرف فيها وعزة لا يشاركه فيها مشارك وهو هو غزال في الخفة غصن في اللين بدر في البهجة جنة في المنظر تمر عليه الدهور فتزيده حسناً وتتوالى عليه العشاق فتزداد هياما وأهله فرحون بهذا البديع الفريد والطالع السعيد يعشقون الموت في حياته وقد اتفقوا على توحيد كلمتهم في حفظه وجمع شتاتهم في رحابه وصرف حياتهم الطيبة في بقائه في الوجود معززاً بأهله مؤيداً بعشائره حتى لا تمد اليه يد عدو ولا يوجه اليه فكر محتال ولا يقرب منه مغتال

وبينما هو يتيه بحسنه ويدل بجماله صحبه احد المضلين واستماله بنفاق تميل اليه النفوس وتملق يخجل فظن اهله ان هذا المضل من الاتقياء الذين لا يعرفون اللهو ولا يميلون الى المفاسد وسلموه جنة حياتهم وروضة ثروتهم فدار به في الاسواق والطرقات وعرضه للعشاق تقبله جهاراً وتسلبه حلي اصابعه وزينة صدره وقد علموا ان الجمال يأسر الجميل فأحضروا من الغواني من تعارض الشمس بحسنها وتكسف البدر بنورها فدرن في سبيل بيته يغازلن اهله بنغمات تحرك الجبان ومؤانسة تستميل الشجعان حتى سلبن العقول وحولن الطباع وبغضن المحبوب اليهم والهين كل ذي لب عن افكاره وانسين كل مدبر ما كان يتصوره من نوابغ الحكم وغريب الامثال وجعلن الجمال مبذولا بلا قيمة والوصال ممنوحا بلا مقدمات وذاك الصاحب مكب على هواه مغرم بجمع الغرباء واستدعاء الاعداء ومصاحبة الاشقياء ومسامرة الاغبياء ينام ومحبوبه قلق ويضحك ومعشوقه كئيب الا ان هذا الغزال الطاهر العرض لما رأى أهله اهدروه وأهملوه واشتغلوا بالغواني وولعوا بخدمة الاجانب وانكبوا على الملاهي يتتبعون آثارها استسلم للقضاء وترك النفار والتحمس ومال مع اغراض هذا الصاحب وسار معه في طريق لا يرى فيه احداً من اهله فما هي الا رشفة كاس حتى اصفر وجهه وارتخت اعضاؤه وذهبت بهجته فسلم جسمه الشريف الى الفرش يتململ عليه ففطن له واحد من اهله وزاره في خربة لم يجد فيها غير شبح يعلل نفسه بالاماني ويصعد الزفرات وقد برزت عظام وجهه وغارت عيناه وتشوه وجهه وتبدلت محاسنه بقبائح تنفر منها الطباع فبكى وانتحب وقال

اي حياتي اي جنتي اي نزهتي اي مطلع عزي ما الذي اصابك أين جمالك البديع أين محياك الزاهي أين حسنك الذى افنى الكثير من العشاق ابن صحتك التي أشابت الدهور وهي في عنفوان الشباب أين قوتك التي أسرت بها الاشباح أين رقتك التي جذبت بها الارواح اين ما كان عليك من الحلي والزينة أين تاجك الذي ما لبسه انسان الا افتخر على الوجود . أية نفس تراك في هذه الخربة ولا تفيض حزناً اي قلب يرى وهنك ولا يتفطر كمداً اية عين ترى تشويه ذاتك ولا تطمس اسفاً زحزح الهم عني بجواب يبين الحقيقة لعلي اتدارك من امرك ما بقي واحفظ من صحتك ما عساك ان تنشق به نسيم الحياة فتنفس المصاب تنفس الضعيف ورمقه بعين لا يكاد يحرك جفنها وقال بصوت خفي (لا يعز عليك جسم امرضه اهله) فانكم تركتموني لصاحبي يدور بي اينما دار فعرضني لمن لم اعرف طبعه ولا عادته ولا لغته ووكل بي من يغرني ويسلك بي سبيل الغواية فلم اجد بداً من الموافقة ودرت معهم في اماكن اللهو حتى اصبت بالداء الافرنجي فلم اعبأ به في اول الامر وتركت نفسي وكتمت خبري فاني لم اجد احداً من اهلي حولي ولم اعلم ان الداء سرى في دمي وعروقي وتمكن من عظامي واعصابي حتى لم يترك عضواً من اعضائي الا نشب فيه فلما ضعفت قواي وتعطلت حواسي سقطت في هذه الخربة اقلب جسمي على الاحجار وارمق بعيني آثار اهلي وقصورهم المتهدمة ولكن لا استطيع حراكاً حتى كنت اغالب هذا الافرنجي واصل الى مقرّي ومنشأ عزي فأعالج نفسي بحشائش تربتي وعقاقير ارضي من يد اطباء بلادي وصيادلة دياري فان قويت علي فاحملني وان تأذيت من صديدي فاجمع اليّ قومي لعلي اجد فيهم من يقبل على جيفتي ويسعى في نجاتي فقام هذا الزائر يضرب الكف بالكف اسفاً ويعض انامله غيظا واسرع الى الحي ونادى

ايتها القبور الصامتة انشقي وانفرجي وابعثي من فيك من الاموات فقد اتت الطامة الكبرى وانكدرت نجوم النشور . ويا ايتها الارواح الخامدة هلمي الى اجسامك الباليه فأقيميها من موتتها وابعثيها في الوجود لتنظر هذا الذي تشقى بعدمه وتحاسب عليه

فلم يكن الا كلمح البصر حتى ملئ الفضاء باناس لا عداد لهم يقدمهم طبيب بارع قد استصحب معه جملة من الاطباء وساروا الى تلك الجيفة واحتاطوا بها يقلبونها عن اليمين

وعن الشمال ويقرعون صدرها ويجسون نبضها حتى وقفوا على دائها وعلموا اصل مصابها فحكموا على صاحبها بانتزاحه عنها وعدم قربه منها وفوضوا امر هـذا المصاب الى الطبيب البارع يتولى علاجه ويداوي جراحه فطلب من بقية الاطباء ان يرافقوه في هذه المعالجة ليتقوى بأفكارهم على ما يصلح به هذا الجسد الشريف وبعد تبادل الافكار بينهم قر الرأي على انهم يركبون له دواء يوقف سريان الداء الآن حيث تحكم وتمكن وبعد ذلك يتداولون فيما يزيل المرض ويعيد الصحة فتعلق بهم اهله يسألونهم الاسراع في معالجته والاجتهاد في دفع مصابه فترضتهم الاطباء وسألتهم الهدو والسكون ومساعدتهم في خدمته وتنظيف محله وتطهير اعضائه وحفظه بحيث لا يتركون الغرباء يتولون خدمتـه ولا يمكنون الاجانب من الوصول اليه خوفاً من افسادهم العلاج وسعيهم في اتلافه اكثر مما صنعوه به فكثر صياح اهله وعلت اصواتهم بالعويل ووضعوا ايديهـم على اكبادهم وتصبروا وابتدأوا يعمـلون بمشورة الاطباء ويبذلون الجهد في وقايته وصيانته من كل من كان من جنس مصيبيه . قال الراوى وبينما أنا أبكي وأنوح مع هؤلاء المساكين واذا بالمؤذن ينادي حي على الفلاح فقمت لاقضي الفرض واعود لمباشرة الخدمة مع اخواني اذ لم أر قبل هذا اجتماع مجلس طبي على مصاب بالافرنجي

عربي تفرنج

ولد لاحد الفلاحين ولد فسماه زعيط وتركه يلعب في التراب وينام في الوحل حتى صار يقدر على تسريح الجاموسة فسرحه مع البهائم الى الغيط يسوق الساقية ويحول الماء وكان يعطيه كل يوم اربع حندويلات وأربعة أمخاخ بصل وفي العيد كان يقدم له اليخني ليمتعه بأكل اللحم بالبصل وبينما هو يسوق الساقية وابوه جالس عنده مرّ بهما احد التجار فقال لابيه لو ارسلت ابنك الى المدرسة لتعلم وصار انساناً فأخذه وسلمه الى المدرسة فلما أتم العلوم الابتدائية ارسلته الحكومة الى اوربا لتعلم فن عينته له فبعد اربع سنين ركب الوابور وجاء عائداً الى بلاده فمن فرح ابيه حضر الى الاسكندرية ووقف برصيف الجمرك ينتظره فلما خرج من الفلوكة قرب ابوه ليحتضنه ويقبله شأن الوالد المحب لولده فدفعه في صدره وجرت بينهما هذه العبارة

زعيط . سبحان الله عندكم يامسلمين مسألة الحضن دي قبيحة جداً

معيط . امال يابني نسلم على بعض ازاي

زعيط . قول بون اريڤي وحط ايدك في ايدي مره واحده وخلاص

معيط . لهو يا ابني انا بأقول منيش ريفي

زعيط . موش ريفي يا شيخ انتم يا ابناء العرب زي البهايم

معيط . الله يسترك يا زعيط والله جا خيرك يا ابني نوت روح فوت فلما وصل به الكفر قامت أمه وعملت له طاجناً في الفرن مملوءاً لحماً ببصل فلما رآه قال لها . ليه كترتى من ال... معيكه من ال ايه يا زعيط . زعيط . من البتاع اللي اسمه ايه . معيكه . اسمه ايه يا ابني الفلفل زعيط . نونو ال دى البتاع اللي يتزرع . معيكه . الغلة يا ابني . زعيط . نونو دي اللي يبقى له راس في الارض . معيكه . والله يا ابني ما فيه ريحة الثوم . زعيط . البتاع اللي يدمع العينين اسمو اونيون . معيكه . والله يا ابني ما فيه اونيون ولا . دا لحم ببصل . زعيط . سى سا بصل بصل معيكه . ويا زعيط يا ابني نسيت البصل وانت كان أكلك كله منه

معيط . شكاه لاحد النبهاء وقال ولدي توجه الى اوربا وحضر يذم بلاده وأهله ونسي لغته فقال له النبيه ولدك لم يتهذب صغيرا ولا تعلم حقوق وطنه ولا عرف حق لغته ولا قدر شرف الامة ولا ثمرة الحرص على عوائد الاهل ولا مزية الوطنيـة فهو وان كان تعلم علوماً الا انها لا تفيد وطنه شيئا فانه لا يميل الى اخوانه ولا يستحسن الا من يعرف لغتهم على انه اصبح كالغراب لما أراد ان يقلد الحجل في مشيته وعجز عن التقليد واستحال عليه عوده لطبيعته الاولى فأصبح يقفز قفزاً وقد خرج عن حد الجنسية وطباع النوعية ولا يفعل فعل ولدك الا لئيم جاهل بوطنه فكم من شبان تعلمت في اوربا وعادت محافظة على مذهبها وعوائدها ولغتها وصرفت علومها في تقدم بلادها وابنائها ولم ينطبق عليهم عنوان عربى تفرنج

﴿ سهرة الانطاع ﴾

دخل احد المهذبين بيتاً من بيوت رجال الملاهي فوجد عشرة من الرجال جالسين على الاسرة مبهوتين ساكتين لا يتكلمون ولا يتحركون ولا يرفعون أبصارهم هذا واضع عنقه على كتفه وذا مكفي على المخدة وذاك يتمايل كالنائم وآخر واضع يده على خديه فظن المهذب ان رب الدار أصيب بمصيبة وهؤلاء متكدرون مما اصابه مشفقون عليه فجلس في ناحية

من المجلس وسأل رب الدار قائلاً لعلكم بخير هل من امر نزل بالسيد حفظه الله قال لا ولكن عادتنا ان نجتمع كل ليلة الانس والمفاكهة

المهذب . أظنكم تتذاكرون في تقدم صنائع اوروبا وانتشار تجارتها في سائر الاقطار حتى عظمت ثروتها وتقوت شوكتها

رب الدار . ما لنا علم باوروبا ولا أهلها فاننا ما خرجنا من مصر مدة حياتنا

المهذب . عدم الخروج من البلاد ليس شرطًا في وقوف الانسان على حقائق الاشياء وعلمه باخبار من بعد عنه فان التواريخ وصحف الاخبار تقص علينا احاديث الامم ونحن جلوس في بيوتنا

رب الدار . التواريخ لا يقرأها الا العلماء والصحف لا يسأل عنها الا الخواجات فانها عبارة عن حكاية يتسلى بها الشبان

المهذب . الصحف يا سيدي ألسنة الامم وترجمان الملوك تنقل لك ما قاله هذا الرئيس وهو بأقصى الغرب وما اجاب هذا الامير وهو في اطراف الشرق وتخبرك بالمحاورات السياسية واغراض الملوك واحوال الامم وسير التجارة واعمال العقلاء وصنائع العلماء وخطب النبهاء وتاريخ الاذكياء وما قامت به هذه الامة من عمار وطنها وحمايتها له وحفظه من امتداد ايدي الغير اليه وما أهملت فيه تلك الامة حتى خاتلها الغريب وتداخل في شأنها وحجر على أهلها عوائدهم ومذاهبهم

رب الدار . هذا شيء يوجب وجع الدماغ ويشتت الفكر ولا يشتغل به الا من ليس له شغل

المهذب . اظنكم تحدثون في شؤونكم وتتذاكرون في اشغالكم الخاصة بكم لعلكم تهتدون لامر يزيد في الثروة اكثر مما انتم عليه لتفاخر بكم حكومتكم وتكافئكم على اتعابكم واجتهادكم بالرتب العالية والعلامات الشريفة

رب الدار . هذا أمر لا يهمنا فان البلاد اذا تقدمت او تأخرت لا تفيدنا شيئًا احسن مما نحن فيه

المهذب . ما هو الذي وصلتم اليه يا سيدي من التقدم

رب الدار . لله الحمد كل منا له بيت عظيم بحوش واسع ومضيفه لطيفه وعنده من الخدم ما يقوم بادارة اشغاله وقد تركت لنا آباؤنا أموالاً لا تفنيها الايام فنحن في نعمة عظيمة ترى المسكين من الناس يقوم في الفجر لاشغاله ويبيت يكتب ويحسب ونحن لا نخرج من البيوت الا قبل الظهر بقليل ونعود اليها وقت العصر للمسامرة بالمضحكات والنكات اللطيفة

المهذب . اذا كانت هذه عادتكم فلم تجتمعون في هذه السهره

رب الدار . عادة الكيف انه لا يفرح الا اذا تعاطاه الانسان في مجلس انس بضحك ولعب فنحن نجتمع لينعاطى كل منا منزوله ثم تدور النكته بيننا فاذا ونْن الانسان وخدّر قام ودخل محل النوم حسب العاده فيبيت مبسوطاً لا يسأل عن الدنيا ولا من فيها ثم التفت الى اقرانه وقال رأيكم ايه يا اسيادنا في هذه العباره فاجابه الجميع بصوت واحد « مفيش غير كده احنا مالنا ومال الدنيا والتجاره والتواريخ احنا رايحين نبقى زي الافرنج اللي كل ساعه يقولوا الدنيا جرى فيها ايه والجرانيل قالت ايه والتلغرافات عادت ايه زي اللي الدنيا ملكهم هأ هأ هع ».

المهذب . هكذا تكون حال من لم يتهذب صغيراً فانه يخرج اسير شهواته بعيداً عن ادراك المعاني جباناً بليداً غبياً ولكن قد كسفت شمسكم وظهرت انوار المعارف والآداب واصبحت الحكومة في جد واجتهاد تقدم بهما رجالها وتبعثكم من قبور الغفلة الى جنات المعارف والامة تبيت تبحث عن اسباب تأخرها وما يوجب تقدمها فهي والحكومة يد واحدة في احياء الوطن وتوسيع تجارته وتأييد كلمته ولا نلبث ان نرى البيوت والجامع كلها محافل آداب ومجالس مباحثات وتصبح الاطفال تبحث في حال من تقدمها وتعجب من جبن آبائها وسعيهم في اعدام المعارف بما الفوه من اللهو والبطالة وفساد الاخلاق وما كانوا يفعلونه من القبائح والرذائل في سهرة الانطاع

﴿ تخريفة ﴾

(الجنون فنون)

جلس احد المحتالين على قهوة واخذ يقرأ اكاذيب سماها قصة عنترة فاجتمع اليه عدد كثير من الرعاع والهمج الذين اولعوا بسماع الاكاذيب والخرافات فلما رآهم منصتين اليه

اخذ يفتري عبارات ينسبها الى عنترة وكلمات يعزوها الى عمارة وقد افترق القوم فريقين وكل فريق يدفع لهذا المحتال نقوداً ليؤيد مشربه ويتمدح بمن يميل اليهم والمحتال مجدٌّ في التحريف متفنن في الكذب حتى قرب الفجر فقال وبينما هم في قتال ونزال وقد انكشف الغبار عن اسر عنترة وسنخلصه في الليلة القابلة . فقال له احد المجانين لا بد ان تخلصه الآن وخذ عشرة جنيهات فابى المحتال وسكت عن الكلام فشتمه المجنون وعلت اصواتهما بالقبائح وآل الامر الى الضرب والاهانة ثم ذهب المجنون وقد تذكر ان عنده قصة عنترة ولكنه امي لا يقرأ فقصد غرفة ولده وايقظه من النوم وهو يبكي وقال له يا ولدي ابوك رزئ بمصيبة عظيمة فقال له ولده هل مات اخي قال اهون ـ هل هدم البيت الجديد ـ كان اهون ـ هل ماتت امي ـ كان اهون ـ اصدر عليك حكم بالليمان في قضيتك ـ كان اهون ـ سرقت نقودك ـ كان اهون ـ ما الذي اصابك يا والدي ـ يا ولدي في هذه الليلة اخذوا عنترة اسيراً فهات الكتاب وخلصه والا قتلت نفسي ـ الولد من عنترة يا والدي أتتكدر على حكاية مكذوبة وقصة كلها تحريف ومالنا وعنترة ان هو الا عبد اسود اخذ شهرة بما صنعه من الشعر وقتل بعض الناس بلا حق لولوعه بالنهب وسعيه خلف مقاصده ـ الوالد انت تشتم عنترة يا ابن الـ... ونزل عليه بعصاه حتى اسال دمه وحلف عليه بالطلاق لا يبيت عنده ولا يعاشره فخرج الولد المسكين وهو يسب الجهل واهله ويعجب من فساد اخلاق والده الذي احدثه عدم التهذيب حتى الحقه بالبهائم وسلخ عنه جلد الانسانية فعارضه احد جيرانه وسأله عن حاله فقص عليه قصته مع والده ـ فقال طالما قلت لابيك فضك من عنترة وتعال اعمل زغبي فما سمع كلامي ـ فضحك الولد من خسافة عقل الاثنين وقال لاشك ان الجنون فنون

﴿ محتاج جاهل في يد محتال طامع ﴾

احتاج احد الزراع لاستدانة مائة جنيه فقصد بعض التجار وطلب منه المبلغ فجرت بينهما هذه الحكاية بحضور احد النبهاء

الزارع عاوز ميت جنيه بالفرط يا سيدي

التاجر فرط المائة عشرين كل سنة

الزارع اعمل اللي تعمله

التاجر شيل عشرين من المائة يبقى كام

الزارع لهو انا كاتب شوف يفضل كام

التاجر يبقى سبعين

الزارع يدوب كده

التاجر دلوقت صار لي مائة جنيه ضم عليهم عشرين واكتب الكمبياله

الزارع اكتب وخد الختم اهو

وفي وسط السنة قدم له الزارع عشرة قناطير قطن وعشرة ارادب من السمسم وعشرين من القمح وثلاثين من الفول واربعين من الشعير وجاء يحاسبه فكانت الحكاية هكذا .

الزارع طلع لي ورقه بالحساب يا سيدي

التاجر انت جبت قطن بعشرين جنيه وقمح بعشرة جنيه وسمسم بثمانية جنيه وفول بعشرين جنيه وشعير بعشرة جنيه يبقى الجميع كام

الزارع ما قلت لك من ديك المره معرفشي الحساب

التاجر يبقى اربعين جنيه شيلهم من مائة وعشرين يكون الباقي كام

الزارع مين يعرف شيء لبده

التاجر الباقي تسعين جنيه وفرطهم عليهم عشرين يبقى مائة وخمسة عشر طالب انت كمان ثلاثين يبقى مائة وستين ضم عليهم اربعين فرط يبقى الكمبياله تنكتب بمائتين وعشرة ونصف

الزارع هو ايه موش الاصل سبع عشرات وعشرينتين وجالهم ثلاثين وثلاثين شلت منهم من البتوعات اللي جبتهم يبقى لك دلوقت ميتين وعشرة بس . والنص ده جبتو منين.

التاجر النص أجرة كتابتي ليس من الارباح

الزارع آي دلوقت صحت الحسبه والسنه دي أبيع لك خمسين فدان في عشرة جنيه يبقى لك ايه بعد كده يا جنيهين يا تلاته خدلك بهم جاموسه ويبقى على رأي المثل شيل ده عن ده يستريح ده من ده

فقال النبيه للتاجر اما تتقي الله في هذا المسكين اخذت محصوله وصار دائناً لك فلفقت له حسبة لا اصل لها وجعلته مديوناً فان حسبتك معه هكذا

عدد

٧٠ بفائدة عشرين في المائة فالمطلوب عدد ٨٤

وهو اورد لك هذا القدر

قنطار	سعر	جنيه	
١٥	٢	٣٠	قطن
أردب			
١٠	٢ ١/٢	٢٥	سمسم
٢٠	١	٢٠	قمح
٣٠	١	٣٠	فول
٤٠	١/٢	٢٠	شعير
		١٢٥	

يكون له عندك واحد واربعون جنيهاً فكيف جعلته مديناً بمائتين وعشرة ونصف بعد ذلك ان هذا لهو السلب بلا خوف

التاجر يا خيبي الزارئ حمار وانا اذا كان موش يعمل كده موش لازم يبجي تاجر بنكير بعد خمسه سنه . فقال النبيه قد تغيرت هيئتنا وتنبهت الحكومة لرجالها فهي تسعى في عمل نظام يحفظ الحقوق ويمنع تعدي مثلك على هذا المسكين حتى لايقع بعد ذلك جاهل محتاج في يد محتال طامع

﴿ غفلة التقليد ﴾

بني احد حمير الاموال بيتاً وزخرفه وملأه بالفرش والكراسي والمنصات الثمينة ثم صنع وليمة عظيمة لبعض احبابه عند انتقاله اليه وكان في جملة المدعوين رجل من النبهاء فلما انتهى بهم المجلس اخذ يقص عليهم سبب بناء هذا البيت ومقدار ما صرفه فيه وما قاساه من مماطلة العمال ومعاكسة الزمان وشرح لهم بيان ما فيه من الاثاث والمتاع حتى انتهى الى خزانة كتب فقال واشتريت هذه الخزانة بألف قرش واخذت هذه الكتب بمائة جنيه بواسطة احد العلماء الافاضل

فقال له النبيه . أظنك مغرماً باشعار العرب لتقف على أحوالهم ووقائعهم الشهيرة وحماستهم التي كانوا عليها والغيرة التي خصوا بها والحمية التي نشأوا فيها والامانة التي امتازوا بها والعزة التي بها يعرفون والكرم الذي به يمدحون والوفاء الذي به يمتازون والشجاعة التي عليها يتدربون والحكمة التي بها يولدون والبلاغة المقصورة عليهم والفصاحة المنسوبة اليهم والسياحة التي امتازوا بها والرحلة التي ألفوها وتعلم ما في منشآتهم من التشبيهات الغريبة والمعاني البديعة والتصور العجيب والاقتدار المفحم والسلاسة اللفظية والرقة المعنوية والتراكيب الآخذة بالعقول والتفنن الدال على قوة ذكائهم وغزارة مادتهم وصفاء عقولهم فان ذلك كله في اشعارهم يشهد به الشرقي ويعترف به الغربي ولا ينكره الا من انتزعت منه الانسانية وجذبته الجنسية فالقته في مهواة الحقد والكبرياء فاصبح لا يعرف الا السفه ولا يميل الا الى القبائح ولا يتمدح الا بجنسه وان كان مذموماً صفة المائل بطبعه الى الشهوات البهيمية البعيد بذاته عن مظاهر الانسانية

فقال رب الدار . ليس فيها من اشعار العرب ولا نثرهم شيء

قال النبيه. اظنك مشتغلاً بمطالعة التاريخ لتعلم كيف كان بدء الوجود وانتشار الانسان وكيف تعلم الانسان الصنائع وأدرك المعارف وتقف على مخترعي الصنائع وما لاقوه في ابتداعها ومؤسسي الممالك وما عانوه فيها من الحرب والغربة والاسفار الشاقة وما نابهم من فقد الكثير من الارواح والالوف من الشجعان وما سهروا في حفظه من تربية ايتام اكلت الحرب آباءهم وحفظ أرامل حال الموت بينهن وبين اغراضهن وما تعبوا في جمعه من أموال يصرفونها في صيانة الامم وعمار الاوطان وشراء السلاح وآلات الدفاع وتهذيب الاطفال وتدريب الشبان وتحنيك الشيوخ وتبحث في التواريخ على تاريخ قومك واهل عشيرتك لترى نفسك في أي جنس وجدت وفي اية أرض ولدت فاذا تحققت الجنسية وعلمت نشأة عصبيتك التي بها صح انتسابك وعرف عنوانك سرحت نظرك في اخبارها وتتبعت سيرها في الوجود وبحثت في مادة قوتها وعناصر تركيبها التي أقامتها جسداً صحيحاً واظهرتها انساناً كاملاً واشتغلت بمعرفة الوقائع وما جرى فيها من المداولات والسياسات الادبية والاحتياطات التي وقت تلك الامة من العوارض وقوت امرها ورفعت شأنها وشغلت الافكار بها وأرجفت

القلوب وحيرت الالباب وألزمت نفسك معرفة الرابطة التي تأسست عليها والوحدة التي نشأت منها والقطب الذي دارت عليه والغاية التي وصلت اليها لتعلم أأنت أنت كما كان آباؤك أم غيرت وبدّلت وتركت عاداتهم وتساهلت في معتقداتهم وأهملت سرّهم الجامع ونظامهم البديع حتى رأيت التغير في نفسك وفعلك وبعدك عن الوصول الى مدركاتهم ونفور المعالي منك وجهلها اياك فان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

قال رب الدار . أنا لاأعرف التاريخ ولا البحث فيه لاشتغالي بامور كثيره

قال النبيه . احسبك تشتغل بالعقليات لتعرف ما كان عليه قومك من السهر في تدوين كتبها وحل مشاكلها وتعب الاجسام في تجربة المخترعات وسبر المبتدعات وما كانوا عليه من القوة في هذه العلوم وماذا ينسب اليهم من الطب الذي هو اساس نظام الحياة ومظهر الصحة وما عرفوه من الهندسة التي هي قاعدة المدنية ودعامة الحصون والمعاقل وما أدركوه من النجوم التي اوصلتهم الى معرفة الحوادث الجوية والخوارق الكونية فاهتدوا بها لافتتاح لجج البحار واكتشاف المجهول من الاقطار والامم وما وصلوا اليه بالرحلة من معرفة حدود البلاد وعوائد العباد والطرق الوعرة والسهلة ومقدار مساحة الوديان والغابات والمحالك وما تفننوا فيه من الآلات الدفاعية والصناعية والزراعية وغيرها حتى عظمت ثروتهم واشتدت سطوتهم وتأيدت قوتهم وما ألفوه من الحكم والآداب والعلوم الابتدائية التهذيبية والبدائع المروضة للنفوس .

قال رب الدار . ليس لي المام بشيء مما ذكرت

قال النبيه . أتخيل انها كتب دينية تشتغل بها لتكون على سنن اسلافك ودين آبائك لئلا تفقد حرارة الدم والغيرة التي يولدها الطعن في المذهب وسعي الغير في اعدامه خوفاً منك على وحدة النظام وقاعدة الاجتماع ورهبة من تذبذبك وميلك مع كل ريح فتصبح براء من مذهبك اجنبياً من غيره فلا تتمكن من الحماية بقومك ولا الالتجاء لغيرهم فلكل امة مذهب يجمع شتاتهم ويوحد كلمتهم ويبعث فيهم روحاً يحيا به ذكرهم ويدوم مجدهم ويتأيد اتحادهم وتخشى من تغيير مذهبك الذي يذهب بك الى النفرة وكراهة مواطنك وعداوة ابيك وبغض اخيك وحقد صاحبك وانفة جارك منك ويميل بك الى مهواة يعز

عليك الخروج منها وترمي بك في حضيض لا يرفعك منه الا اعـدام يواريك التراب فيذهب شخصك وينسى ذكرك وينكر اثرك

قال رب الدار . أنا لا أعرف المذهب الا سماعاً من ابى وامى ولا افقه له معنى غير اني مثل قومي

قال النبيه . اظنها كتباً بغير لغتك تجيل فيها فكرك لتعلم اخلاق الامم وسيرتهم وما هم عليه من الآداب والمحاسن الانسانيـة فتأخذ منها ما يكون صالحاً لامرك نافعاً لقومك مؤيداً لوطنك وتعرف ما لهم من طول الباع في المخترعات واتقان الصناعة واحسان اسباب الثروة وتدرك بماذا تقدمت هـذه الامة ومكنت المدنيـة فيها وبماذا غلبت تلك الامة واضاعت اقطارها وخسرت رجالهـا وبماذا اتسعت تجارة هـذه ودارت في المسكونة مع الرغبة فيها والأمن عليها لعلك تهتدي لشيء مما تقف عليه تنفع به بلادك وترشد اليه قومك

قال رب الدار . انا لا اعرف من اللغات غير ما كانت تكلمني به امي في صغري وتربيت عليه

قال النبيه . ما هذه الكتب اذاً وما داعية اقتنائها عندك

قال رب الدار . دخلت بيت الشيخ فلان والسيد فلان والحاج فلان والهمام فلان والامير فلان فرأيت في مضيفة كل منهم خزانة بها كتب وعليها ستارة خضراء وبجانبها منشة من الريش والخادم كل يوم ينفضها ويمسح الزجاج والخزانة فعلمت ان هـذا طرز جديد (موده) في بناء البيوت فرتبت مضيفتي مثلهم لاكون في صف المتمدنين . فلعن النبيه الجهل وسب التقليد وقال ان دام تقليد الناس لبعض الافراد فيما يفعلونه من غـير نظر في المنفعة ولا تعقل لمـا يراد ضاعت العلوم وتحولت الطباع وانحلت عرى الوحدة وأصبح الـكل نائمـا في غفلة التقليد

منتخبات العدد الثاني

﴿ اضاعة اللغة تسليم اللذات ﴾

(ايها الناطق بالضاد)

بمَ تستبدل لغتك وما لها من مثيل والى من تتركها وانت لها كفيل وما الذي استحسنته في غيرها واستقبحت مقابله فيها . واي شيء طلبته فيها ولم تجد له اسما . ترى انك في عصر تمدن يقضي عليك باستعمال ارق اللغات لسهولة التركيب وعذوبة اللفظ ورقة المعنى . ناشدتك الله أوجدت في اللغات الحديثة العهد ما اشتملت عليه لغتك القديمة ام رأيت حسنا في اللغات التي تنقح كل يوم بقلم المتمدنين لم تره في لغتك الفطرية الخلق المجموعة في زمن الهمجية كما يزعم الجاهلون . أترى اذا عبرت عن شيء بلفظ في غير لغتك واردت ان تتصرف فيه بعبارة أخرى هل تجد له مرادفاً واحداً كما تجد في لغتك للفظ جملة مترادفات . ام انت الجاهل بقدرة لغتك الغافل عن عظم قدرك في تاريخ العالم قديماً وحديثاً . اظنك في احتياج لفهم سر اللغة ومعرفة ما يترتب على ضياعها ولا تثريب عليك في امر لم يبحث فيه الا بعيد الغور في حساب العواقب شديد الحرص على بقاء وحدة الهيئة الاجتماعية

لبيك ايها الاخ الشقيق وان لم نحمل في بطن واحد . اللغة سر الحياه والحد الفارق بين الانسان والبهيم . بها يترجم اللسان خواطر القلب ويجلو بنات الافكار وبها يعشق المرء وان كان دميم المنظر . ان رقت استعطفت القلوب القاسية وان غلظت اخضعت النفوس العاتية وان خشنت حركت الطباع . وان لطفت رفعت الاوضاع . وان حسنت ألفت القلوب وان سهلت اظهرت الغيوب . وهي التي بها جذبت قلب امك واستعطفت جانب ابيك وتملكت فكر اخيك واستملت صاحبك وألفت جارك وتعارفت مع مواطنك وقابلت بها نزيلك . فهي انت ان كنت لا تدري من انت . وهي وطنك ان لم تعرف ما الوطن . أما كونها انت فقد قدمت لك من عرفتهم بها وانت اذا فقدتهم صرت وحيداً غريباً في الوجود لا ترى من يقول لك من انت . واما كونها وطنك فانه انما يعمر ويسمى وطناً برجال يتعاونون على احيائه واظهاره في الوجود محلاً للسكنى وداراً للاقامة وقد علمت انك بمفردك

لا تهتدي لشيء ولا تقوى على اي امر كان ومن فقد المواطن فقد الوطن
اسمعك تقول اذا فقدت لغتي اعتضت عنها بأخرى اجل انك اعتضت عنها ولكن بما اضاع منك الوطنية والمعتقدات الدينيه فانك لا تخاطب بها الا اجنبياً من البلاد مغايراً في الجنسية وانت تعلم ان لمعاني الالفاظ تصورا لا يقوم به مقابلها في غيرها فانك لو سمعت قولي

ومن غرر الاخلاق ان تهدر الدما لتحفظ اعراض تكفلها المجد

وأردت ان تلقيه بلغة أخرى لفقد قوة الحماسة ووقع الالفاظ وربما عبرت عنه بما لا يؤدي معنى ولو سمعت قولي

أجل صفات المرء فضل ومنطق وبعدهما كل الصفات غرور

لسردت عبارة يضيق صدر السامع بها ولا يصل لفهم المقصود وهبك توسعت في غير لغتك وتفننت فيها أتناجي ربك في اوقات عبادتك بها أم تقرأ بها كتابك المعجز بحسن نسقه أم تخاطب بها باعة الفجل عند ما تشتريه أم تستعطف بها قلب امك وقت ما تغضب عليك أم تعاشر بها عامة قومك وهم اهل البلاد . اراك استجهلتني وقلت ان الرجل لعدم علمه بغير لغته ينكر بلاغة غيرها . مهلاً أيها المدلّ بنفسه فان في قولي (لمعاني الالفاظ تصور لا يقوم به مقابلها في غيرها) حكماً يقضي به كل ذي لغة على عدم قيام غيرها بما تقوم به فربما كانت حماسة هذا اللفظ في لغتك تختنا في غيرها وبالعكس وهذا مما يأخذه الذوق من غير بحث في اللغات . واراك تعدّني من الجاهلين بضروريات الاختلاط من معرفة لغة النازلين بوطنك . رويداً فقد قدتك الى الحق ورميتني بالاضلال . فاني لم احرم عليك غير لغتك لضرورة تقضيها ونازلة تدفعها ومشكل تحله . وانما اردت تذكيرك بان لغتك كان منطوقاً بها من غير تعلم محفوظة في غير كتاب وبمخالطة الدخيل فسد بعضها وخيف عليها الضياع فدونت في بطون الاوراق وبقيت قوتها في اللفظ والكتابة ثم كثر فيها الدخيل حتى أنتخب لها كتاب ومنشؤن ثم تعدد فيها الدخيل فاستبدلت بلغة اصطلاحية لا قاعدة تمشي عليها ولا كتاب يحفظها ولا ضابط يجمعها ولا حروف تؤلف منها واذا اردت معرفة

لغة آبائك أفنيت الكثير من السنين في طلبها وهيهات ان ادركتها وقد عظمت المصيبة بفقد الكتاب والمنشئين ثم تم التغيير بتكلم العامي بعبارة طويلة ثلثاها اجنبي عن لغتيه الاصلية والاصطلاحية . ألا تعلم ان اللغة تقضي على المتكلم باتباع ما تقتضيه عبارتها فتراك تهتز في عبارة اجنبية يلزمك الثبات بها في لغتك وتستحسن امراً عنون بغير لغتك وهو مستقبح في عادة بلادك ومعتقد أهلك . ولا شك ان هذا يسير بك في طريق الاستحسان حتى تستقبح لغتك وعادة بلادك فتبيت وانت وطني حر وتصبح وانت في يد اجنبي يصرفك كيف يشاء . وناهيك بالاندلس الذي كان روضة الآداب وبستان المعارف العربية وبترك لغته واستعمال الدخيل فقدها فقد محو وجهل المعتقد جهل طفولية فمن يجتمع معك في جدك السابع او الثامن من اهله اصبح يعبر عنك الآن بلفظ (ارابو) اي عربي وساءت تلك المبادئ وبئس هذا المنقلب هون عليك فالامر سهل فاننا لا نحتاج لحفظ لغتنا اكثر من احداث درس في جميع المدارس يلقن فيه الطفل لغته العربية الشريفة بطريقة تهذيبية لا يصعب الاخذ بها ولا تمل النفس من ملازمتها مع اجتماع الامة على تكثير المدارس بالجمعيات وصرف ثلث وقت الطفل في تعلم اللغة والوطنية وتهذيب الاخلاق وحفظه من معلم اجنبي يغرس في طبيعته الساذجة حب بلاده ويحسن لافكاره الخالية طباع اهل جلدته واذا تمت هذه المبادئ رأيت لبلادك نشأة جديدة وخلقاً بديعاً وعلمت بما تراه من جمع الكلمة وسر وحدة التعليم وانتظام الهيئة الاجتماعية ان اضاعة اللغة تسليم الذات

(كانت المقالة السابقة سبباً لمناظرة طويلة بين جماعة من كتاب مصر انتهت باقامة النديم نفسه مقام حكم موفق بين افكار الكل كما يراه القارئ في المقالة الآتية وقد قدمناها على غيرها لانها هي وسابقتها متلازمتان ونصها)

﴿ كلمة زهير بن أبي سلمى العربي ﴾

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده   فلم يبق الا صورة اللحم والدم

﴿ كلمة امام المحققين عبد الرحمن بن خلدون المغربي ﴾

(اللغة ملكة صناعية متقررة في العضو الفاعل لها)

﴿ كلمة لامرك الفرنساوي المؤرخ الطبيعى ﴾

(الوظيفة تكون العضو)

﴿ كلمة شافي الفرنساوى المحقق الفلسفي ﴾

(اللغة ليست بارادة الانسان)

﴿ كلمة عبد الله نديم الاسكندري ﴾

(اضاعة اللغة تسليم للذات)

﴿ كلمة الفاضل امين شميل الشامي ﴾

(اللغة آلة مادية تقوم بها مبادلة الافكار بالمعاني بين افراد الانسان عموماً وخصوصاً)

﴿ كلمة الفاضل المصري ـ هو ابراهيم بك الهلباوي ﴾

(استقلال الامة موقوف على حفظ لغتها ﴾

﴿ كلمة الاديب الاسكندري ـ هو احمد افندي سمير ﴾

(اللغة هي عنوان الامة)

﴿ سادتي الادباء ﴾

أعيروني من أيام أنسكم وقتاً ادخل فيه انديتكم الادبية لاتلو عليكم بحث اللغة وانا كامن في اسطر صحيفتي وهي لساني فما المرء الا اصغراه قلبه ولسانه فقد طالت المناقشة والبحث باق على حاله وان استفدنا منه حكمتين ولست ممن يدخل في البحث ليبخس الناس اشياءهم وانما اتكلم بعبارة احقق فيها كلمات الحكماء بقدر ما يصل اليه ادراكي من التصورات التي بنيت عليها حكمتي آخذاً على القلم عهداً ان لا يخرج بما يلفظه عن حد الادب ولا يتشيع للغة ولا للجنسية فان قواعد البحث مختلفة المصادر ولكل أمة باعتبار لغتها فيها نصيب على اني لست من السائرين خلف الاغراض وانما أنظر للانسان من حيث النوعية في الاختلاط المعاشي ومن حيث الوطنية في الاجتماع العصبي وقد قدمت ثماني

كلمات من الحكم وهي اما مختلفة بالوضع والاعتبار او متفقة بالوضع او بالمآل فنتكلم عليها بطريق المزج محققين معنى كل كلمة وما قامت به وما دلت عليه وهذا يقضي عليّ بتقسيم البحث الى فصول . الاول في تحصيل ملكة اللغة وقيامها بالعضو او قيام العضو بها وانفعال الاجسام بمدارك اللغة . الثاني في اظهار سقطات المناقشة وما خرج عن الموضوع . الثالث في تسوية المسألة بين المتناقشين وحفظ النفوس من عوارض النفور وهذا يلزمنا بطول الشرح ولكن صدر الجريدة لا يسعه فنحن نجتهد في الايجاز ونقدمه فصلاً بعد فصل حتى نأتي على آخر الفصول ان شاء الله غير اني ألتمس الصفح من القراء والمتناقشين عما يرونه من القصور او الركاكة فاني في تيار الرحلة اكتب ما اقدر عليه من التصور بلا مراجعة ولا مذاكرة مع حكماء واختلاف الاماكن وكثرة التنقل مع الاشتغال بالاخوان على اختلاف عباراتهم وتحرير غير البحث من اوراق الصحيفة كل ذلك يسهل العفو ويحقق لي الرجاء فتشتيت الفكر في هذه الحالة لا يخفى على من تعود على الخروج للنزهة لا لمعاناة الاسفار

﴿ الفصل الاول في تحصيل ملكة اللغة وقيامها بالعضو او قيام العضو بها[١] الخ ﴾

قرر العلماء والفلاسفة والطبيعيون ان للانسان مدارك[١] جسمانية ومدارك[٢] روحانية[٣] فانه مركب من جزء جسماني وجزء روحاني ومداركه بحسب مركباته[١] غير ان[٢] المدرك لحوادث الجزئين هو الروحاني وانما يختلف باختلاف الرسائل فان كان المدرك جسمانياً[١] ادركه بواسطة القوى الدماغية والحواس الجسمانية وان كان روحانياً أدركه بنفسه من غير واسطة وهذه المدركات عند حصولها تندفع قواها المعنوية الى اللسان فيترجم عنها بما يقتضيه مقام الشعور من الفاظ فرح او حزن او ارهاب او استعطاف او غير ذلك ولهذا المعنى الدقيق اشار زهير العربي بقوله «لسان الفتى نصف ونصف فؤاده» ولا يقوم اللسان بخدمة الجزء الروحاني وترجمة مدركاته الا بتمرينه على الكلام وتكرار المسموعات وتعوده على النطق بالالفاظ الدالة على المعاني واشتغاله بها حتى تصير اللغة ملكة في هذا العضو المعبر عن الانسان ما هو ولهذا المعنى أشار ابن خلدون المغربي بقوله « اللغة ملكة صناعية متقررة في العضو الفاعل لها » ولا يتمكن الطفل من هذه الملكة الا اذا قررت اليه أصول اللغة ومشتقاتها ومنع من تناول لغة أخرى حتى تصير الاولى ملكة سليمة من العوارض كما كانت عليه العرب الاولى

فان استعمالهم اللغة على أصولها وتداولها بينهم غير ممتزوجة باخرى صيرها لهم ملكة صناعية يأخذها الولد عن والديه فينطق بها كما ينطق البليـغ من قومه وقد وهم بعض الملفقين فقال ان اللغة كانت للعرب فطرية غريزية وقد علمت بطلان هذا بما تقرر من ان أحكام الصناعة في التلقي والتلقين هو الذي صـيرها ملكة للسان ولهـذا أشار الفاضـل أمين شميل الشامي بقوله « اللغة عبارة عن آلة مادية تقوم بهـا مبادلة الافكار بالمعاني بين افراد الانسان عموماً وخصوصاً »

وبما تقرر تعـلم ان اللغة ليست فطرية وانما هي مظهر الانفعال الجسماني او الروحاني فان المولود اذا خرج من بطن أمه ورأى النور اهتز واضطرب لانسه الجسماني بهـذه المدركات الجديدة واذا رأى الظلمة انتحب وبكى لتألمه من هذا الانقباض الجسماني واذا سمع صوتاً مال اليه بالقوى الدماغية الجسمانية وهو في جميع الاحوال يشير ويعالج النطق بفطرته فلا يتمكن منه حتى تكرر عليه الالفاظ وترسخ في ذهنه فينطق بها ويكررها الى أن تصـير ملكة في لسانه ولهذا المعنى اشار المحقق شافي الفرنساوي بقوله « اللغة ليست بارادة الانسان » غـير انه يحكم على الانفعالات الجسمانية باتباع المادة المتكونة منها ويقول لو جئنا بطفلين عربي وأوروباوي وسلمناهما لمربٍّ أصم أبكم أعمى وتركناهما معه عاماً او عامين ثم دخلنا عليهما لوجدنا العربي ينفعل انفعالات عربية تبعاً لمادة تكوينه والاوروباوي ينفعل انفعالاً غربياً تبعاً لمادة تكوينه كذلك بمعنى ان كلاً يصيح باصوات تماثل أصوات المشتقات وقد انفرد بهذا الرأي وتبعه قوم من بعده وبمذهبـه يقرر ان تغيير اللغة في الآباء يغير فطرة الانفعال في الابناء فاذا تعلم الاعجمي العربيـة وعلمها ولده وولده ولده تجنس بالعربيـة وانسلخ من جنسية الاعاجم كما وقع لكثير من الاعاجم الذين تركوا لغتهم بالعربيـة وللعرب التي تنصرت بالروم فان الاولين انسلخ اسم العجمة عن أبنائهم والآخرين انسلخ اسم العروبة عن ابنائهم كذلك وما نقلهم من الجنسية الا ترك اللغة واستعمال غيرها حتى غلبت عليهم ولم يكن تسليم الذات مخرجاً لهـا عن الجنسـية في العرب التي تبعت الفرس والروم والترك لتمسكها بلغتهـا وعدم التهاون فيها باستعمال غـيرها فبقيت عصبيتهـا قوية ودمها الجنسي سارياً في عروقها تظهره القوة ويخفيه الضعف ولو تركت لغتها واستعملت غيرها لفقدت الجنسية الاصلية وعنونت

بجنسية اللغة التي صارت ملكة في لسانها وعدمت الانفعالات العربيـة وكذلك الالبانيون والرومانيون واليونان وغيرهم لما ثبتت لغتهم في السنتهم ولم تتمكن منهـم لغة أخرى بقيت العصبيـة محفوظة مع ضعف القوى حتى اذا قويت الانفعالات وتجمعت حواس العصبيـة غلبت على امرها وتخلصت من اللغة المستلة ذاتها ولم يضع تسليم الذات اللغة ولو اضاعت اللغة ما نظرت الى الذات فقد تقرر ان المدركات الجسمانية تترجمها اللغة وهي تستعمل الذات فيما تقوم به من المعاني ولهذا أشرت بقولي « اضاعة اللغة تسليم للذات »

وقد قرر المؤرخ الطبيعي لامرك الفرنساوي ان الوظيفة تكوّن العضو وكان الطبيعيون من قبله يقولون ان العضو يكوّن الوظيفة فيحكمون على ان اليد هي التي تكوّن الحركة واللسان هو الذي يكون الكلام والعين هي التي تكون الابصار وهكذا . ولكن تحقيقات لامرك ومجرباته عكست هذا القول وأثبتت ان الوظيفة هي التي تكون العضو فان اليد اذا أمسكناها ومنعناها من الحركة زمناً تشنجت واحتاجت لعلاج يلينها حتى تتحرك ولو سلمناها للحركة لحفظت لها لينها واستقامت حركتها والحركة هي الوظيفة التي تكوّنها أي تظهر خاصتها وتديم استعدادها للوظيفة . واللسان اذا ترك بلا تكلم مع صاحبه ولا تعليم للغة كان عضواً معطلاً فاذا استعمل في وظيفته ظهر وعلم وعرفت ثمرته فالوظيفـة هي التي كوّنته واظهرت المعاني القائمة بالالفاظ المنبعثة من الانفعال الجسماني ولهذا أشرت بقولي في خصائص اللغة « انها سر الحياة والحـد الفارق بين الانسان والبهيم بها يترجم اللسان خواطر القلب الى آخره»

ومما ذكرته تعلم ان اللغة تصير بالصناعة ملكة للانسان باعتبار المدارك الجسمانية وانساناً باعتبار قيامها بالانفعالات الجسمانيـة والروحانية وترجمتها المدركات الحاصلة من الحواس والقوى الدماغية والتصورات العالية المجردة عن الانفعال الجسماني . وليعلم ان صناعة الكلام غير اللغة فان الرفع والنصب مثلاً تقوم بهما الالفاظ وتحفظها من الخطأ ولكن لا تساعدك هذه الوسائل الصناعية على اتقان اللغة والمخاطبـة اذا كانت مجردة عن بدائع اللغة فكم من نحوي لا تغيب عنه قاعدة من قواعد النحو لو كلف كتابة جواب او عبارة صحيحة لأخطأ في الرسم وخرج عن حد الانشاء كما ان اللغة وان صارت ملكة لا تؤدي معاني صناعة الكلام الا اذا أخذها الطفل عن والديه على أصولها فيوافق بنطقـه صاحب صـناعة الكلام وان

كان لا يدرك القواعد الصناعية . فالصناعة اذاً ملكة في اللسان غير ملكة اللغة وهي بمقام لغة أخرى في اللسان ومن هذا تعلم ان النصب والرفع وضرب زيد ومات عمرو ليس من اللغة في شيء لاستقلاله بنفسه فانك ترى الاعجمي اذا لزم فن النحو أتقنه وهو لا يعرف العربية او لغة غير لغته وترى ساكن نجد ينطق بالعربية الصحيحة واللغة الحقة وهو لا يعرف من النحو زيداً ولا عمراً وما صير أهل الامصار محتاجين الى صناعة الكلام لتقويم الالفاظ بها الاّ اختلاطهم ومزج لغتهم بغيرها فلفقوها وصيروها لغة اصطلاحية لا يستدل على أصلها الاّ بالمحفوظ في الكتب ولا يقومونها الاّ بعلم الصناعة وقد أضاعوا ذاتهم الملكية وسلموها للغة اصلاحية فاذا تركوا الاصطلاح الموصل للبحث في أصل اللغة واستعملوا غيره من اللغات فقدوا الجنسية رأساً وتجنسوا باللغة التي يستعملونها وسلموا ذاتهم لانفعالاتها الجسمانية والروحانية والانفعالات تصير الجسم آلة لمظاهر الالفاظ وغرضاً لمواقع المعاني وهذا بعينه هو التسليم وان كان الوازع من المتحولين اذ لا ينفعهم بقاء الوازع مع جهل تاريخ مبدأهم وسيرة شعوبهم فان اللغة الطارئة بعد ان تصير ملكة للسان تستخدم الفكر في تاريخ اهلها ووقائعهم وسيرتهم وهذا الاستخدام يهيء الذات لانفعالاته وتتبع المدركات الحديثة ويستحيل على الذات الرجوع لحركات جنسها الاول بعد فقد الملكة المترجمة عن المدركات وتحويل المدركات لما تقوم به هذه الملكة الطارئة . فاذا كانت أمة مستقلة وغيرت لغتها بغيرها ضعف فيها الاستقلال بقدر ما يضعف من لغتها فاذا تم التغيير فقدت الاستقلال ووقع فيها الخذلان بتباين الطباع وانعكاس الانفعالات وعدم اتفاق المدركات فانه يستحيل توافق التغيير في جمع الافراد وان تم اختلفت المدارك اختلافاً يبعد الذات عن روابط الاستقلال وهذا الذي اشار اليه الفاضل المصرى بقوله « استقلال الامة موقوف على حفظ ذاتها » والاديب الاسكندري بقوله «اللغة هي عنوان الامة »

سيأتي مزيد بيان مهم لهذا المبحث في منتخبات الاستاذ فانه لم يكتب في التنكيت والتبكيت بعد ذلك من هذا الموضوع شيئاً

والمهد وذمته والشرف وحرمته ان قلمي في خدمتـه لمن الصادقين ولساني في أخباره لمن الناصحين . ناشـدتك الحق يا شقيق الانسانيـة الا ما تأنيت على خادم أفكارك حتى يفرغ من حديثه وان شئت اثبت او احببت فانك في الاولى تحمد العاقبة فتندم على اهمال المبادئ وفي الثانيـة تمدحك المبادئ وتعشقك النهايات فان اكتفيت بالاشارة تركتني أعاني غير هذا الموضوع وان أبيت الاّ الشرح تفكهاً لا جهلاً فما دعوت الاّ سميعاً ولا امرت الاّ مطيعاً.
كانت نشأة الجرائد في أوروبا كنشأة زراعة القطن عندنا ووجه الشبه ان القطن عند ما أمرنا بزراعتـه كنا نزرعه ورجال الحكومة خلفنا بالكرباج ثم كنا نقلعه بعد ذهابهـم ونحرث الارض لغيره فما زالت الحكومة تعالج رجالنا معالجة المريض حتى أرتنا الثمرة فالفناه وعشقناه واجتهـدنا في خدمتـه حتى صار معدن ثروتنا . كذلك الجرائد التي كانت توزعها كتابها بلا مقابل فتلقى في الطرقات والمحافل ولا تقرأ فلما عجز أرباب الاقلام في تفهيم فنون السياسة أخذت تذم الاخلاق الفاسدة وتمدح أخلاق المهذبين فتورط المهذب وصار يطالع الجرائد وتحرك الغبي فصار يتصفحها لينظر ما يقال في امثاله فصارت قراءتها من الفروض العينية بل من معدات الحياة . فلما رأت الكتاب ان جرائدها نفذت في الامم وتعلقت بها الافكار انقسمت قسمين قسم يهذب بضرب الامثال وسبك الوقائع في قوالب مألوفة وقسم يؤدب بنقل الاخبار وتفسير الافكار فارتفع شأنها وعظم قدرها واشتدت سطوتها حتى صارت لسان الامم ثم ترقت الى درجة كانت فيها الآمرة بالصلح المثيرة للحرب القاضيـة بالحكم فما نسمع الا قولهم من رأي جرائد ايتاليا في مسألة كذا كذا.ومن رأي جرائد فرنسا كذا . وهذا حدّ لم تبلغه الجرائد بنفسها بل بقرائها الباحثين في فصولها فانها انما تتكلم بلسان أمة او طائفة من امة . اراك تعترض وتقول ان جرائدنا ليست في قوة التكلم. رويداً فاننا الذين حجرنا عليها افكارها بما ابتلينا به من التهور وعدم التبصر في العواقب فاننا لو علمنا اننا في مهد التهذيب وحضانة الآداب لوقفنا عند حدودنا وحصرنا افكارنا فيما يزيد ثروتنا ويقوي سطوتنا وتركنا تشويش الاذهان وتكدير الخواطر خلف ظهورنا واشتغلنا بما يضمن صلاح مستقبلنا واجتهدنا في توسيع دائرة المعارف واحياء ميت الصناعة حتى تخلص النفوس

الطيبة من الجهالة وتفتح البيوت التي انفلها الاهمال والاعجاب بمصنوع الغير وان كان مغشوشاً. واذا انتهينا الى السعي في منفعة الوطن وتركنا رجال هيئتنا تشتغل بمصالحنا ونتج من هذا الاجتهاد تعميم العلوم ونجابة الابناء ظهرت الجرائد فينا ظهور الشمس في كبد السماء وأطلقت لها الهيئة حرية لا نصل بفكرنا الآن الى حدها فانها تكون آمنة اذ ذاك مطمئنة لما تراه من سلامة باطن أهلها وحرصهم على بقاء عمود الوطنية تدور عليه الايام وهو في قوة وصلابة. اسمعك تقول اذاً لا لزوم للجرائد الآن لا تعجل أيها الاخ فنحن في عصر لم تبق فيه قرية فضلاً عن مدينة الا وفيها قارئ فحق على كل من خط بيده وقرأ بلسانه أن يكون بيده جريدة يشاهد فيها العالم بأسره وهو على كرسيه او في سرير نومه ولا يفعل فعل بعض الناس من اجتماعهم حلقة على جريدة يقرؤنها . نعم انها وان كانت مبادئ حسنة الا اني لو كنت في تلك الحلقة وأردت ان أراجع أمراً مضى وأنا في بيتي هل أسأل عمن عنده الجريدة واذهب اليه او ابقى في حيرة لا اهتدي الى مقصدي . فمن هذا القبيل أقول حق على كل قارئ أن تكون له جريدة باسمه يحفظها ويراجع فيها ما يشاء في أي وقت شاء . لا تبدأ بالطعن فيّ قبل ان تعرف مقصدي أتقول اني أريد رواج المحررين لاكون في جملتهم . لم أيها الاخ وانت تعلم ان المحررين يخدمون الافكار ابتغاء الانسانية ولقد صبروا على جفائك وتباعدك عنهم حتى نضبت ثروتهم فهم يستردّون منك ما أنفقوه عليك . وهذا العاجز يخدم الوطن خدمة زائدة على أشغاله المستغرقة اوقاته حباً فيه وطمعاً في تقدم اخوانه ولو وجد من ينفق على صحيفته ويستخدمه بأجر الانتساب الى الوطن لارسلها اليك تقبل يديك شاكرة تفضلك عليها بقبولك الجميل غير سائلة منك ولا أجرة البريد ولكن عدم رضا الوراق بالعفو أبى عليه الا تقدير قيمة الورق على انك لو نظرت لقيم بقية الجرائد لوجدتها لا تذكر في جانب بعض مهامك التي لا تعبأ بها وما يقصد المحرر الا خدمة الأفكار بقلمه لما يعلمه من ان جرائد الاخبار مدارس الافكار

﴿ هف طاع النهار ﴾

ليم أحد المهذبين على مشيه مع ولد أحد الاغنياء حتى أتلفه فقال ما كنت معه فاني

اعلم قدر نفسي وحقيقة امري فلا اسعى فيما يضر بي او ينزل بي الى درجة الأوغاد وانما هو الذي عمد الى ما تركه ابوه من الميراث واخذ يصرف منه في الملاهي واماكن الفساد فقد ابتدأ بشراء عربة تماثل عربات الامراء الكبار وبنى قصراً بديعاً صرف فيه نحو خمسة آلاف جنيه واشترى جواري ومماليك يعجز احد الامراء عن الصرف عليهم واتخذ له اخلاء يحسنون له لعب القمار والحمام واعداد مجالس السماع والطرب والسهر في الحانات وبيوت الفاجرات والتفنن فيما يذهب العقل من الحشيش والمعجون والمزبيات والمشروبات الروحية فأعدّ قاعة بها خزانتان في الاولى عرقي الزبيب والمستكى والبرمود والكنياك والروم والعنبري والبتر والشامبانيه والبونج والبيره والنبيذ وغيرها من الاشربه الروحيه وفي الثانية الحشيش البلدي صنع اللاياتي والحوامدي والكافور التركي وارد ازمير وسلانيك ومعجون الهندي والترياق ومربى الجوز الهندي وجوزة الطيب والزنجبيل والتين واقراص العنبر والزعفران وحبوب المفرحات والمهيئات يصحب هذا عدة جوزات منها المدندشه والمشخلعه والحدقه والنكته والحاجه الصنعه ومجمعه الاحباب وقد حلى الجميع بالفضة والذهب وانواع الجواهر الثمينة ولا يقوم بادارة عمل الكيف الا الحليوه المدلع والواد المجدع فاذا اخذ الشراب والكيف منهم جوهرة العقل كان يقوم ويقلع ثيابه ويترامى على حجر خلانه وهم يتناولونه بالايدي ويرفعونه على الرؤوس وهو متلذذ مسرور فاذا انتهى بهم المجلس الى المونة الاولى نام هذا على الارض وذاك عند الزير وآخر في الفسحة بلا غطاء ولا وطاء ولا يزالون في سكرة تزيدها سنطلة الى الزوال فيقومون كالقردة عند ما تخرج من غاباتها وجوه مقلوبة ونفوس مقبوضة وعيون عمي وعقول غائبة وافكار ضائعة واعضاء منحلة وقلوب خائفة ومعد جائعة واكباد مصابة وجيوب فارغة وقد تعطل الصانع عن عمله والتاجر عن محله والمستخدم عن ديوانه فيظهرون اليه الاسف والخوف والتضرر مما اصابهم من سهرته فيلاطفهم ويترضاهم هذا بألف قرش وذا بألفين وآخر بريال وغيره بجنيه ثم يطلب الاكل فتدور حركة البيت . خادم يجري وطباخ يشتغل وعربجي يمسح الخيل وقمشجي يغسل العربة وسفرجي يحضر الاواني وقهوجي يولع النار وطبلنجي يمسح الطبلية وجاريه تشوي اللحم الخصوصي وسرية تكوي المحارم ومملوك يملأ الكؤوس وخادم يكسر الحشيش وتابع يهيء

المربيات وعواد يصلح العود وكنجاتي يشد الاوتار وراقص يصلح الصاجات ومغنية تتحنح وماجن يرتب القوافي ووكيل يصرف بلا حساب فان تأخر احد في عمله قام فكسر الصحون وكب الطبيخ ومزق الفرش وكسر النجف وأحرق الكيلار وهدم المطبخ واراق القناني وقطع عدد العربية وضرب الجارية بالخشبة والمملوك بالشيش والخادم بالجزمه والطباخ بالسكين وطلق الست وقلع عين الدادة وكسر رجل اللالة ومزق ثياب المرضعة وابكى اخته واحزن أمه وطرد اخاه وشتم صهره وشخر ونخر وزمجر وكفر ولعن الدنيا وسب الدهر الذي يعانده في سيره ولا يمكنه من اغراضه والاخلاء تقبل قدمه وتبوس يديه وتلثم خدوده وتترضاه بالفاظ يميل اليها وعبارات شب عليها كقولهم شوف كيفك انت لسه شباب ايش من الف صحن مذهب بمائة جنيه وعشرين نجفه باربعمائة جنيه وعربيه بمائتين وجاريه بخمسين ومملوك بسبعين وفرش بخمسمائه وابسطه بثلثمائه وكاسات بخمسين ومشروبات بثلاثين وحبة حبشتآن وشوية جراوش ودمعة دهنه تعيش راسك انبسط ياشيخ وروق شويه كده . ثم يلتفتون الى التوابع ويقولون بس ياواد سيدك وضربك يعني ايه . معلهشي ياست صغار ولسه بيدلع . قومي يابنت بلا تبابيك . فضها يا أوسطى ماتبقاش مجنون . سد ياخورشد بلاش عياط بقى . اقعد يامقدم بلاقلة عقل . تفضل ياسيدنا ماتزعلش نفسك ينعل أبو الدنيا وأبو اللي يبكي عليها . فيجلس وقد فارقه الغضب وعادت اليه شهوة الطعام والشراب ويقول العباره ايه احنا مالنا ومال الخدامين والزعل والامور الهذيان احنا في نكتتنا والا في ضرب وشنق خشوا بنا آفيه خشوا هأهأ هاي.» وقد زاد على ذلك ان أعد لاخوانه في بيته ملعباً للقمار غريباً حيث يأتون اليه كل ليلة بجيوب افرغ من فؤاد أم موسى فيقرضهم من المال مايقدرون به على اللعب معه فان خسروا فقد ردت اليه بضاعته وان كسبوا فازوا بما كسبوه وخرجوا الى حيث القت رحلها أم قشعم كما يزعم » ثم مازال على هذه الحال عامين حتى فرغت النقود فاخذ يبيع الاطيان ويرهن البيوت والجواهر حتى لم يبق عنده شيء ففارقه الخلان وتركه الخدم وطرده الحرم وأصبح يدور يسأل الناس لقمة او سجارة وماذاك الا من عدم تهذيبه وتأديبه فان أباه تركه للمعلم (الخواجه) يعلمه الخط في السلاملق داخل الخزنة تحت الستائر وهو يقبل يده لثقل التعلم عنده ويجيب دعوته خوفاً من شكواه لابيه ولم يجد غير

خادم يحمله ومملوك يوافقه على اغراضه حتى خرج كالبهيم لاعقل يرده ولا علم ينفعه ولا صنعة يتكسب بها ولا ادب يعيش به فآل امره الى ماراًيت وبات يصرف بالالف واصبح ولسان الفقر يناديه هف طلع النهار

﴿ كم في الزوايا خبايا ﴾

حكي ان أحد المأمورين فعل خطاءً في عمله فأرسل له رئيسه الاكبر كتاباً يوبخه فيه ويسأله الاجابة فطلب احد رؤساء الكتاب وأعطاه الكتاب ووقف يفهمه المقصود نحو نصف ساعة فاخذ الكتاب واجتمع بجملة من أمثاله وبعد اللتيا والتي كتبوا هذه العبارة « معروض قوللريدركه »

ورد لنا الامر الكريم وما فيه صار معلوم وكان الواجب علينا خلاف ذلك ولكن الخطأ من رأي الصواب وفلو ان عبدكم لم كان يقصد الخطأ ولكن من حيث ان المقدركاين والعفو من شيم الكرام وكان الواجب علينا عرض القضية في بداري الوقت ولكن الراي لمن له الامر افندم

فلما سمع المأمور هذه العبارة قال كيف اخاطب أميري بهذه الالفاظ السخيفة الم يكن في الديوان من يعرف الكتابة الصحيحة فنبهه وكيله على ان بالديوان شابا لاتزيد ماهيته عن ثلثمائة قرش لوطلبه المأمور وأمره بكتابة الجواب لكتب المقصود فاستحضره وقال له خذ هذا الامر واكتب رده استعطافاً واعتذاراً فتناول القلم وكتب وهو واقف بين يديه

سيدي ومولاي

« اني وان جنيت على نفسي وخرجت عن حد الادب فيما يجب على العبد لسيده فاني عبد نعمتك وصنيع احسانك وذنبي وان عظم وضاق باب التوبة عن قبول المعذرة فالعفو عنه بعض حسناتك التي فطرت عليها والاغضاء عني سر من أسرارك التي تميل اليهنا فاجعل العفو عني قربة الى مولى الموالي واترك العبد عتيق مكارم الاخلاق والا فضع سيف نقمتك في نحر عبد نعمتك وانت حلّ من دم أراقه أهله وآل أمره الى وارث لايسعه الاّ النزول عن المطالبة به ألا وهو مقام جلالتكم السامي وحاشاك ان تعدم الصادق في الخدمة

بهفوة لم يقصدها وذنب أقلع عنه وعلى كل فالعبد بين يديك وأمره منك واليك وقد القى اليك مقاليد الاجل فافعل ما تشاء واتق الله عز وجل »

فلما قرأه على المأمور كاد يطير فرحاً بنجابة هذا الشاب واقتداره على الانشاء البديع وقال كيف يكون هذا بثلثمائه ورئيسه بالف قرش فقال له الوكيل هذا من اولاد الفقراء وليس له محسوبية على احد الامراء ولا يعرف النفاق ولا يفعل افعال المحتالين التى تقدمه عند ذوي الغايات ولئن تأخر مثله في زمن ترقت فيه الجهلة بالمحسوبية والمجون والتوسط في القبائح فسوف يتقدم في هيئتنا الحاضرة فانها لاتبالي بالمحسوبية ولا تريد اهل الخيانة ولا ترقي الا اهل المعارف والآداب حتى لا يبقى في الزوايا خبايا

(التبكيت) اعظم مصيبة من رئيس كتاب لا يعرف الانشاء وجود مأمور لا يحسن كتابة جواب من شأنه ان يكون من اسراره الخفية

﴿ جواب عن سؤال ورد الى التنكيت ﴾

السؤال . بأي سبب ماتت صنائع الشرق وافتقر أهلها وبأية وسيلة تحيا وتعود ثروة اهلها

الجواب . ماتت الصنائع بتحاسد اهلها وتباغضهم اللذين اورثاهم الفقر وفقد الامن والثقة بهم . وذلك من اصحاب الاعمال اذا ارادوا فتح عمل كالبناء مثلاً احضروا طائفة المعمار ووضعوا لهم ورقة يسمونها قائمة المزاد وامروهم بالتناقص في المقدار المعين لذلك العمل فاذا كان العمل يساوي الف جنيه قال واحد عليّ بسبعمائة فيتحرك بغيضه ويقول عليّ بخمسمائه ثم يحرك بغيض الثاني ويقول عليّ بثلثمائة وهكذا حتى ينتهي المزاد الى مائتين فيرى صاحب العمل ان الالف لا يقوم بعمله فضلاً عن المائتين ولكنه يفرح بهذا التناقص فيطلب من العامل تأميناً وضامناً غارماً ثم يتركه لا يصرف له شيئاً مقدماً فيبتدئ المسكين ببيع مصوغات زوجته وحليها وأمتعة بيته واذا انتهى العمل وجه اليه صاحبه واحداً من المعلمين فيبتدئ بسب اخيه ولعنه ويقول له هذا العمل مغاير لما في الشروط فان الحجر احرس والبلاط معصراني والقصر مل كله تراب والهيصم مرمل والجير قليل وقلب البنيان فارغ والبياض قشره واخده والجبس بارد والسلم قائم والسقف واطي والجدار ناقص وسمك الحائط ناقص عشرة

سنتي متر وهذا كله يمنعني من التصديق على نظافة عملك فاذا صالحه برابط المحبة (الجنيه) قال له لا بأس من تنازلك عن عشرة في المائة من اصل المطلوب لك فيضطر المسكين لختم الكشف والتصديق على ما يقوله معلمه الاكبر وقد خرج من العمل بخراب بيته وكثرة ديونه وأوقعه التباغض والتحاسد في الفقر وفقد الامن والثقة . فان قلت لم لم تفتقر الاجانب وهي تأخذ الاشغال العظيمة والاعمال الجسيمة . قلت نحن مغرمون بحب الاجنبي والاعجاب بكل ما جاء به من الاعمال حسنت أو قبحت واذا أراد احد مقاولة اجنبي وساومه على عمل قيمته مائة جنيه قال له « دي عملتاو احنا ميتين كمسين جنيه » واذا قدم لآخر من جنسه قال « ياخبيبي دي راجل مجنون دي اسوى تلاته ميه كمسين جنيه » وقصده بذلك ان يأخذه أخوه وهو يشتغل معه من باطنه ليربحا معاً وهذه فضيلة جميلة ووسيلة لزيادة ثروتهم وأراك تسأل عن الطريقة التي بها يتوصل اهل الصناعة لاعادة ثروتهم وتقدم صناعتهم فخذ الجواب من مشفق عليك طامع في انقاذك من مخالب الفاقة وناب الذلة

يعلم كل وطني ان هيئة حكومتنا الآن غيرما كانت عليه قبل وغاية آمالها تقدم ابناء الوطن وتهذيبهم ونمو ثروتهم تشهد بذلك اعمالها الجليلة ومساعيها الخيرية فانها وكانت الى امراء يرون ان لا دولة الا بالرجال ولا رجال الا بالمال ولا مال الا بتقدم الصناعة والفلاحة. فاذا اجتهدنا في مساعدتهم على افكارهم الحسنة لزمنا ان نسعى في عقد جمعية لكل طائفة تحت رآسة عقلائها فاذا طرأ عليهم عمل من الاعمال كان امره مفوضاً لمجلس الرؤساء من الطائفة يساوم من يشاء ويأخذ مايشاء ثم يوزع فيه من العمال بقدر ما يحتمل وعندما يطرأ غيره يوزع فيه من لم يكن في الاول وهكذا . وهذا العمل يلزمه رأس مال يديرونه به فعلى رؤساء الطائفة ان يفرضوا فريضة على كل صانع بصفة سهام على قدر قوته واقتداره والمجموع يكون في صندوق تدور به الاعمال وعند ما توزع الارباح يحجز المجلس من كل صانع جزءاً يضيفه لسهامه حتى يصبح ذا ثروة من حيث لا يشعر . وحيث ان الغالب من اهل الصناعة لا يقرأون ولا يهتدون لاسرار الجمعيات فعلى النبهاء من اخواننا ان يتنازلوا لهؤلاء الضعفاء بحثهم على عمل صناديق الاقتصاد وادارة الاعمال بالاتحاد والوفاق ولا بأس من تفهيمهم ببعض ما يقرأونه في الجرائد من تقدم صناع اوروبا واجتهادهم في زيادة الثروة

ومقدار ما وصلوا اليه بحسن التدبير والاتفاق لتنبعث فيهم الغيرة والحمية ويحرصوا على تقدم صناعتهم فان الانسان مقلد طبعاً لا تطبعاً واذا تمت هذه المبادئ وعقدت جمعيات الطوائف وفتحت صناديق الاقتصاد اختصتهم الحكومة بأشغالها وأعمالها لما تراه فيهم من الثقة والنشاط وظهرت الصنائع في عالم الوجود بحالة لا يتصورها العقل الآن فان الفكر الشرقي والعقل العربي والذهن المصري لا ينبه بأكثر من الاشارة . والا فاذا لم تعقد هذه الجمعيات وتفتح تلك الصناديق وتلم الحكومة شعثهم وتعيد ثروتها بمساعدتها لهم فلا نلبث ان نرى اهل الصناعة (وهم السواد الاعظم) خدما للمتمولين (وليتهم منا) يصرفونهم كيف شاؤا ويستعملونهم فيما يريدون وتفقد رجالنا بلا حرب ولا وباء وتعدم الهيئة الاجتماعية قوتها بتعذر التحصيل من فقير لا يأخذ من سيده الا القوت او غني اذا طولب لجأ الى الغير . ولا يظن عاقل ان ضياع اهل الصناعة لا يضر بهيئتنا وماليتها فانهم قسم واهل الزراعة قسم فمن هذا القبيل نفقد الثروة ومن القبيل الثاني يختل نظام الهيئة الاجتماعية بكثرة التشيع لا سيما واننا مغرمون بحب الغريب والميل اليه فترى الرجل اذا خدم غريبا سمي باسمه ومدح فعاله وذم اهل بلاده وعاداتهم كما ترى ذلك في كثير ممن يخدمون الغرباء . واذا استمر حال الصناعة على ما نراه من التأخير في جانب الوطنيين خسرنا رجالنا وفقدنا قوتنا باعدام الثروة وأصبحنا اسرى معاشنا ارقاء صناعتنا وتحولت طباع الامة وفقدت اللغة وضاع المذهب بالاهمال والتقليد ونحن في بحار الغفلة غارقون

﴿ تخريفة ﴾

(خذ من عبد الله واتكل على الله)

سافر لاحد الاغنياء ولد فلما طالت مدة غيبته توجه الى بعض الرمالين وقال له « خط لي الرمل وشوف نجمي ازيه» فخط في الرمل وقال له ما شاء الله انت طالعك سعود وايامك سعود شوف النجم بيخبر انك بتاكل وتشرب وتقوم وتقعد وتفرح وتزعل وتركب وتمشي وتنام وتتيقظ وتكسب وتخسر وفوقك سما وتحتك ارض وفي فكرك كلام وطالب حاجه و بدلك تبقى غني . فغمز الغبي رفيقه وقال له شفت انا ما قلتلكش يعرف كل شيء مين قال له على اللي بعمله دا كله النجم بيبين كل حاجه ثم التفت الى الرمال وقال له شوف أبو الزلني ابني

ماله غاب كده . فقال الرمال دلوقت حصل سحاب كثير والنجم ما يصحش في السحاب فقال
الغبي اظن نجم الواد ساقط . فقال الرمال الظاهر كده فشنق الغبي نفسه في عمته ونادى آه
يا ابني آه يا عز الرجال يا أبو الزلني فسمعتـه امه فخرجت صارخة مولولة قائلة ايه اللي جرى
لابني فقال لهـا ابوه النجم خبرعنـه انو مات فصاحت وصوتت واجتمع اليها النساء من كل
فج وأحضرن الدف وابتدأن بالندب والعويل حتى قامت الناس على ساق وجلس ابوه يقبل
العزاء ودموعه تسيل على خدوده وبينما هم في شياط وعياط واذا بالولد دخل عليهـم حاملا
زكيبة الزواده فابتدره والداه واحتضناه وقالت امه لابيـه (شفت الرمال بتاعك الـكداب
ده) فقال لهـا والله ياوليه الراجل مالو دعوه الراجل قال لي السحاب كثير مسمعتش منه والا
برده كلامه حق و بعد ان جلس مع ابنه برهة شكا اليه ولده اطلاق بطنه فأخذه وتوجه به
الى الرمال وقال له شوف لنا حاجه تحوش بطن الولد احسن جه بالسلامه و بطنو ماشيه عليه
فقال له الرمال الولد ده كنشي يعجب بنفسه في البلد . فقال له الغبي ايه عوّار يتلف عينك
لهو في البلد كام ابو الزلني . فقال الرمال أبوا قول لي كده أجرن اخته مسكتـه . فقال الغبي
وايه اللي يخلصه . قال مفيش حاجه تبخروه بجلدة فسيخه وهو يروح صح سـلامه ولم يشعر
الغبي وهو جالس الا وقد حضر اليـه بعض الاطباء وقال له اخوك ارسلني الى الولد فرأيت
عنده اسهالاً خفيفاً وحيث انكم لا يمكنـكم حفظه فانا آخذه الى الاسبتاليه واعالجه هناك .
فقال الغبي اسبتاليه ؟ دا الداخل فيها مفقود والطالع منها مولود . قال الطبيب الاسبتاليـه
معدة لاولاد الامراء والمعتبرين وفيها أطباء مهرة وادوية لطيفة واذا دخلها انسان اعتنى به
عدة من الاطباء واذا دخلها ولدك لم يقم فيها اكثر من ثلاثة ايام . فقال انا رايح اشوف النجم
يقول ايه وأعملوله والسلام . فقال الطبيب ما للنجوم وهذه الامراض النجوم لا يؤخذ منها
شيء يدل على الدواء فان هـذا أمر موقوف على رؤية المريض ومشاهدة حركاته وتشخيص
دائه ومعرفة الاسباب والدواعي وهذا لا يقوم به إلا الاطباء فقال الغبي والله يا سيدي أنا
لا اعرف الاطبا ولا غيرهم انا رايح ابخره بجلد الفسيخه وربنا يشفيه . فقال الطبيب الروائح
الـكريهة مضرة به وربمـا أحدثت عنده مرضاً آخر فاياك ان تبخره بالفسيخ . فقال الغبي والله
ياسيدي اتوكلت على الله ورايح أبخره ياطاب ياراح في داهيه ولا يقولوش ابو زنطوط دخل

الحكيم داره واهوزي ما قاله فق البلد خد من عبد الله واتكل على الله

(التبكيت) انظر الى الغفلة واستحكامها في العقول السخيفة وكيف رأى هذا الغبي ان الرمال كذب فيما يفتريه وحضر ولده من سفره ولم يرض ان يكذبه وحمل عدم صدقه على وجود السحاب وتأمل قوله انه يعرف كل شيء بعد كونه يخبره عن أشياء من ضروريات البهيم فضلاً عن الانسان وأعجب من هذا عدم قبوله نصح الطبيب ورضاه بالتحريف فلو كان هذا مهذباً وتأدب في صغره وعلم فساد هذه الخرافات التي أفسدت عقول رجالنا حتى صيرتهم لعبة في أيدى المحتالين ما ترك البوستة والتلغراف وقصد هذا المحتال ولا رد نصيحة الطبيب وعمل بقول الدجال ولكنه لم يتعلم أمور دينه ولا دنياه وركن الى كلمات تقولها جهلة الارياف مثل قولهم خد من عبد الله واتكل على الله

﴿ منتخبات من أعداد متفرقة ﴾

(انذار صادر عن لسان الانسانية)

رفعت الينا شكوى من بعض النبلاء يتوجعون بها من انقلاب حال كثير من تبعتنا المنتسبين الينا واستعمالهم قبائح ورذائل ليست من مشربنا وقد اساءنا ذلك وعجبنا من هذا الخروج الغريب ولكن هذا مما يلزم الاحتياط فيه وقطع عروقه قبل سريانه في بقية ادارتنا قدمنا تلك الشكوى لرجالنا أعضاء الدائرة العلية فقر الرأي العام على ان من يترك حلية الادب ويتخلق بأخلاق البهائم فيفعل ما يشاء من فسوق ولعب قمار واسراف في مشروب وترفه لا يليق به وانتهاب حق وعربدة في مجلس وضرب ضعيف واحتقار فقير وخذلان مظلوم ينفى من أقطار دائرتنا السنيه وينسلخ عنه عنواننا الشريف ويكون ملحقاً بأمة البهائم وقد اصدرنا هذا إعلاناً لمن يخشى سلب شرفه وتجريده من وسامنا السامي وكل من عثرت عليه دائرتنا بعد ذلك فانا نصفه وصفاً يكاد يكون اعرف به من اسمه اهانة له وعبرة لغيره وصدر هذا بالمحفل الادبي بتاريخ اليوم من ملاحظة الانسانية

(مليك لدائرة) الامضاء	(رئيس التحفظ) الامضاء	(كاتب السر) الامضاء
الانسانية	الشرف	التاريخ

﴿ تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الانسان ﴾

(أيها الكامن في جلد الانسانية)

طالما قرأنا وسمعنا عبارات ملئت بها الكتب وضاقت بها اعمدت الجرائد تذم التوحش وترمي مرتكبه بفساد الاخلاق وفقد الادراك غير انا لم نقف على هذا التوحش ماهو ولا على الفرق بين التوحش الانساني والبهيمي ولا على من ارتكب التوحش اولاً من القسمين فقد جرت جياد البلاغة في ذمه وتقبيحه وانطلقت الالسن تتبعها في ذم هذا المظلوم غير ناظرة الى حامل فكيها ولا معترضة على ما يجنيه ربها من ثمار اغراضه . ولا بد للغافل من منبه وللضال من مرشد فالآذان مفتحة ولكن من ينطق والاعين ناظرة ولكن ماترى والافكار مهيأة ولكن الام . والالسن ناطقة ولكن بماذا . وهذا مما يطلب من اليراع شرح الحال ومن الاساتذة تلقين الانسان فقد شكا القلم شدة الظماء وتألمت الدواة من طول مدة الحمل وكاد المداد يصبح ماء آسنا وامست الاوراق حشايا ومنكآت . فرحمة هؤلاء الضعفاء من محاسن الاخلاق . وان ضقنا صدراً بما يسطره القلم وخشينا طول لسانه سمعنا منه مقالته الاولى وتأملناها فان ابلغ في الحجة رفعناه الى منبر الانامل ليخطب السطور بما تنشرح به صدور الطروس وان هذر او خلط سلطنا عليه سكين الغيظ تفريه وتجعله شظايا وبقرنا بطن الدواة في حجر الاوراق ليكون المداد ثوب حداد على ضياع الآداب وفقد الالباب فانه يقول :

كتبت فيما مضى ان الحيوان اذا نفر من الحضر وتبدى جهل الانس ومال الى الغلظة والقسوة وصار وحشياً مفترساً يخاطر بنفسه في القفار والكهوف والمغارات ويحملها على تحمل مشاق الجوع والظماء والحر والبرد والوحدة والوحشة لا يبالي في ذلك مات في حينه او غده وهذا الحد الذي وصله يحرمه من وصف التمدن ويطلق عليه اسم التوحش فانه أنف من الاقامة في المدن ورضي بشوامخ الجبال بدل القصور العالية وبمسارب الشعوب بدل الشوارع المنظمة وبالفيافي الشاسعة بدل الرياض الزاهرة وبالكهوف الغائرة بدل الحصون المشيدة وبالوحدة الموحشة بدل الاجتماع الادبي وبالكساء الطبيعي بدل الثياب المصنوعة وبالادراك الفطرى بدل المعارف المؤلفة وبالغذاء المباح بدل الاطعمة المحجور عليها

الا ان هـذا المسكين لم يجن ذنباً يعاقب عليه ولم يقترف سيئة تقضي بالانتقام منه ولا فعل مع الانسان ما يبيح سجنه او تعذيبه ومع ذلك فانه محل الذم مع براءته منـه ومرجع الهجو مع طهارة عرضه يقتل في أي مكان وجد وان لم يكن مجرما ويؤسر عند التمكن منه وان لم يحارب ويذبح بلا جناية ولا حكم ويطرد من أوطانه ظلماً وهو المختط لهـا التعب في بنائها يظنـه الانسان قوياً وهو يطرد بعصا الاغنام ويراه شديداً وهو اضعف من الاوهام ولست ادري بمـاذا حكم على هذا الضعيف بالتوحش بعد تسلط الانسان عليه ومن وسمه بالقوة بعد صيده بتفويق السهام اليه ومن عرفه بالمغتال بعد بعده عن العمران

لو انصـفته الحال وساعدته الايام لسمي زاهداً في الوجود او خائفاً من الذل والعبودية او كارهاً للتعصب او راضياً بالـكفاف او محباً لراحة الفكر او مؤتنساً بنفسه او قانعاً بنصيبه او حذراً من شر الاجتماع وسطوة عظماء العصبية او ما شا كل ذلك مما تقتضيه العزلة والبعد عن المنغصات . ولـكنه تعصب عليه الانسان فرماه بكل ما قدر عليه من القبائح على انه ما شنّ غارة على مدينة ولا نازع ملـكاً في ملـكه ولا عارض اميراً في حكمه ولا احدث ثورة في أمة بل هو النائم في كنه السارح في ساحته الراضي بطعوم ارضه ونور سمائه . وما تعلم الاغتيال والهجوم الا من الانسان فانه يدخل عليه ارضـه بغير اذنه ويناوشه في جحره بلا حق ويخرجه من دياره من غير بيع ولا استئجار وان رآه ماشياً في سبيـله غير متعرض لاساءة احد ابى ان يتركه ممتعاً بحياته الطيبة وقتله غيلة او اسره بغتة فمن هـذا التعدي تعلم المدافعـة . وبطمع الانسان عرف الافتراس . ومن حقده عليه اخذ حذره فأصـبح ذا أخلاق حرة وخليقة طبيعية لا يطلب الاذى مادام آمناً في جحره ولا يجبن في القتال متى غولب عليه

ومن ألجأه الانسان الى ذلك لا يعد متوحشاً بمعنى متعد ولا بمعنى غير مؤتنس فكم معه من نفوس يميل اليها ويعطف عليهـا وكم حوله من عائلات يراها وتراه وجنود يحمل بها ويدافع فان جنى على انسان فمنه عرف الجناية وان خان أحداً فمنه اخذ الخيانة وان رأينا مولوده يخرج على فطرة ابويه قبل ان يتعلم علمنا ان افعال الانسان من عهـد وجوده أثرت في ابويه وجرى هذا في دمائهما وما ولدهما الا خلاصة هذه الدماء الممتزجة بأفعال

الانسان . فما يفعله الحيوان من الاغتيال بمجرد وقوع نظره على الانسان فهو عاقبة تعدي الانسان الاول على من عاصره واساءته التي توارثها هذا المسكين توارث بعض الامراض حتى صارت من سجاياه

على انه صاحب الارض وواضع اليد ومختط الديار قبل ان يوجد الانسان وقد تطفل عليه الانسان وتملق اليه حتى سكن دياره وزاحمه فيها و بعد ذلك كافأه بالتضييق عليه وابعاده من المعمور ولو تمكن من فيافيه لاغتصبها وأعدم هذا النوع الشريف

وانظر الى بعض الحيوان الذي احتال على الانسان وخضع اليه حتى شاركه في المسكن والمطعم والمشرب وعند أمن الانسان منه أخذ يعلمه العداوة ويغريه على أبناء جنسه حتى اخرجه من طوره وصيره مع أمثاله في تضاد وتغابن وكان لا يعرف عداوة الجنسية قبل اختلاطه بالانسان المتمدن «هذا معنى يذاق بالمعارف لا بالمغارف» فهذا المسكين في شقاء وان سكن البيوت وسجن وان نام على فرش لينة وعذاب وان جرى خلف الانسان بلا قيد ولا رباط الا ان هذا الذي فسدت اخلاقه بمباشرة الانسان وتغيرت طباعه بالمدنية صار منحوس الطالع لا يمكنه العود الى وطنه للوحشة التي اعترته في الامصار ويستحيل عليه ان يلتحق بالانسان وان تكلم بلسانه وعمل أعماله لمخالفة الخلق وتباين الطبع فكانه صار في الوجود قسماً ثالثاً بين الانسان والبهيم وما صيره كذلك وألجأه الى النفور من جنسه وألزم القسم الثاني سكنى الوديان والكهوف الا الانسان

فهل المتوحش منهما من خاف على نفسه من رفيقه فسكن البراري وخصن غابه وبات حذراً من عدوه ام من دار في الوجود لا تسعه ارض ولا يعجبه خاق ولا يريح جنساً ولا يقنع بملك ولو كانت الكرة في قبضته . الحكم في هذا لذوي العقول السليمة واعلهم لا يتعصبون الى الجنسية فيحكموا بالمسمى (بالعدل) وان لم يترتب عل الحكم اثر الآن فان الانسان لا يرجع عن البهيم بعد ان تمكن منه والبهيم لا يميل الى الانسان بعد ان تمكنت العداوة وعلم غايته عنده . والانسان وان علم بعض حاله في جانب البهيم الا انا نذكر نبذة مما اختص به لنعرف أهو خالص الانسانية اومركب منها ومن البهيمية فيكون الوجود مسكوناً بحيوان واحد : الانسان رب المعارف وأهل التكريم وجد على أحسن صورة

وخلق في احسن تقويم . له الادراك والتمييز والتخيل والنطق والاعمال البديعة والافعال العجيبة اجتهد حتى استخدم الوجود السفلي في مهامه وقد وقف في الوجود لا يرى له مناظراً غير انه وقف عن أفكاره وجعل نفسه حكماً بلا محكم فهو يقضي على هذا الحيوان بالتوحش وذا بالخيانة وذاك بالجبن وغيره بالنقص

وكأن عينيه ما نظرتا الا ما باين مقرّها وعميتا عن هيولاه وما يصدر عنه . وأذنيه ما سمعتا من لفظه قبيحاً ولا من غيره الا مدحه وان كان مذموماً وشكره وان كان مسيئاً فقد نظرنا في سيرته مع البهيم فوجدناها ظلماً وتعدياً ونحن ننظر لسيرته مع أبناء جنسه لنقف على نتائج أفكاره وغايات أعماله بحيث لا نخص بالنظر بعضاً من النوع وانما نجعل الشرح مطلقا لينظر اليه مهذب الاخلاق «فانه المقدم اليه هذه الافكار» ليبثها في أبناء جنسه ويكون عوناً للمهذبين في اتعابهم التي يتحملونها ليصلحوا من أخلاق النوع ما افسدته الجهالة ويحيوا من غيرتهم الادبية ما أماتته الاغراض والاهواء

ولا يعجل ذو غرض بالتهوّر والجدال فان هذا من التوحش الذي نحن بصدده فان أبى الا مصادرة القلم كان الداء عضالاً والمبتلي به على شفا جرف العدم . وفي اليقين ان شيوخ العصر استمالتهم المعارف بعد النفرة وشبانه رضعوا لبانها أطفالاً ولبسوا ثياب الكمالات فتياناً . فلم يبق الا غبيّ يرى السهام موجهة اليه فيغضب او عتل ينظر ما لا يناسب أخلاقه الفاسدة فيفحش او جبار يعلم ان أرض جبروته خسفت فيزمجر . وهؤلاء لا يدعوهم لذلك الا عدم تهذيب اخلاقهم وجهلهم بالحقوق الانسانية والواجبات المدنية . وهم على علاّتهم موضع الكلام ومحل التحكيم . على ان القلم سيقتصر على مشاهد او مقروء او محفوظ ومن كانت حجته العيان ألجم معارضه

أي انسان . ما أحسن أصلك وأجمل شكلك وأعز نفسك وأغزر علمك وأوفر عقلك

فيا أيها الحسن الاصل ما أقبحك عند الفخر الخارج عن حدك والمباهاة بما لا تحسن نظمه او عمله والكبر المبني على تخيلك الفاسد انك الفريد في الوجود . ويا أيها الجميل الشكل ما افظعك عند المقاتلة واصعبك عند التهوّر وأشدك قسوة عند ما تحمل على اخيك وتسلبه حقوقه او تقتله لغرض من اغراضك . ويا ايها العزيز النفس ما ابعدك عن الحق عند ما

ترفع نفسك على اخيك وتنظر اليه نظر المحتقر وتضع من قدره ما عرفه له تساويه معك واوجبه اتفاقكما الخلقي . ويا ايها العزيز العلم ما اجهلك عند ما ترى غيرك دونك في القدر وتغضب اذا اخل بتعظيمك وتسبه عند ما يترك تقبيل يدك او لثم اطراف ثوبك وما اصغر قدرك عند ما تنظر الغير بعين الجهالة وانت قادر على تعليمه وترميه بفساد الاخلاق وانت متمكن من تهذيبه . وما مقامك في الوجود الا لاصلاح ما فسد من الجاهل الذي كنت مثله قبل علمك بل الذي عرفت به . فما أبغضك عند ما تحجر علمك على النقلة وتمنعه من المستحق استبداداً منك على اخيك ألا ترى انك بهذه الطباع فاسد الاخلاق تحتاج ما يحتاجه الجاهل من التهذيب بل انت عين الجاهل بل الفارغ من روح المدنية . ويا أيهاالوافر العقل ما اجنك عند ما تقابل المسيء باساءته وتخاطب ضعيف العقل بما لا يحتمله فكره ظناً منك انه في قوتك وتمكنك مدرك لما تقول قوي على الخصام والجدال بعد علمه بنزوله عنك وانحطاطه عن درجتك . هلا عاملته بما يناسب فكرك وتحتمله قواه فغنمت افادته واكتسبت راحتك . ويا ايها الموصوف بالكمال ما انقصك عند ما تمشي في الاسواق مختالا متكبراً كأنك مارّ بين البهائم والحشرات ولو نظرت عن اليمين وعن الشمال لرأيت ما يخجلك من امثالك المتحلين بحلية الكمال السارين في سكينة ووقار وخشوع . ويا أيها الفرح بما ملكت يداه ما احزنك لو تأملت المضطر يتضوّر جوعاً والبائس ينتفض برداً والغريب لا مأوى له يستكن فيه واليتيم لا قيم له يرشده ويعلمه والمريض المعدم لا مال له يطيب به نفسه ولا متاع يبيعه لينفقه في حفظ حياته افّ لك ولمالك قلّ او كثر فانك تحجر على الانسان قوته ومسكنه وملبسه بما تصنعه من اكتناز المال وما ظهرت الا لتخريب البلاد من حصر النقد عندك وعدم تمكن الافراد مما يبتاعون به ما يلزم لعمار الديار فتعساً لك ما حييت وسحقاً لك بعد موتك ولا مرحباً بك اذا قدمت ولا سلامة تصحبك اذا ذهبت ويا ايها المتصف بهذه الصفات الذميمة ألا يدلك البرهان على فساد اخلاقك واحتياجك الى مؤدب يقف بك عند حدودك ويعلمك ما تطهر به دنس الطباع وتنظف به قاذورات الجهالة ويعرّفك تمدر اخوانك ابناء جنسك ألست ترى نفسك من المتوحشين المغتالين قطاع طريق التقدم معدمي الحياة الادبية الساعين في خراب الاكوان . ويا ايها المدعي

الوطنية وهو يسعى في اضمحلال بلاده ويميل بجانبه الى كل بعيد عنها ما اضرك على بلدك واشدك على جيرانك واخوانك وما اغفلك عن حقوق مظهر وجودك وسماء سعودك ومسرح روحك ومقرّ شبحك لو علمت الوطنية ودرستها على خبيرها لعلمت ان البلاد محتاجة الى فكرك وقوتك والاهل مفتقرون الى مالك والارض مضطرة الى خدمتك والعمار موقوف على اتحادك وبعدك عن النقائص وما يكدر صفو الراحة العامة او يجلب شراً على الامة بتهورك وعدم تبصرك في العواقب . تموت في غرضك وانت تحيي الكثير من غير اهلك وتلتذ بشهواتك وانت تنغص حياة الالوف ذهبت بأميالك في طريق آمالك فبؤت بغضب الامة وسخط البلاد . ويا أيها المنتقم من مثيله كفرت نعمة النوعية وجحدت فضل الجنسية فأصبحت وحشاً طبيعياً لا متوحشاً تطبعاً . ويا أيها المدعي حرارة الدم هلاً صرفتها في استخلاص نوعك من الخشونة وبذلتها في تهذيبه وتأديبه ليكون عوناً لك اذا عرف قدر نفسه ولكنك من النوع الذي وجد من مادة أمشاج فقضت عليه الاخلاط بالحيرة والانفعال التجاذبي بتضارب الاضداد فوقف بفعل الاساءة وهو مرتاح اليها ثمّ يندم في الحال ويقدم على الامر لا يرده راد ثم يرجع بأدنى اشارة ولو ثبت على قدم واحدة لملأ الوجود عجائب ولم يترك من الكرة مقدار ذراع الأعمره ولكنه سلم نفسه الشريفة الى اغراضه فأنزلت درجته من معالي الانسانية الى حضيض البهيمية

فمن تنطبق عليه هذه الصفات ويحكم بعدها بتوحش البهيم وتمدنه هو بعد ان أضله وظلمه وأضاع حقوق نفسه وتوسط في ضياع ثمرة حياته ألا يعلم كل ذى لبٍّ بعد ذلك ان تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الانسان

﴿ حوادث خارجية ﴾

أهم ما في جرائد البهدلة (١) ان حزب الضلال تقوى على حزب الكمال فأخذ يبعث بعوث البراميل الى طنطا (٢) ويوجه طلائع الغانيات الى درب القمر وجيش الحشاشين الى تل الحدادين وفرقة اللصوص الى الشوارع المزدحمة والسوامر وقد عينت الفصيلة الاولى من المغنين الى الخيام والثانية ذات الآلات الغريبة الى البيوت والثالثة الى المحاشش والرابعة الى السوامر والاكياب وحصنت قهوة الصباغ بالادبية وقهوة اسبيرو بالحراميه وقنطرة المحطة

بالشرطية وسوق البهائم بالنصابين والخشابة بالنشالين وارسلت العيون والارصاد من المخرفين في سائر انحاء البلد حتى صار محاطاً باستحكامات القبائح فلا يتصور وصول العقل اليه وقد سلمت قيادة هذه الحرب الهائلة الى الشيطان الرجيم ومن مقدمات الاخبار يعلم انهم سينتصرون على التقوى ويهزمون الكمال شر هزيمة وبمخابرة الانسانية مع الدين في شأن حمايته أهلها أجابها بقوله هذه دماء طهر الله منها سيوفنا

(١) البهدلة اسم مملكة الجنون وهي على شاطئ بحر الجنيهات تحد بالخمور من جهة الغرب وبالعاهرات من جهة الشرق وبالمضلين من جهة الجنوب وبالمخرفين من جهة الشمال واول من اختطها ملك الضلالة الجهل وبها مقدار سبعة وتسعين من مائة من العالم ومواسم البهتان فيها دائمة الرواج وحظ السجون فيها لا نظير له في الوجود وصناعة اهلها افساد ما أحكم العقل وتحسين ما قبحه الادب ولهم في هذه الصناعة تفنن عظيم واقتدار على المخترعات وحزب الضلال فيها اهل الفسوق الغلاة في الحرية البهيمية وحزب الكمال رجال الصلاح والاداب وكان هذا الحزب صاحب الشوكة والصولة في عهد المغفور له العلم الشريف مؤسس هذا الحزب وبعد وفاته ضعفت قوته وقل عديده فأصبح حزب الضلال صاحب الامر والنهي (٢) طنطا اسم بلد من اعمال الغربية بها مقام الحسيب النسيب سيدي ومولاي السيد احمد البدوي وهو مزار جليل يتبرك به غير ان حزب الضلال قلب موضوع الزيارة وهتك حرمة الاولياء واتخذ البقعة الشريفة ساحة بهتان وميدان ضلال حتى صار التقي المخلص يقرأ الفواتح من بعد خشية رؤية المنكرات ويزور المقام ليلا عند ما يكون خالياً من المخرفين ولا شيء يؤثر في النفوس الطيبة اعظم من جعل بقاع التقوى والتبرك ملعباً للجهلاء ومسرحاً للفجار فلو قدرنا صاحب المقام حق قدره لدخلنا البلد خاشعين غاضين الطرف تأدباً في هذه الحضرة الجليلة وعسى ان نرزق بذوي غيرة على السادات يطهرون الاشراف من القبائح والفجور وينزلون الاولياء منازلهم من حيث الكمالات والاعتبار

﴿ اخبار آخر ساعة ﴾

أخذ الناس في تأمل ما جاء به التنكيت والتبكيت والعمل بارشاده والاخذ في أسباب الحزم وترك الملاهي وتجديد الصناعة فراراً من العيوب ورهبة من الوقوع في الشبهات وابتدأ

النبهاء في نقد مقدماته والمحاورة في عباراته

﴿ اعتراض على التنكيت ﴾

ضرب الامثال بنا ونشر عيوبنا لا يليق لئلا تقف الافرنج على أحوالنا

﴿ الجواب ﴾

الافرنج تعرف من أمرك ما لم تهتد أنت اليه ولهم مؤلفات في سيرنا اشتملت على مخبآت يظن صاحبها انه لا يعلمها الا هو والقصد تقبيح حال الجهلة وابطال دعاوي المخرفين وتحريك طباع الكسالى لتطهر العقول من دنس الجهالة حتى لا نرى احد من المغفلين ولا المضلين او الضالين آمين

﴿ حر الكلام كلام الحر ﴾

الكلام الحر ما كان غير مقيد بمشرب أو عادة مقتصراً على شرح الحقيقة بلا حشو ولا تميق .

هذا التعريف الجامع المانع يلزمنا البحث فيما أطلقت فيه أعنة الاقلام وهو لا يخلو اما ان يكون مؤلفاً علمياً او محرراً سياسياً . فالاول توجد الحرية فيما كان مختصاً منه ببعض العقليات والفنون التهذيبية فانه عبارة عن تعريف مركب تقتضيه صناعة الطب او اخبار بتجربة تقدم الفلاحة او ارشاد يقتضيه مقام التهذيب او غير ذلك مما تدعو اليه حاجة الانسان وهذا لا دخيل فيه يخرجه عن اصله ولا يقصد به الا حياة الانسان ووقايته من العوارض السماوية او الارضية او الحيوانية . وما عدا هذا من المؤلفات التي يقصد بها تأييد مشرب حاكم او مألوف أمة أو عادة قبيلة فانه لا يشم رائحة الحرية اذ القصد منه التزلف والتملق وجذب قلوب الامم بألفاظ منمقة منسجمة يميل اليها ذوق الانسان وتحن اليه طبيعته

والثاني يوجد فيه لفظ الحرية مجرداً عن المعنى كيفما كانت الحرية مطلقة لكاتبه فانه يؤيد عمل امير او يحسن فعل امة او يمدح فئة بحسب ما تصل اليه أفكاره من استحسان ما يراه في بلاده من أفعال رجالها . ومعلوم ان ما يحبه هذا يكرهه ذاك وان اصاب هذا من جهة أخطأ من جهات وان ارضى فئة أغضب أمماً كما نرى ذلك في جرائد السياسة على

اختلاف مظاهرها وتباين اغراض محرريها وكلها ترجع لاستحسان عمل اهلها او تقبيح ما لا يناسب المحرر لا الامة او ما يغضب اهل مذهبه او ما يخالف غرض جنسه وبهذا تعلم ان المحررات السياسية اجنبية من الحرية ولا وصلة بينهما الا في الالفاظ وتحقق ان الكلام الحر يوجد في بعض كتب العقليات المقتصرة على تعريف جسم او استخراج مجهول او تركيب دواء او تشكيل آلة او نشر مواعظ أو ردع عن قبيح او حث على جميل فما وجدناه من هذا القبيل عنوناه بحر الكلام وتركنا ما عداه في رق كاتبه وأسر أمره وبهذا نأسف على ضياع نصف الحكمة ونفرح بوجود معناها في بعض أجزائها وبقي علينا البحث في الحر من حيث هو بالنسبة للتكلم

الحر من ملك أمره ولم تتقيد افكاره بغرض ما . هذا أخص التعاريف به عندي وان تضاربت فيه الاقوال ولو نظرنا الى انسان الوجود الحالي في سائر بقاع المسكونة لرأيناه بعيداً عن الحرية لا يهتدي اليها ولا يتمكن منها ان وجدها سواء في هذا تابع الحكومة الجمهورية او الشورويّة او الاستبدادية . فان الوجود مضبوط بممالك مقيدة بقوانين وضعت بأغراض ذاتية وافكار مقصورة على فرد او بعض افراد ولا يفقه تلك القوانين الا واضعها او من درسها على اهلها ولها عندهم منطوق ومفهوم وباطن وظاهر ولا يعمل فيها بقول العاقل من غير أهلها وان اصاب واخطأوا . وان قيل ان الممالك تعرض القانون على مجالسها قبل تقريره قلنا ان المجالس مقصورة على ارباب الثروة او اهل الكلام وليس كل الامة كذلك فهذا داخل تحت قولنا او بعض افراد وهذا يثبت ان الانسان في أسر القوانين وتحت تصرفها ومن وقف في هذا المقام كان اجنبياً من الحرية وليس المقيد بالقوانين من لم يضعها بل واضعها أيضاً في اسر ما دونه وحبس ما قيده فتراه عند ما تلم ملمة لم يكتب لها باب يسهر الليل مع امثاله في الافكار ويبيتون على حذر من نفور النفوس وثورة الامم فهم أسرى مظاهرهم ارقاء افكارهم لا حرية ادركوا ولا من العناء استراحوا . وهذه قضية تنتج أثبات الحرية لدفاتر القوانين لا للانسان

والدفاتر لا تتمكن من الحرية الا اذا كان ما فيها قطعياً ينفذ بجوهره بلا تأويل ولا تفسير ولا معارضة بما حواه غيرها ولكن تداول الايام يخبرنا على ألسنة التواريخ بما لا

يدخل تحت حصر من قوانين وضعت ونسخت ثم نسيت كانها لم تكن شيئا مذكورا وما نسخها الا مثلها اقوال وأفكار تجوهرت في صفحات الاوراق ثم استحالت وتطايرت في الوجود تطاير ابخرة الانسان والحيوان وبهذا تبطل النتيجة الاولى وتنسلخ الحرية عن الدفاتر وتثبت للفظها المجرد عن المدلول

على ان النتيجة الثانية باطلة ايضاً فان لفظ الحرية وان كان لا مدلول له فانه محجور عليه لا يتلفظ به الا في سرداب ولا يكتب الا في اوراق لا يعلم ظاهر الوجود صورتها ولا يكون اللفظ حراً الا اذا جاز تناوله في كل مكان وتلي على اعواد المنابر وألسن المحابر وهذا مما لا يسلم به قانون فانه وان ذكر في بعض الممالك لا بد وان يشفع بغرض يخجو به محرره كما في الجرائد المسماة بالحرة فصارت الحرية الحقيقية عبارة عن سر من اسرار الوجود يلقن في الخلوة على بعد من الناس آخر الليل بصوت الهمس بعد ايمان الشرف وحلف القسامة وهذا هو العدم بعينه فما نسمعه من الناس على اختلاف ممالكهم من السعي خلف الحرية الحقة او دعوى التحلي بها عبث وهوس فقد علمنا انها موقوفة على اباحة ذكرها في المحافل والمجامع والطرقات ثم تنفيذ قانون عادل يشترك فيه سكان المعمورة من غير نقض ولا تأويل ثم تخويل الانسان حركة لا يعارض فيها الا اذا صادر غيره وهذه عقبات ليس للمستحيل وجود الا في قطعها فانه لا ينتظم اجتماع بلا قانون ولا تجتمع حرية مع محكوم عليه

على انا نرى مدعي الحرية اذا اختلى بنفسه ونظر في كتب المعتقدات مال مع محسنات افكاره حيث مالت وربما ذهبت به لاستقباح معتقده واستحسان غيره وعند ما يخرج للناس تأبى عليه صورة الاجتماع الا الاعتراف بمذهب عامة طائفته . واذا نظر في منشور سياسي وهو في بيته قام وقعد وصوب وخطأ وأظهر مقاومة يكاد يمحوها ذلك المنشور ومتى خرج ونودي للتصديق اجاب بالسمع والطاعة والانقياد ومدح وأظهر الاستحسان . فهذا المدعي لا يرى حريته الا في خلوته وبطون صحفه . وذا عين ما استنتجناه اولا وحكمنا به على استحالة وجود مداول للحرية المطلقة ما دام الانسان مختلطاً بمن له غرض ذاتي كما نحكم باستحالة تجرد الانسان من صاحب الغرض الذاتي فانه من نوعه والنوع قاض بحدوثه كلما تجدد النسل في الوجود وميز اللذة

فلم يبق الا البحث في الحرية المجازية وهي وقوف الانسان عند حده ومعرفتـه حقاً لنفسه يطالب به وواجباً لغيره يؤديه

وهذه الحرية لا ينالها الا أمـة تهذبت وتربت على محاسن الاخلاق وعرفت معنى الانسانية وحق المدنية وقدر الوطنية وواجب الانتظام فان الانسان اذا جهل الحقوق تهوّر وخرج عن الحد وكدّر الراحة وأذل جنسه وخرب وطنه وعرض نفسه للتهلـكة من حيث يرى انه يسعى خلف الوطنية والعمار بأوهامه الفاسـدة والامم على اختلافها وكثرة تعدادها لم يتم لواحدة منها الفراغ من تهذيب كل الافراد فهي تسعى في طريق التقدم بتعميم التعليم وتنوير الافكار لتحظى بالتساوي المطلق الذي لا يتيسر وجوده الا بعد علم كل فرد بالقانون وترافعه بنفسـه بحيث يكون حكم القاضي تنفيـذاً لما ينطق به المترافع من احكام القانون وهذا لا يضمنه الا القرن الخمسون ان سلمت الافكار وعمت المعارف و بطلت الحروب

ونظام الامم وحفظ وحدة الوجود يقضي ببقاء الحال على ما هي عليه حتى يتم تهذيب الخلق ووقوف كلٍ عند حدوده اذ ذاك يجوز اطلاق الحرية المجازية على الانسان وتصدق عليه حكمة (حر الكلام كلام الحر)

﴿ اتبع الحق وان عز عليك ظهوره ﴾

﴿ أي زمان ﴾

حدثني عن الارواح التي زارتك وكيف كانت نشأتها فقد رجعنا في تصـفح تاريخك الى حد وقفت فيه العقول فأخذت بالقياس والتخمين ولم نر غـير انسان يقطع عمرك بفناء اجزائه فهو يختط البلاد ويبني البنيان ويغرس الوديان ويركب البحار ويسعى في غنيمة يكسبها ولذة يحصلها وغرض يقضيه وكلها ترجع لمثيله فتراه يريد الغنيمة ولا يجد لهـا غير قتل اخيه سبيلاً ويميل للذة ولا يحصلها الا بجعل عرض اخيه طريقاً يشتم ولكن مثـله ويضرب ولـكن جنسه ويقتـل ولـكن قرينـه فهو القاتل والمقتول والناهب والمنهوب والسالب والمسلوب والعائب والمعيب يرى اللقمـة في يده غذاء لجوفه ولا يعلم انه يجوع يوماً ما فلا يجدها ويسعى في اهلاك أخيه ولا يدري انه ربما نجا واهلكه سـعيه وقد اختلفت طباعه

وتعددت مساكنه وكثرت لغاته وتباينت معتقداته فسمي المذهب واللغة والوطنية والجنسية وتعصب لكل منها بحسب ما تدعو اليه اغراضه فأنتج هذا التشيع وجود العداوة التي تحسن لضارب الرصاص اطلاقه من غير خوف ولا جزع ولا اسف فانه يعد نفسه قسما غير من جعله غرضاً لناره وبهذه العداوة تسمت الممالك وخططت وحددت وحصنت واصبح كل يدافع عن مملكته بروحه وماله وما بالوجود غير انسان واحد

فيا زمان أكان انسانك الاول عدو نفسه يطعمها حيناً ويجيعها زمنا ويضربها وقتاً ويريحها آونة حتى نبت بذره بهذا الغرس المتماثل مع الاهواء ام كان محباً لذاته محافظاً على حياته مجتهداً في نمو قوته وتأييد سطوته ونحن ننسب اليه بالصورة وتباينه بالطباع . كم قتيل كتبته في دفتر وجودك ممن ذاق المنون من المظلومين . كم مشرّد قيدته عندك ممن اوغرت عليهم الصدور ظلماً وهم لا يشعرون . كم امناء اهينوا بالاوهام وما هم من الخائنين . كم حكماء تسلط عليهم الاغبياء فجرت عليهم افكار تهدى العالمين . كم علماء هزأ بهم الجهال فماتوا وفي صدورهم هدى للمتقين . كم امة كانت آمنة مطمئنة فأصبحت من الهالكين . كم فئة اتحدت قلوباً ففسدت بلسان غوى مبين . لا تقل ادواري تقضي عليهم بهذا التفاني وانت تعلم ان الآجال مقدرة فلو صبر القاتل على المقتول لحظة لمات ولكنه ابى الا ارتكاب الاثم واتباع الاغراض فسفك الدماء وهتك الاعراض وسلب الحقوق وغرس العدوان واوغر الصدور وارجف القلوب وهو في سعيه من الفرحين . أهذا هو الانسان ام العين تبصر شكلاً كشكله وهو غير مشاهد فانا نجيل الطرف فلا نجد الا اكفاءً وأمثالا . ام الانسان اسم غصبناه وادعاه كل ذى قوام عمودي والا بان كنا هو فما بالنا نسعى فيما يضر بهذه البنية الشريفة ونجتهد في اعدامها هل الارواح تغتنم فيأخذ الساعي روح اخيه لتكون مع روحه في جسمه ام الاعمار تورث ولكل ساع في هلاك اخيه ما بقي من عمره . ولمن وجدت الشرائع اذا لم يتقيد بها الانسان اين الخوف من النار ونحن نتفكه بالغيبة ونتسلى بالمفتريات اين الرهبة من النقمة ونحن نهجم على المعاصي هجوم العاشق لها . اين الخوف على النعم ونحن مغرورون بما بأيدينا مع العلم بان السلب اقرب من الايجاب . أين الطمع فيما عند الله اذا اتحد رجال على ايذاء رجل . اين الرغبة في النعيم الابدي اذا جعلنا الحب وسيلة

للشر . اين السعي في الطاعات اذا كانت الاساءة منتهى الآمال . اين الصدق اذا كذبنا لانفاذ غرضنا . اين الحق اذا ركبنا الباطل اجابة للنفس في طلبها . اين الاخاء اذا تسلطنا على بعضنا بالالسن والسعاية . اين الانسانية اذا اجتمع الاقوياء على ضعيف . اين الفضيلة اذا كان للنقيصة عندنا شأن عظيم . اين العقول اذا لعبت بها الاهواء .

ألا يحسن بهذا النوع الشريف ان يسلك طريق الحق ويدع هوى النفس أيليق بي وأنا من الانسان ان اصحب واحداً اتسلى بألفاظه واطرب بكلماته وأسر بمفاكهته واقتبس منه ما أهتدي به في ظلمات اغراضي واروي عنه ما تتنور به افكاري وارى منه أشكالاً وغرائب وأتمدح به في كل مكان وأفاخر به كل انسان واتيه بوجوده في ارضي وأفضله على السابقين من امثاله واسير معه في كل طريق سار فيه واحسن كل عمل يأتيه واساعده على كل مهمة يطلبها ونازلة يدفعها وهو يذكر لي من المحاسن ما يسمو به قدري ويعلو شأني ويثني عليّ بما يخلد لي ذكراً جميلا ثم بعد هذا الغرام والشغف والالتصاق والمصافاة اقطع حبل وده بسعاية وابغضه بدسيسة محتال واهجوه اليوم بما كنت أبرئه منه امس واذمه بما كنت ادفعه عنه وارميه بما لو اتصف به لدنس مجدي وقذر شرفي واسعى في نفور القلوب منه بعد ان كنت اجمعها عليه

ولو تأنيت في الامر وأخذته بالحكمة لظهر المفسد من بيننا ظهور الشمس فصفعناه واخذنا حذرنا من مثله والا فان غضبي بالاوهام وتصديقي من عرفت كذبهم واختبرت مفترياتهم وكانت لهم عندي سابقة السوء ليس من الحكمة ولكن اذا ملئت الآذان بمفتريات كدرت النفوس وحولت القلوب وزحزحت العقول ولا ينزعها التنصل ولا يدفعها الاعتراف فالاولى لمن سلطت عليه ألسن ذى الغايات ان يستسلم للقضاء ويلزم الوحدة حتى يصل الى احدى الغايتين اما ظهور الحقيقة وتحقيق براءته والاعتذار اليه واما تمكن السعاة من اساءته وذهابه شهيد الغايات او اسير المفتريات . وعار على شيوخ جربت الزمن ان تحل عروة الاتحاد بسعاية من تعددت مساعيه الشريرة وبعده منها ايام الاصلاح وتملقه اليها زمن فتنته . ولكن لكل باغ مصرع ولكل ساع مقصد . فيا ايها الانسان صوّر الحق بين عينيك وغالب نفسك فما الجهاد الا جهاد النفس والزامها طريقة الاعتدال

وردها عما يحدثه الغضب من فرية نمام او اكاذيب ذى غرض ولا تطلق لها العنان الا في الخير ولا تساعدها الا على الاحسان ولا تأخذ الامور بظواهرها واتبع الحق وان عز عليك ظهوره

﴿ ألسن الخطباء تحيي وتميت ﴾

حكمة اذا عقلت معناها وقفت على سر الخطابة وحكمة حدوثها وعلمت انها للعقول بمنزلة الغذاء للبدن وكانت الخطابة في الاعصر الخالية غير معلومة الا في أمتي العرب واليونان فكانت ساحتها في جزيرة العرب عكاظاً ومنابرها ظهور الابل . وهذه الساحة كانت معرضاً للافكار تجتمع فيه الخطباء والبلغاء والشعراء وأمم كثيرة من المجاورة للجزيرة فيرقى الخطيب ظهر ناقته ويشير بطرف ردائه وينثر على الاسماع درراً وبدائع ثم يباريه آخر ويعارضه غيره فتتضارب الافكار وتتنبه الاذهان وتحيا الهمم وتتحرك الدماء ويرجع كبار القبائل وامراؤها لما يشير اليه الخطيب ان صلحاً وان حرباً . ولم يقتصروا في خطاباتهم على مسائل الحروب والصلح بل كانوا يخوضون بحار الافكار فلا يتركون ملمة الا شرحوها ولا يذرون فضيلة الا حثوا عليها حتى انهم كانوا يحفظون أسماء الحكماء منهم واهل المآثر فيذكرونهم في كل علم في هذا المعرض احياء لتذكارهم وتخليداً لاسمائهم لئلا يجهل الآتي سيرة الماضي فتفتر الهمم وتخمد الدماء وتتغير الطباع . وفي غير المعرض كان كل متكلم خطيباً في ناديه يحض ويحذر ويحرض ويحمس ويأمر وينهي واذا نابهم امر رجعوا الى كبار القبائل ومشايخها وتذاكروا فيه مذاكرة النبهاء وسلموا افكارهم لحكم الشورى ليظهر من سر الاجتماع وهيئة الاتحاد رأي يحكم للجميع سطوتهم ويقوى استقلالهم ويزيد في نفوذهم فاذا نشر على عامة القوم رأيتهم سراعاً لسماع الحكم طائعين لما ابدته حكمة الاجتماع لا طاعنين ولا مقترحين امراً فان كان الاجتماع لرد باغ رأيته اطوع للامة من القلم للكاتب وان كان الحكم باعدامه واخماد انفاسه وان كان لجمع سلاح وكراع واعداد افراس ورماح رأيت الغني المتبرع بنصف ماله والكريم المتفضل بحلية افراسه والمثري المهدي ما يمتلكه والشجاع المبيح لدمه والفارس البائع لحياته والقوي الواهب نفسه للخدمة والشاب المعرض نفسه للهلكات والشيخ الناصح والكهل

الواعظ والطفل الفرح والشابة المغنية بحماية الحي وحفظه والعجوز المنادية بذكر الاجداد وثأر الآباء والاماء القائمة باعداد العقاقير وفائد الجراح والعبيد المجدة في طلب الابل وجمعها في مرابدها والشيوخ القائمين بتدبير الاحياء وترتيب الفرسان والخطباء المنبثين في البيوت والصحارى والفيافي يخطبون الشارد ويردون الصادر بكلمات تكاد تزهق بها روح الجبان وتطير بسرها روح الشجاع طرباً باللفظ وحباً للكر والفر والدفاع

وبهذا كانت العرب منيعة المقام كالعنقاء التي تكبر ان تصاد حتى هابتها الامم واتخذتها الملوك وقاية في مقدمة جيوشها تتقي بها الاعداء وتلتقي عليها النصال وتقصف في اقدامها السهام وتثلم في دروعها السيوف لما علموه من صفاء دمها الذي اذا تحرك انتفخت به العروق وتورمت منه الاوداج فلا يسكن الا بعزة لا يعقبها ذلة ومنعة لا يلحقها خضوع وشرف لا تدنسه وضاعة . ولو تركتهم الخطباء للتخاذل والتحاسد لماتت هممهم وخمدت حميتهم ولعبت بهم الاهواء وتمكنت منهم الضعفاء وأصبحوا أذلاء في الامم لا يدركون المجد ولا يعرفون لشرف النفوس سبيلاً

وقد استمرت الخطابة في العرب دهوراً لا يجتمعون الا عليها ولا يجلون الا أهلها ولا يعظمون الا العاملين بها ولا يخضعون الا لمتبعها القائم بحفظ الامة وصيانة اعراضها واراضيها حتى جاء الاسلام وفرضت الخطبة للجمعة لامر تغيب عن كثير من الناس حكمته وسره البديع ونحن نذكره قياماً بحق خدمة الامة والوطن والدين تنبيهاً لافكار السامعين وتحريضاً للخطباء على سلوك طريق النصح وسبيل الخلفاء والعمال الذين ملأوا الوجود بآدابهم ومبتكرات معانيهم وحسن نصائحهم ومواعظهم

لما كان نظام الاجتماع موقوفاً على وحدة الائتلاف ووقوف الامة على حقوقها وحدودها ولا يتمكن الفرد بنفسه من فهم البعيد عنه او الخفي عليه الا بمرشد متضلع عالم متقلب في حوادث الزمان ووقائع الرجال والامة ليست جميعها من صنف العلماء ولا كلها من رجال الكلام ولا اغلبها من اهل السياسة ولا جلها من ارباب الاقلام لتشكيلها من عالم مختلف الاغراض متباين الطباع فرضت الخطبة ليقف الخطيب بين قومه وقفة الخليفة الآمر الناهي فيقص على الرعية ما فعله من الجميل وما قام به من الاعمال وما ورد عليه من

الاخبار وما يحذره من الطوارق وما يرجوه من الاصلاح ويشرح لهم حال من بعد عنهم من اخوانهم المؤمنين وما نزل بهم من النوازل الجوية والحوادث الارضية وما غنموه من أنفال الفتح وغنائم الانتصار لتكون الامة على علم بأحوالها في سائر بلادها وفي هذا من النصح والوعظ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لا ينكره الا مقيد بديوان او مربوط في بعض وريقات صنفها غيره

ومن طالع خطب الخلفاء والعمال وعلم ما كان يحدث في الامة من الغيرة والحمية عند دعوة الحرب او زيادة الجند او رفد الحكومة بمال وقف على سر الخطابة وحكمة فرضيتها فان المتقدمين ما نزل بهم أمر الا خطبوا به حتى انهم كانوا يرثون شهداء الحرب على المنابر وبهذا كانت الامة في نمو وزيادة فتوح وقوة بأس وناهيك بأمة تجتمع كل اسبوع في ساعة واحدة في سائر انحاء بلادها وتسمع من حوادثها وغوامض سياسة خلفائها ما يقف به كل فرد على احوال الامة وسيرها وتقدمها ونجاحها حتى اذا كان الجيش مقيماً في بلاد الروم ويخطب بحوادثه في جزيرة العرب تتوالى عليه الامداد وتتلاحق به الفرسان وبينه وبينهم براري وفدافد لا تقطع الا بأيام او اشهر ولقد أنكروا على سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله ياسارية الجبل وهو على المنبر في خطبة الجمعة ولم يعلموا سرها الا بعد ان حضر سارية من غزوته وقص عليهم خبره فعلموا ان الخليفة كان يخطب وهو ناظر للحاضرين بعين بصره وللغائبين بعين بصيرته فهو يأمر السامعين بالاخلاص والاتحاد ويشير للغائبين بالالتجاء الى الجبل واسناد ظهورهم اليه ليقاتلهم العدو من وجهة واحدة

ولا يغيب عن قراء التاريخ خطبته السياسية التي قال في آخرها من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه فقام له أحد رعاء الشاة وقال له لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا. وهذه حالة تدل المطالع على حرية امير المؤمنين وسيره في طريق العدل الذي حفظ له قلوب الامة وطهر بواطنهم من الحقد عليه او الطعن فيه . وقيام هذا الراعي للرد على أمير المؤمنين دليل على تمكن الاستقامة من الرعية وبعدهم عن الذل والخوف والرعب وميلهم لقول الحق في مجلس الامير والحقير وشاهد على وقوف الامة عند حدودها وحقوقها وحفظها النظام العام بعدم الخروج عن الحد او ارتكاب ما يخدش الدين او يضعف عصبية الاجتماع الملي

وكان من عادة الخلفاء اذا وفد عليهم خطيب من بلاد بعيدة عقدوا له محفلاً ودعوا الامة لشهوده فيرقى الخطيب المنبر ويقص على الامة ما لاقاه في رحلته وما علمه من اخلاق الامم وما فيهم من الصفات وما هم عليه من احوال الملك وما لهم من الاعمال ومن فيهم من الرجال وطباع الشعوب وكيفية الاحكام وحالة الاجتماع وهيئة الفرسان ووظائف العمال وسعي الافراد لتقف الامة على احوال العالم وما هو عليه فيغنم الحاكم الاعلى من هذه الخطبة ظهور رجال يضارعون من سمعوا سيرتهم وعلماء يباهون من وقفوا على اعمالهم وحكماء يبارون من علموا اخبارهم واشغالهم فتزداد بذلك ثروته المالية وتحيا كلمته الوطنية وتقوى سلطته الملكية ويتسع نطاق العلم في بلاده واقطاره وهذا الذي اوصل الوجود الى العمران والتقدم في الصناعة والعلوم

ولم تكن الخطابة قاصرة على ذكر الموت والزهد والتحذير من الدنيا وزخرفها بل كانت الخطابة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء تتضمن الحوادث واخبار الامة ولا يقتصر فيها على الوعد والوعيد الا اذا كان الاسبوع خالياً من الحوادث الجديدة والامور المهمة . وما نقل الخطابة من موضوعها الا الملوك المستبدون من بني أمية وغيرهم فانهم لما علموا ان الناس تزدحم يوم الجمعة لاداء الفريضة وسماع الحوادث في الخطابة تواطأوا مع بعض الخطباء على ذكر الموت والزام الامة بالطاعة والخضوع والتحذير من الخروج على الحاكم او مخالفته ليميتوا بذلك ثورة النفوس التي تحدثها المظالم ويحركها البغي وتوالت من بعدهم اعصار وكلما ظهر ملك شديد الاستبداد زاد الخطباء في التخويف والارهاب فان الخطابة كانت في الامة بمنزلة جرائد الاخبار فترى المملكة العادلة تبيح حرية المطبوعات لتطلق عنان الإفكار ومن خرج عن حده او رمى الحكومة بما ليس فيها حاكمته وعاقبته . والحكومة المستبدة تحجر على الجرائد حجر المتقدمين على الخطباء فلا ينشر فيها الا ما ترضاه من المدائح وتحسين اعمالها من غير نظر لمصلحة الامة ولا للمنفعة العامة لتكون امتها تائهة في ظلمات الجهالة لا تهتدي لصالحها ولا تعلم من امرها الا ما يضر بها

وكان الخطباء في صدر الاسلام يخطبون ارتجالاً لتمكنهم من اللغة وعدم فساد ملكتهم العربية بدخيل اجنبي فيها اذ كانت اللغة محفوظة لا يحتاج الطفل الى تمرينه عليها الا لبعض

المحفوظ من كلام العرب يقيم به لسانه فلما كثر الاختلاط وامتزجت ملكة القوم بكثير من اللغات وبعض المصطلحات عز على الناس ان يأتوا بالخطابة ارتجالا واحتاجوا لاعداد بعض الخطب ليكون الخطيب مقيداً يلقيها على القوم كما يلقي الطفل درسه على معلمه بحيث لو وقف في كلمة ضاع منه ما بعدها لكونها ليست من ملكته ولا انشائه ثم زاد الامر بتولي بعض القراء أمر الخطابة فتراه يصحح الخطبة على نحوي ليتلوها معربة على الناس من باب حكاية الاصوات . وبعض خطباء الارياف يحفظ الخطبة في الديوان بحسب ما يتصور فلا تفقه لخطبته معنى لما تراه من خبطه في الالفاظ وهذره بما يظنه صحيحاً ولقد سمعت الكثير من هذا القبيل وعجبت من الجهالة العمياء

ومن نظر لهذا الموضوع الجليل بعين الاعتبار علم ان هيئتنا الحديثة وسير مليكنا التقي القائم بأمر الدين المحافظ على راحة الامة يقضيان علينا بتغيير كثير من الامور المهمة العامة في الامة ومن أهمها الآن الخطابة فان الامية كثيرة في بلادنا متغلبة على السواد الاعظم منا ولو كانت الامة قارئة كلها لاستغنت عن تغيير هيئة الخطابة بالجرائد ولكن مطالعو الجرائد عدد قليل محصور في دفاتر المحررين والاميون في ظلمات الجهالة قد ضرب بينهم وبين ما يقدمهم بسور لا باب له فترى الرجل يجهل حالة المديرية المجاورة لبلاده ولا يعرف بعض بلاد قطره الا سماعاً من الناس وهذا لا يناسب اخلاق امة انتشرت فيها العلوم وتعددت فيها المدارس فان فساد اخلاق الآباء يضر بالابناء وربما غلبت اخلاق ابويه على معارفه وآدابه فلو كان الولد في المدرسة وأبوه متنوراً بالخطابة سارت الامة الى التقدم على جناح السرعة وتأيدت سطوة الحاكم تأييداً عظيماً على انا نرى الكثير من الناس ترك الصلاة او تكاسل عنها فاذا علم ان الخطابة مشتملة على كثير من الحوادث والاخبار قاده حب تطلع الاخبار للزوم الجماعة وحب المساجد والطاعة وامتلأت المساجد بالمصلين

وأودّ وجود نفر من اعيان بلادنا يتبرعون بمبلغ يقوم بنشر خطب ادبية سياسية وأنا اقوم بانشاء خطبة في كل اسبوع تناسب احوال الزمان ثم تطبع هذه الخطبة وتنشر في سائر انحاء القطر لتتنبه الافكار وتعرف الامة قدرها وما تحفظ به نظامها بين الامم ولا يتم هذا الامر الا اذا اجتمع هؤلاء الاعيان وعرضوا ذلك لديوان الاوقاف ليتمكنوا من العمل

بالخطبة وما اظن ان احداً يأبى هذا السعي الجليل مع تمتعنا برعاية مليك تقي يسره وقاية الدين من سقطات الجهلاء وحفظ المملكة بأفكار رجاله وافراد رعيته

وأرى ان بعض الخطباء اذا سمع ذلك قال خطأ مشهور خير من صواب مهجور او القديم على قدمه او لا تغير أمراً جرى عليه اسلافنا او غير ذلك من كلمات العجز وألفاظ التمحل . ولكني لا أتركه يبيت الليل يسود ويبيض في اعتراض عليّ او في رد ينمقه ويزينه بألفاظ مجموعة من اوراق وانما اقول له طالع كتب الفقه واعرف منها شروط الخطبة وقابلها بما أنشره فان رأيتها منطبقة عليها فقد كفيتك التعب والسهر في كتابة الاعتراض وان وجدتها خارجة عن حدود الخطبة وشروطها ففصل أوراق خطبي ثوباً وألبسني اياه ودر بي في الاسواق مشنعاً عليّ بما تراه على اني لا اتركه يتململ حتى يرى تلك الخطب فيطول عليه الزمن ويؤلمه الانتظار وانما اقرب له الامر بانشاء خطبة في هذا العدد تكون نموذجاً لما سأعده من الخطب وان كانت محررة بلسان الجريدة وقلم السرعة لا منمقة ولا محلاة بشيء من البديع واني اعرضها على سادتي العلماء واخواني النبهاء لاقف على افكارهم في هذا المشرب الذي لا تغيب عنهم ثمرته ولعلي اكون رأيت الصواب وسعيت في الواجب فأعد من خدمة الدين والدنيا وقادة الامة للعيا فاني حليف لغتهم وابن بلادهم وأخوهم في الدين الحنيفي والملة السمحاء خلد الله دعوتها

﴿ الخطبة ﴾

رب البيت العظيم له الحمد على نعمه . وميسر الخلق لما شاء له الشكر على كرمه . نحمده حمد من تلي عليه الموحى به فسمعه . ورأى نور الهداية ساطعاً فتبعه . ونصلي ونسلم على غارس شجر الاتحاد في قلوب المؤمنين . سيدنا محمد الذي أرسله رحمة للعالمين . وعلى آله وأصحابه الذين جمع الله بهم الشتات . وأنزل في صفاتهم الحميدة آيات . عباد الله . ان لكل أمة كلمة تجمعها . وسيرة تسمعها . وكلمتنا الوحيدة حسن الاعتقاد . وسيرتنا حفظ الملة والبلاد . وقد تأسست كلمتنا بالاتحاد واللين . والقيام بما جاء به هذا الدين . من ترك العقوق : وحفظ الحقوق . والبعد عن الظلم والبغي . والتطهر من الرجس والغي . والحث على الائتلاف . والتحذير من الاختلاف . وقد دخل معنا من أهل الذمة من تعلمون . وصاروا اخواننا في الوطنية وهم

مسالمون . وانتم تعلمون ما نزل به الوحي من السماء وما أهريق في نشره من الدماء . حتى بلغنا السعود . وصرنا أمة عظيمة في الوجود . ولولا تفرق الكلمة ما انحل عقد اجتماعنا . ولا خرج علينا احد من اتباعنا . ولا ضعفت منا الهمم . حتى تلاعبت بنا الامم . وأصبحنا ميداناً تجول فيه الافكار . وناطقاً اشتد عليه الانكار . كاننا لسنا أسود الشرق الضاريه . ولا نجوم الهدى الساريه . صدق المرجفون فقد طال الزمن . وتغيرت الدمن . واصبح العدو يطالبنا بثار اجداده . ويوغر علينا صدور انداده . ويتحدث بنا في كل ناد . وينشر عيوبنا في البلاد . ونحن لا نتأثر من التنديد . ولا نتحرك من التهديد . ولا نأخذ حذرنا من الاعداء . ولا نتأمل في خطوب الاعتداء . تأتينا اخبار البرق باغتيال اخواننا ونحن عن انفسنا لاهون . وتقص علينا الجرائد اخبار مجاورينا ونحن عن العاقبة غافلون . ما لنا لا نكون عضداً لمليكنا الاعظم . وحصناً يحفظه اذا ليل الخطوب اظلم . أترون الدول ترحمكم اذا ملكتكم . او تبكي عليكم اذا أهلكتكم . او تعاملكم بالرفق واللين . او تحفظ لكم نظام الدين . كلا والله ما هي الا اسود ان دهمت احترست . وان تمكنت افترست . وان ملكت أساءت السيره . وان جاورت لم تحفظ الجيره . وان تداخلت احتالت . وان رأت غرة اغتالت . لا ترانا الا بعين العدوان . ولا تعدنا معها من الانسان . يدلنا على هذا من فتح لهم من اخوانكم غار . فسقطوا فيه على امة البلغار . فهي تكرههم على ترك الدين . وتقتل المؤذنين امام المصلين . ولقد أقاموا قروناً في ذمتنا . وعصوراً وهم تحت سطوتنا . ولم يروا منا الا الاحسان . وعدم التعرض للاديان . وهؤلاء اخوانكم في الغرب . يصطلون بنيران الحرب . على غير ذنب ولا جنايه . وانما هي النهاية ترد الى البدايه . فمن يرى هذا التعصب في مدته . ويرضى بالخروج عن اهل ملته . او يميل بجانبه للحمايه ويتخذ مليكاً غير مليكه وقايه . فاستميتوا رحمكم الله في حفظ البلاد . ودعوا التنافر وألزموا الاتحاد . واجعلوا خديويكم علماً يهتدي بنوره . وقطركم حصناً يحتمى بسوره . ولا تغمضوا عن كيد الاعادي عينا . ولا تهابوا في حفظ الاوطان حينا . وألزموا السكينة في حركاتكم . ولا تسعوا في تنغيص حياتكم . ولا تجلبوا على الامة بالتهور شراً . ولا تحدثوا في البلاد كرًّا ولا فرًّا . واحفظوا للنزلاء حقوق تجارتهم . واسمعوا في المجالس حسن عبارتهم . ولا تأكلوا لتاجر مالا . ولا تسيئوا لاجنبي حالا . وعاملوا جميع

السكان بالاحسان والرفق والحلم . ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عـدواً بغير علم

قال صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً اوكما قال

﴿منثورات من شعره﴾ فنقل النفس من معنى لمعنى * كنقل الورد من غصن لجاني

نثبت هنا ما بقي في الذاكرة من قوله في تخميس قصيدة للعلامة المرحوم الشيخ الشبراوي

شقوتي في الحب عنوان الرشاد * والجوى حظي ولذاتي السهاد * لا تلم صبا بغالي الدمع جاد

ان وجدي كل يوم في ازدياد * والهوى يأتي على غير المراد

نزهة الولهان في حال النوى * سقمه والنوح ما دام الجوى * قد سباني تيهه ظبي اللوى

يا عذولي لا تلمني في الهوى * ليس لي مما قضاه الله راد

ليس لي في الحب يوما منصف * أعيني كاسي ودمعي قرقف * مغرم بالغيد قلبي مدنف

منتهى الآمال عندي أهيف * وجفون زانها ذاك السواد

وقدود قاتلات جهرة * وجبين قد ارانا طرة * وشفاه قد سقتنا خمرة

وخدود تتلظى جمرة * ودلال قد نفى عني الرقاد

انني المضنى فمن يعدلني * والهوى فني فمن يفضلني * لم أجيء فيه بما يخجلني

ان ذنبي عند من يعذلني * ان قلبي في الهوى لو ردّ عاد

ضاع قلبي هل له من منشد * ضل عقلي هل له من مرشد * كم انادي في صباحي وغد

يا أهيل الود هل من منجد * هل سلا الاحباب ذو وجد وساد

سادتي ان لم يمنوا باللقا * مت وجداً ولهم طول البقا * لا تقولوا وجده عين الشقا

انا ان لم أهو غزلان النقا * أي فرق بين قلبي والجماد

قصيدة من رواية الوطن التي مثلها بحضور المغفور له افندينا توفيق باشا بالاسكندرية

أنوار عدلك تهـدي حي نادينا   وحسن سيرك للعليا ينادينـا

لكننا في طريق ضـل سالكه   فمن يدل الى الحسنى ويهدينـا

افتية ساءهم انصاف سـيدنا   فاستقبحوا العدل والاحسان والدينا

كنا نناجى بالفـاظ تقربنـا   صرنا نـنادى بدينار يفادينـا

وكان يمشي على الديباج ـ افلنا   فصار يمشي على النيران عالينا
هل في القصور رجال غير من عظموا   بما لدينا وكانوا من موالينا
او في الديار اناس غير من وفدوا   من القفار فصاروا في مبانينا
هذي معالمنا تبكي وتنشدنا   قول ابن زيدون اذ قامت تعزينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا   شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
لو اننا مثل أهل الارض في همم   ما قام يندبنا أحيا مغنينا
قل للنفوس التي ماتت بلا اجل   أين القلوب التي كانت تجارينا
أين الشيوخ الألى ساروا وسيرتهم   مسك ذكي يباهي مسك دارينا
أين العلوم التي كانت توصلنا   باب السعود فصارت من أعادينا
أين الصنائع أين العارفون بها   أين الديار التي كانت لاهلينا
كانت وكانوا وصار الكل في عدم   واستعبدتنا بما تهوي أمانينا
نمشي حفاة على شوك القتاد فلا   يؤذي النفوس وكان الخز يؤذينا
استودع الله قوماً كان طبعهم   يبدي لك الحالتين البأس واللينا
شدّوا الجياد وجابوا كل بادية   كي يعمروها فعموا الارض تمدينا
وسيروا الحق في الآفاق اجمعها   فاستحسنته ونادتهم سلاطينا
واستخلفونا فكنا شر من ورثوا   اذ لم نحافظ على ملك بأيدينا
اذا سمعنا خطيباً ذاكراً حكماً   قلنا له عزة الآباء تكفينا
لا نشتري المدح لو جاءت به فئة   من السماء فان الذم يرضينا
وليتنا اذ رضينا هجو أنفسنا   نستحسن البعد عما يوهن الدينا
ماذا ترى في أناس لو تقربهم   الى العلا بعدوا مما يرقينا
ما خالفوك ولكن خالفوا شرفاً   لم يعرفوا قدره ممن يولينا
فاجمع من القوم من ترضي خلائقه   واجعل لكل من الاعضا قوانينا
وشدد الامر حتى لا يضيع سدى   واجعل زمامك فيه العدل واللينا
وطهر القطر ممن طبعه شره   وخائن يحرق المأوى ويشوينا

وكن لاهل الوفا حصناً وملتجأً   وكن لاهل الهوى سيفاً وسكينا
واجعل رياضك للافكار متنزهاً   وسس بعزمك قاصينا ودانينا
فالفخر يحسن من سامي المقام لدى   مبارك فهمه يبديه تبيينا
ولا يساير ارباب الفنون سوى   عليّ قدر يجل العلم تدوينا
والله يحفظ بالتوفيق دولتنا   ويرحم الله عبداً قال آمينا

---

(١) في هذه الابيات اشارة الى رجال الوزارة في ذاك العهد وهم دولة رياض باشا واصحاب السعادة فخري باشا ومحمود باشا سامي والمرحومين على مبارك باشا وقدري باشا ومحمود باشا فهمي

تم الجزء الاول

الجزء الثاني

من

سلافة النديم

في منتخبات

المرحوم عبد الله افندي النديم

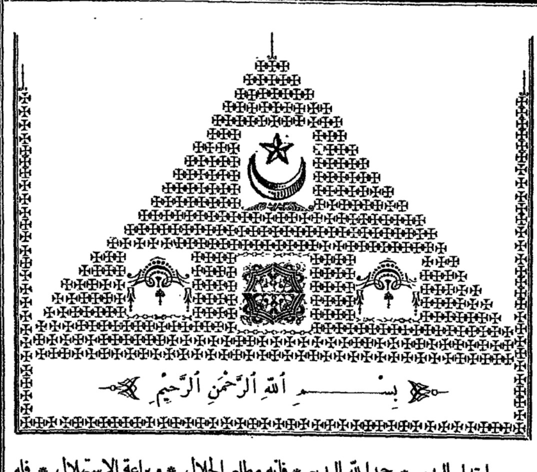
جمع شقيقه عبد الفتاح نديم

طبع على نفقة

امين هنديه

طبع في مطبعة هنديه بشارع المهدي بالازبكيه بمصر

سنة ١٩٠١ - ١٣١٩



حسن ابتداء البديع * حمداً لله البديع * فانه مطلع الجلال * وبراعة الاستهلال * فله الحمد على نعمة الابداع * وتجنيس الانواع * اخترع الكون بلا توليد * ونسقه بلا مراجعة ولا ترديد * ووزعه بالاحتباك والترتيب * ورشحه للتهذيب والتأديب * ووشحه بالتفصيل ليندفع عنه الابهام * ورصعه بالتناسب للمشاكلة والاستخدام * وجزاءه بالازدواج فلا توهيم * ووازن بين افراده في الرفو والتسهيم * وطرزه بالمماثلة في الجمع والتفريق * وشمله باتساع رحمته فلا حصر ولا تضييق * استطرد الانشاء عن حكمة لا بالاتفاق * ودلى الارض ورقى السبع الطباق * تنزه عن الاعتراض والتعليل وتقدس عن التشبيه والتمثيل * اذ لا نظير يراعي استتباعه * ولا مقابل له تتغاير اوضاعه ولا سابق يستعان به على الايداع * ولا لاحق يستعير حسن الاتباع * ولا شيء يعاكسه في جمعه * ويتوارد معه في مثيل صنعه * خلق من كل شيء زوجين * واشتق فرائده من أصلين * وانفرد بالجمع والتقسيم بلا معارضه * واسبغ نعمه اقتداراً بلا استثناء ولا مناقضه * واستلفت الخلق الى نعيمه الجزيل * وحذرهم من عذابه بالانذار والتهويل *

واكد الامر بالتوبيخ والتقريع بلا اضمار * وخصص دار كرامته لاهل الاعتراف واضرب عن اهل الانكار * ففضله علينا مطلق تام * مركب من احسان وإنعام * علمنا اختصار الكلام بمحكم كتابه المنزه عن الاشباه * فاقتبسنا من فاتحته البسملة والحمد لله * وعطفنا على من فرق بين الطاعة والعصيان * وحسن في مدحه الاطناب والافتنان * وحصر في جزئي نوره كلي الوجود * واطرد بايضاح تصدير السعود * سيدنا ومولانا محمد من حسن به التخلق من ذاك المجاز * المنزهة بعثته عن الارداف وشريعته عن التعمية والالغاز * فالتزمنا الصلاة عليه والتسليم * وكررناها بالكلام الجامع مع التعظيم * ساجعين بجمع المؤتلف من الآل والاصحاب * ناشرين ما انطوى في بديع هذا الرحاب * فانه عنوان التتميم والتكميل * ونادرة الكون بلا تذييل * لا يتجاهل عارف بتشريعه * ولا يساوي باب مجده شيء في تصريعه * سلب بدينه الحق ما اوجبه السابقون * فلم يوار به معاصر ولا استدرك عليه اللاحقون * ائتلفت في كلامه المعاني والالفاظ * فاوغلت في جمع ما تفرق منه الحفاظ * بتمكين هداه فينا تشابهت الاطراف * فتجرد الشطر المقابل من التفويف والتنويف وتنسيق الاوصاف * لا يمدحنا في معرض الذم متهكم * ولا يفرع على تسميطنا متحكم * ولا يفوتنا في التعريض والتلميح الاحتراس * ولا يستحيل توسيع مجدنا بالانعكاس * فسرّ لنا ما اندمج من كل حد * فائتلفنا وتركنا الهزل بالجد * وعقدنا على سنته الخناصر في كل حال * وتوجهنا اليها بلا انتحال * واخذنا بقوله وموجبه * وتنورنا بكلامه ومذهبه * فقطوعنا به موصول * ومهملنا على كرمه محمول * وبراعة مطلبنا منه مأموله * واشارتنا اليه كناية عن السهوله * تخيرنا دينه بنكتة التعطف بلا توريه * ولا نشبه شيئين بل ولا شيئاً بسنته الزاهيه * فلم يبق لزوم لما يلزم * ولا لتاكيد المدح بما يشبه الذم * ولسنا ممن يهجون في معرض المدح * ولا ممن يرجعون بعد الاختصاص والمنح * مبالغتنا في مدحه ايناس * وغلونا فيه لدفع الالتباس * والتفاتنا الى غيره اغراق * وحكمنا بالتمني والمت اشفاق * وتلطفنا في حذف الغير ونفيه بايجابه * اكتفاء بالاقتصاص عن عتابه * تعديد محاسنه اعجز القوافي بل اللغات * وكيف لا وهو الممدوح بمحكم الآيات * المنزل عليه القرآن *

بالايجاز وحسن البيان * اقسم الله تعالى به في لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون * فانقطع عن المحجة المشبهون * واعترف الكل بنزولهم عن رتبته * وافتخروا بنسبة من يؤرخون بهجرته * فانتظموا في اتباعه بعد الطرد والعكس * وامنوا انقلاب الحال فطابت النفس وصلى عليه الانام بالانسجام * فتمحض لنا ولهم الخير في حسن الختام * فعليه الصلاة والسلام * وعلى آله وأصحابه الاعلام * مادام في الكون نسيم * وأنشد الناس قول النديم

محمد سيد الدنيا وضرتها * به يفاخر من يعزي له ملأه (قومه)
نور ترفع في الاكوان مرتقياً * فجاوز العرش لما بالصفا ملأه
لاباب يدخل منه للحبيب سوى * اهل الصفا الآل فاخصص بالولا ملأه (اشرافه)
واطمع به في رضا الرحمن متبعاً * آثار من يُعظم اللاجي به ملأه (طمعه)
وظن بالله خيراً كله ثقة * فالله للمرء دوماً عند ما ملأه (ظنه)

﴿ ومن بديعيته ﴾

في

﴿ حسن الابتداء ﴾

هذه تسمية واضع الفن ابو العباس عبد الله بن المعتز والمتاخرون قالوا ان كان البيت او السجع سهل المأخذ مركبا من كلمات مالوفة مؤتلفة غير متنافرة بلا حشو مجمولة قوالب لمعنى دقيق مقبول في الاذواق السليمة فهو براعة المطلع وان دخل فيه ما يدل على قصد الشاعر او الناثر الذي لا يعلم الا بالتخلص فهو براعة الاستهلال وقد اخترت تسمية الواضع فعنونت النوع بها وجمعت بينها وبين تسمية المتاخرين في مطلع بديعيتي

وقد مرّت العصور على البديعيين والشراح * وهم يشطحون في الكلام على براعة الافتتاح * ولم يتكلم واحد منهم على فاتحة الكلام القديم * ولا استشهد بها على حسن الابتداء العظيم * مع انها فاتحة العلوم * والرسوم * و براعة الفنون * والشؤن * ومبدا ما حوته النقول * ومطلع بدور العقول * جمعت ما تفرق في القرآن * بالتفصيل وحسن البيان * واشتملت على معظم الانواع البديعيه * والاجناس الكونيه * فهي احسن ما جاء

في حسن الابتداء * واولى ما يستشهد به للاقتداء * وساقدم الكلام عليها على كلام اهل البديعيات * والتزم ذلك في كل نوع له شاهد من الايات * فاقول ابتدا الله تعالى كلامه بقوله بسم الله فقدم الاسم العلم غير المشتق مع ان له اسماء كثيرة غيره تناسب الابتداء كاسمه المبدي والاول والفتاح والبديع ليكون ادل في البراعة على انه تعالى مغاير لخلقه كما انه اسمه مغاير لاسمائهم ووصف نفسه بوصفي الرحمة ليدل السامع بادئ بدء على لطفه وكرمه وعفوه وغفرانه وحصر جميع الكائنات في الصفتين فان الرحمن المنعم بعظيم النعم كالايمان والهداية والتبصر في التوحيد والتوفيق للطاعة ومكارم الاخلاق والاكل والشرب والحركة والسكون والنوم واليقظة والصحة والمرض وغيرها مما هو من لوازم الاشباح والارواح والرحيم المنعم بدقيق النعم كالنجاة والمغفرة والرضوان وغيرها مما هو من لوازم الارواح ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة فانطوى فيهما كل موجود ملكا وفلكا وكوكبا وانساً وجنا ونورا ونارا وروحا وجسما مجردا كان او بسيطا او مركبا او حيوانا او نباتا او معدنا عرضا كان او جوهرا فكلها مجللة بنعمة الايجاد وتقدير الكم والكيف وتمييز الصورة فاذا انتهى السامع من البسملة وتمعن فيما اشتملت عليه علم انه تعالى يستحق الحمد لذاته فلذا قال بعدها الحمد لله واختار الحمد على المدح لان المدح لا يكون غالبا الا قبل الانعام والحمد لا يكون الا بعده فاشعر بذلك انه قضا وقدر وانشاء واحكم وفطر وابدع وحفظ وتكفل وتفضل وتكرم وشمل كل موجود بنعمه الظاهرة والباطنة وقدر امره في النشئتين وفرغ من ذلك قبل خلق الخلق فلم يبق الا ان يحمد على تفضله واحسانه واعاد اسم الذات ظاهراً بعد ذكره في البسملة اشارة الى انه تعالى ظاهر لا يخفى على مخلوق وانما يحجب من اضله وارداه وابعده عن ابواب رحمته فاعمى بصيرته ورنق فهمه وختم على قلبه وليكون الاسم مبدوًا به عند من يرى ان البسملة ليست آية من الفاتحة وحجتنا معاشر الشافعية على انها آية من كل سورة بعد الاحاديث الواردة في الفاتحة ثبوتها في المصاحف العثمانية في اول كل سورة غير براءة ولم ينكر احد من الصحابة على كتاب المصاحف فلو كانت ليست آية من كل سورة لصدق على كتبة المصاحف انهم زادوا في القرآن مائة وثلاث

عشرة اية ليست منه ولا قائل بهذا وقد انقضى عهد الصحابة وجاء التابعون على أثرهم ولم يغيراحد منهم في المصاحف شيئاً ولا انكر على كتبتها اثبات البسملة في اوائل السور ولما خصص ذاته العلية بالحمد اشتاقت النفس لمعرفته بصفاته وآثاره او اراد ان يظهر عظمته وجلاله ومجده وانفراده بتربية العوالم وخلقها فقال ربِّ اي مالك ومربي العالمين اي كل ما سواه من الثقلين وما في الكونين والنشأتين فانطوى في هذه الفاصلة خبر كل موجود وقصته وتاريخ حياته ووجوده بمقتضياته وما ينتابه ويطراء عليه من وجود وعدم وجوع وشبع وظماء وري ومرض وصحة ونوم ويقظة وحركة وسكون وجهل وعلم وكفر وايمان وفقر وغنى وعز وذل ونصر وخذلان وسير وحط وربح وخسارة ورفعة وضعة وضيق وسعة وذكاء وغباوة وفصاحة وعي وجمال وقبح وظهور وخفاء وضعف وقوة وخوف وثبات ونور وظلمة واستقامة واعوجاج وجريان ووقوف وتقابل وتنافر وتناسب وتضاد وتوسط وانحراف وغير ذلك مما هو من شؤن الحوادث فانطوى في لفظ العالمين ما لا تسعه كتب ولا تحصيه كتاب ولا يقدره فكر ولا تحيط به العقول ثم اعاد الوصفين الجليلين الرحمن الرحيم إشارة لاتساع رحمته وعظمها الى حد ان يمحو كفر الكافر وذنب المجرم وان حارباه بالكفر والمعاصي دهوراً واستدل القائلون بان البسملة ليست من الفاتحة بهذين الاسمين وقالوا لوكانت من الفاتحة لكان اعادتهما بعد ذكرهما في البسملة تكراراً وليس كذلك فانه لما ذكر ان البدء لايكون الا باسم الله تعالى ذكرهما هناك دليلاً على وجوب الابتدا باسمه لكونه المنعم بالنعم ولما ذكر الحمد وخصصه بذاته تعالى ذكرهما دليلاً على تفضله لكونه مربي العالمين فجيئهما في الفاتحة لغير ماجاء آله في البسملة فهما من نوع الترديد لامن نوع التكرار الخالي عن المعنى • والى هنا يقف العقل ولا يرى من العوالم غير ما اخبر الله تعالى عنه من العالمين العلوي والسفلي فنبهنا على ان هناك نشئة أخرى هي نشئة الجزاء ان خيراً فخير وان شراً فشر وانه هو الذي يملك هذا اليوم بما فيه ملك انشاء وتصرف كما ملك العالمين ورباهم في دار العمل فقال مالك يوم الدين فانطوى فيه كل ما كان متعلقاً بالآخرة من حساب وخطاب ونعيم وعذاب ورضى وغضب ووزن وعرض وشفاعة فيعلم كل فرد

من افراد العوالم وما عمله وما قاله وما ينتهي اليـه امره من الكليات والجزئيات . والى
هنا انتهى الله تعالى من الاخبار عن الكائنات وطوارئها وما قدره في العالمين والنشئتين
مما لوكان البحر مداداً لحصر كلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفـد كلمات ربي
ولو جئنا بمثله مددا وكل ذلك تم في ثلاث فواصل تشتمل على ثمان كلمات كل القرآن
الكريم تفسير لها وتفصيل وتتميم وتكميل وايضاح وبسط وتذييل ولما كان المقام مقام مدح
التزم فيه الاخبار بالجملة الخبرية لان المدح في الغيبة احلى واكمل واوقع في النفس واقرب
للقبول ولما انتقل الى مقام الدعاء وتعليمه التفت من الغيبة الى الخطاب لانه مقام رجاء
والتماس فقال اياك نعبد أي نخصك بالعبادة دون غيرك والعبادة تستدعي بيان اجناسها
وانواعها واصولها وفروعها والصحيح منها والفاسد والحق والباطل والمقبول والمردود وما كان
من شؤن الانسان وما كان من شؤن الحيوان وما كان من شؤن الملك وما كان من
شؤن الجن وما كان من شؤن الجماد والنبات فانطوى تحت هذه الجملة جميع علوم الاصول
والفقه والتفسير والحديث والتصوف والآلات الموصلة اليها كما انطوى فيها بيان
الاديان وتمييز الحق من الباطل منها وتعريف فرق العالم ومذاهبهم والى هنا يظن العبد
ان الذي يلزمه معرفته والايمان به هو ما اخبر الله تعالى عنه من اول الفاتحة الى هنا وان
ما عدا ذلك من الاقوال والافعال يأتي بها العبد من نفسه فلدفع هذا الظن الفاسد
قال واياك نستعين اي نخصك بطلب المعونة على كل شيء قوليا او فعليا فانتفى عن
ذهن العبد ظنه القدرة على خلق افعال نفسه وثبت لديه انها لا تحصل ولا يتمكن من
الاتيان بها الا باستعانته بخالقه ومربيه المالك في الدنيا والآخرة المتفضل بالخلق والرزق
والنطق والعقل قبل ان يكون له اختيار يبعثه على الاقوال والافعال فكما لا يعبد الا هو
لا يستعان الا به ولما كانت العبادة شاملة لكل ما يسميه الانسان عبادة حقا كان او باطلا
كما قدمنا وكانت العبادة لا يخص بها الا الله تعالى والاستعانة لا تطلب الا منـه
وجب على الانسان ان يطلب الهداية الى الدين الحق منه كما استعان به في جميع شؤنه
فعلمنا كيفية الدعاء وطلب الهداية بقوله تعالى اهـدنا اي ارزقنا الدلالة الموصلة للمعرفة
حتى نسلك الصراط المستقيم المنهاج الواضح الذي لا اعوجاج فيه وهـذا يقضي ببيان

جميع طرق الهداية لتسلك وطرق الغواية لتجتنب وتترك ولا يكون ذلك الا ببيان الاوامر والنواهي والرغائب والزواجر ولما كان كل متمسك بدين يدعي انه على الصراط المستقيم وكان لا بد لنا من معرفة الصراط الموصل الى الحق سبحانه وتعالى قال مبيناً له صراط الذين انعمت عليهم وانواع الانعام كثيرة فان منها نعمة الخلق ونعمة الرزق ونعمة فتق الحواس ونعمة الحفظ من الطوارق ونعمة الحركة والسكون ونعمة الادراك والتمييز وهذه مشتركة بين المؤمن والكافر والصالح والطالح فبين لنا ان المراد بنعمة اهل الصراط المستقيم نعمة الايمان والتوفيق للعمل الصالح وارشدنا الى ذلك بالاستثناء حيث قال غير المغضوب عليهم بسبب معصية اوكفر مع علمهم بالكتب ومهابطها وبلوغهم دعوتهم ثم زاد المستثنى ايضاحا وذيله بقوله تعالى ولا الضالين الذين فسقوا بعد علم اوكفر بعد ايمان بشبهة عقلية او نزغة شيطانية فما قدمته لك تعلم ان علوم القرآن كلها جمعت في الفاتحة بالبيان والتفصيل فانك اذا قرأت سور القرآن سورة سورة وطالعت كتب التفسير وطبقت ما فيها على ما قدمته من التفسير رايت تلك العلوم في الفاتحة وليس في طوق البشر ان يأتوا بفاتحة كلماتها خمس وعشرون كلمة يقصون فيها اخبار السابقين واحوال اللاحقين وشؤن العالمين واحوال النشأتين ويسردون فيها جميع العلوم والمذاهب كهذه الفاتحة الشريفة فانها تنزيل من حكيم حميد ولنأت على بعض ما فيها من الانواع البديعية فنقول، فيها حسن الابتدا وتقدم بيانه وبذكر اسم الذات واتباعه بصفتي الرحمن الرحيم اشتمل على براعة المطلع فان هذه الاسماء سهلة متناسبة مؤتلفة واشتمل كذلك على براعة الاستهلال فان ابتداءه باسم الذات يشير الى انه آله حق خارج عن سلسلة الكائنات موجد لغيره متصف بصفة الوجود والقدم والبقاء الى اخر صفاته الجميلة واتباعه بالرحمن والرحيم اشارة الى انه قابل التوب كثير الاحسان واهب للغفران متفضل بالرحمة كما انه متصف بضدها وهو الغضب والقدرة على التعذيب والبطش والانتقام فاشتملت البسملة او الحمدلة على حسن الابتدا بقسميه وتنسيق الصفات في رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والفرائد في رب العالمين فانه لا يقوم مقامها غيرها والنوادر في نعبد ونستعين فان العبادة والاستعانة مشتهرتان

ولكن لما قرنتا باياك التخصيصية انتقلنا من الاطلاق الى التقييد والالتفات في الانتقال من الغيبة الى الخطاب والاختصاص في رب العالمين اذ لا يشاركه غيره في هذه الصفة والفخر في البدء باسمه وحمده وبكونه رب العالمين ومالك يوم الدين والافتنان فانه امتن على العباد بانه الرحمن الرحيم ثم حذرهم من غضبه وانتقامه بمالك يوم الدين والسجع في مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين والايجاز في جميع فواصلها فان كل فاصلة تحتها معان شتى كما قدمنا والسهولة فان كل الفاظها خالية من الحشو والتعقيد والانسجام فان تركيبها يكاد يسيل رقة والتعريض في غير المغضوب عليهم فانه تعريض بالمصرح بالغضب عليهم في قوله تعالى ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى والكناية في ولا الضالين فانه كناية عن فرق المغايرين للدين و الذين اشركوا ، الزائغين بالشبه العقلية والاشتقاق في الرحمن الرحيم فانهما مشتقان من الرحمة والاستثناء في غير المغضوب عليهم والجناس التام في عليهم وعليهم فان الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية والبسط في اهدنا الصراط المستقيم فقد بسطه بقوله صراط الذين الى آخرها والترتيب في اول السورة الى الدين فانه اخبر عن وجوده الذاتي اولاً وثنى بالعوالم وتربيته لها في النشئة الاولى وثلث بانه منعم بالنعم العظيمة والدقيقة وبالنشئة الآخرة وتوليه أمر الجزاء كما تولى امر العمل في الدنيا وهو ترتيب بديع والابداع فقد اشتملت الفاتحة على خمسة وسبعين نوعاً من البديع والمناسبة في رب ومالك والطباق في الذين أنعمت عليهم وغير المغضوب عليهم والاشارة في رب العالمين ومالك يوم الدين فانه عبر عن أمور كثيرة وشؤن شتى والتمثيل في انعمت عليهم وغير المغضوب عليهم والضالين فانه عبر عن فريق المؤمنين بالمنعم عليهم وعن فريقي الكافرين والمنافقين بالمغضوب عليهم والضالين بغير الالفاظ الموضوعة لهذه المعاني والارداف في واياك نستعين فانه عبر عن نسبة خلق الافعال اليه بما يرادفه وهو الاستعانة به والمجاز في الصراط وصراط فان المقصود بهما الدين الحق وعدل عنه الى الطريق المستقيم والاحتراس في ولا الضالين بعد المغضوب عليهم وائتلاف المعنى بالمعنى فان جميع معانيها متلاصقة بعضها بلا تنافر بينها وائتلاف اللفظ والمعنى وهذا أمر ظاهر لايحتاج الى

بيان وائتلاف اللفظ واللفظ فان كل كلمة من كلماتها لا يقوم غيرها مقامها وحسن البيان فان السامع لا يتوقف في معرفة المعنى ولا يشكل عليه شيء وبراعة المطلب في اياك نعبد واياك نستعين فانه بعد ان تعرف لخلقه بصفاته طلب منهم ان يعبدوه ويستعينوا به و يطلبوا الهداية منه والترديد في اياك نعبد واياك نستعين والصراط وصراط والتفسير في صراط الذين الى آخرها فانه تفسير للصراط المستقيم والاطناب في رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والتنكيت في المغضوب عليهم والضالين فان كثيراً من الالفاظ يقوم مقامها ولكن لا يؤدي المعنى المقصود منها والاتساع في المغضوب عليهم والضالين فان علماء التفسير توسعوا في تفسيرها على اقوال ومعان شتى والتهذيب والتأديب فان جميع آيات السورة مهذبة منقحة خالية من الحشو والتقديم والتأخير والاستتباع في الذين انعمت عليهم المستتبع بغير المغضوب عليهم ولا الضالين والمماثلة في العالمين ونستعين والمستقيم ومراعاة النظير في اهدنا الصراط المستقيم فان الصراط والاستقامة يناسبان الهداية والتدلي في الرحمن الرحيم فان الرحمن المنعم بالنعم العظيمة والرحيم المنعم بالنعم الصغيرة فتدلى من الاكبر الى الاصغر والترقي في غير المغضوب عليهم والضالين فانه ترقى من الشديد في الغواية الى الاشد وحصر الجزئي والحاقه بالكلي في رب العالمين ومالك يوم الدين فانه حصر الانواع والاجناس في كل منهما وجعله جنساً عالياً تحته انواع واصناف فان السامع اذا سمع رب العالمين ومالك يوم الدين ظن انه ربما عبد غيره او استعين به او طلبت منه الهداية فقال اياك نعبد الى آخرها فانحصرت الجزئيات والتحقت بالكليات والعنوان في الذين انعمت عليهم فانه يشير الى الانبياء واتباعهم من بين الخلق والايضاح في بقية السورة بعد رب العالمين والحذف فانه أثبت في السورة حروف المعجم وحذف منها ف ج ش ث ظ خ ز من بين الحروف والتوليد فان الذين أنعمت عليهم كالمولد من قوله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا انما قلنا كالتوليد لان حقيقة التوليد ان يولد الانسان معنى من كلام الغير وليس قبل القديم شيء ولا هناك من يماثله حتى يولد من كلامه فكلامه تعالى يتولد بعضه من بعض والمساواة فان كل الفاظها مساوية لمعانيها

لا تزيد ولا تنقص والتسهيم في ولا الضالين بعد المغضوب عليهم فان من قراء غير المغضوب عليهم وأراد عطف غيرهم عليهم لايجد غير الضالين وحسن التخلص في اياك نعبد واياك نستعين فانه بعد ماذكر اختصاصه بالحمد ووصف نفسه بانه رب العالمين وانه الرحمن الرحيم وانه مالك يوم الدين صار هذا الكلام دخولاً على المقصود من خلق العوالم التي تعرف اليها وهو عبادتهم له واستعانتهم به والتعديد في رب والرحمن والرحيم ومالك والتعرف فانه تعرف لخلقه بانه الاله رب العالمين الى الدين والادماج فانه في إياك نعبد و إياك نستعين ادمج طلبهم الثبات على العقائد وقوتهم على الطاعة وحفظهم من نزغات الشياطين وفي اهدنا الصراط ادمج طلبهم النجاة من عذاب الآخرة وشمولهم بالرحمة والرضوان والاستعارة في الصراط فانه حقيقة في الطريق الموصل الى المقصود وعلاقته هنا المشابهة فان الصراط كما يوصل الى المكان المقصود كذلك الدين يوصل الى النجاة ورضا الرحمن والنزاهة فان غير المغضوب عليهم ولا الضالين هجو عظيم خال من الفاظ الفحش والوقاحة والاستطراد في رإياك نستعين واهدنا الصراط فانه انتقل من طلب الاستعانة به الى ما يشاكله وهو طلب الهداية ثم رجع الى الاول بقوله أنعمت عليهم فان المنعم عليهم هم الذين استعانوا به والاحتباك في أنعمت عليهم والمغضوب عليهم فانه لما أثبت الانعام في جانب الاتقياء حذف الرضوان لدلالة الانعام عليه ولما أثبت الغضب في جانب الفساق والكفار حذف الحرمان لدلالة الغضب عليه فكان النظم هكذا أنعمت عليهم فرضيت عنهم غير من غضبت عليهم فحرمتهم فحذف من كلٍّ ما أثبته في الآخر وحسن النسق في إياك نعبد و إياك نستعين فان الجملتين معطوفتان عطفاً متلاحماً مستحسناً والتمكين في التسجيع بنستعين في مقابلة الدين فان قوله إياك نعبد تمهيد لنستعين فجاءت بعده فاصلة مستقرة في محلها غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بالسجعة قبلها والايغال في الضالين فانه لوختم السورة بقوله غير المغضوب عليهم لكان كلاماً تاماً فاتى بالضالين ليعم الاستثناء في الكافر والفاسق والتقسيم في صراط الذين أنعمت عليهم الى آخرها فان الانسان اما مؤمن أو مؤمن عاص أو كافر وقد استوفت الآية الاقسام الثلاثة فالطائع في أنعمت عليهم والعاصي

في الضالين والكافر في المغضوب عليهم والتكميل في صراط الذين بعد الصراط المستقيم فانه لم يتميز من طريق المغضوب عليهم والضالين الا بهذه الزيادة والتتميم في الرحمن الرحيم بعد رب العالمين فان جملة رب العالمين لا توهم غير المراد فجيء بالرحمن الرحيم لنكتة المبالغة في رحمته من عصاه اذا تاب بالمغفرة ورحمته من كفر به برزقه واحيائه وحفظه الى أجله المعلوم والتغليب في الذين أنعمت عليهم فانه تلميح لفريق الانبياء وغلب على كل مؤمن تشريعاً له بمن تبعه والتأكيد في وإياك بعد إياك الاولى ولزوم مالا يلزم في الدين ونستعين فانه بنى الفاصلة الثانية على الياء والنون كالاولى ولم يبنها على الواو والنون او الالف والنون وتأكيد الذم بالذم في ولا الضالين بعد المغضوب عليهم والاستخدام في الدين فان لفظ الدين يطلق على القضاء والحساب والحكم والقهر والعبادة والتوحيد والاسلام والاستعلاء والذل والمعصية فقال مالك يوم الدين أي القضاء والحكم والحساب ثم استخدمه في التوحيد في قوله إياك نعبد وفي العبادة في قوله وإياك نستعين وفي الاسلام في قوله اهدنا الصراط المستقيم وفي الاستعلاء في قوله انعمت عليهم وفي الذل في قوله المغضوب عليهم وفي المعصية والقهر في قوله الضالين ففي كل جملة ضمير يرجع الى الدين المملوك له بمعنى غير الآخر فاستخدم اللفظ الواحد في سبعة معان وليس ذلك في طوق البشر (واللف والنشر المرتب) فان إياك نعبد راجع لرب العالمين اذ لا يعبد الا الرب وإياك نستعين راجع للرحمن الرحيم اذ لا يستعان الا بمن اتصف بالرحمة والاحسان واهدنا الصراط الى آخرها راجع لمالك يوم الدين اذ لا تطلب الهداية الا ممن ملك أمر المنعم والمعذب (وسلامة الاختراع) فان معاني السورة وكلماتها قديمة لم يسبق الله تعالى سابق بمثلها اذ ليس قبله شيء وليس كمثله شيء (والابهام) في الدين فانه يطلق على الطاعة والمعصية وهو اشارة الى انه تعالى خالق للخير والشر (والاشتراك) في الدين أيضاً فانه مشترك في المعاني المتقدمة وقد ميز كل معنى بفاصلة كما قدمنا في الاستخدام (والاطراد) في لله رب العالمين الى الدين فانه ذكر الاسم الخاص به والصفات المميزة له وليس لله تعالى والد فيذكر بجانب اسمه تنزهت ذاته العلية عن ذلك لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (وتشابه الاطراف) فان افتتاح السورة

بانه رب العالمين يناسبه أن يكون آخرها تقسيم الخلق الى طائع وعاص وكافر وان صح ان آمين من الفاتحة كانت حسن ختام والصحيح انها ليست قرآناً فانها لم تثبت في المصاحف العثمانية فقد اشتملت هـذه الفاتحة المباركة على خمسة وسبعين نوعاً من أعلى أنواع البديع وأغلاها وهذا القدر استخرجته بفكري القاصر وذهني الفاتر وقت الكتابة فلو تأملها خبير خال من الشواغل والمكدرات واعطاها فكره وعقله لرأى بقية الانواع فيها ماعدا التي من خصائص الشعر كالتصريع والتجزئة والتسميط والترصيع والتشريع وغيرها ولم يسبقني سابق من المفسرين ولا البديعيين لاستخراج أنواع الفاتحة فانا بفضل الله تعالى اول داخل لهذا الميدان وفاتح لهذا الباب وليس في وسع العوالم ان تدمج خمسة وسبعين نوعاً في فاتحة قصيرة كهذه فحق لله تعالى أن يقول لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا فقد مضى ثمان عشرة وثلثمائة والف سنة من البعثة المحمدية الشريفة الى عامنا هذا الذي هو عام ستة وثلثمائة والف وهو منتصب للمعارضة وقد تقلبت بين يديه عصور البلغاء وقرون الفصحاء وأيام النبهاء وسنى الحكماء وهو هو حلاوة وطلاوة وبهجة ونوراً مانبغ نابغ في معارضته ولا بلغ بليغ غوص معانيه ولا أفصح فصيح عن شيء يذكر في جانبه بعد الحادة وفرق الخلق وطوائفهم متهافتون عليه على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وكل يلتمس منه حجة او يطلب منه دليلاً ويعارض الآخذ منه به ويرد المخالف له اليه وكل فصيح منه يستمد * وكل بليغ عليه يعتمد * فهو قاموس اللغة وكتاب الحكمة وخزانة العلوم وانموذج الفصاحة فسبحان القادر المبدع الحكيم الممتن على عباده بقوله ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم هو المعجزة الكبرى التي لايخلقها مر الدهور ولا يبليها توالي العصور وحي حق وكلام صدق لاهو من الشعر ولا الشعر منه ان هو الا ذكر وقرآن مبين

في معاملة الوالدين

اعلم أيها الانسان ان أباك من وضعك في رحم أمك وأمك من حملتك ومن أرضعتك معها ولوالديك حقوق واجبة عليك منها شرعية ومنها انسانية ومنها كمالية نمزجها اليك مرتبطة ونقدم لك عليها مثالاً تتدرج به الى معرفة مقامهما ثم نردفه بما لا بد منه من واجباتهما اذ الاستقصاء يملك و يرجعك الى مقام التقصير او الترك بالكلية . تعلم ان مظهر حياتك يقضي عليك بركوب اصعب الطرق واسهلها في مقتضياته وضروراته ومن مقتضياته حوائجك عند الناس فنفرض ان قد عنت لك حاجة عند أمير فاذا نظرنا في معاملتك له حتى تصل اليه وتحصلها رأينا انك تبذل نقدك وسعيك في تعرف اتباعه والوصول اليهم وتستعمل جميع الوسائل التي تراها واجبة لهم من تقبيل ايد او ارجل او اعتاب او اطراف ثياب وتتكلف الادب والخشوع والخضوع وتظهر أحسن الطاعة والانقياد وتتضرع بعبارات المسكنة والاحتياج والذلة وتلهج بكلمات الثناء والمدح والغلو في الاطراء ولا تزال بهم رجاء واستعطافاً حتى تتمكن منهم وتطلب الوصول الى الامير فاذا أجبت لبست أحسن ثيابك وأصلحت شعث ذاتك ودخلت ساكتاً غاض الطرف مطرق الرأس ووقفت صاف القدمين واليدين ساكناً ثابتاً فاذا حييته بما يهوى واذنك بالجلوس جلست على بعد منه على اطراف البيك ان كنت على كرسي او على ركبتيك ان كنت على الارض مفروشة او غير مفروشة ثم تجرد قلبك وفكرك من كل الشواغل وتحصر الوجود ومظاهره في ذاته وما يلقيه عليك فاذا سألك خفضت صوتك في الجواب واوجزت لفظك وتحريت الفاظ التعظيم وعبارات الاحترام وتوقيت الكذب وسقط الكلام والاطناب في العبارة وعبرت في جانبك بالعبد الذليل وفي جانبه بالسيد الامير فان نسب اليك قولاً بديعاً او عملاً جميلاً اعدته اليه وجعلته مصوره ومرجع فضله وان اعتذر اليك عن سقطة من سقطاته نسبتها اليك وبراءته منها والتمست له مسوغات من كلام أهل البدع والضلالات فان تحرك وهو جالس اسرعت بالقيام فلا تجلس حتى يعاودك الاذن

وان قام مشيت خلفه وجعلت قلبك وسمعك وبصرك وقفاً على حركاته وسكناته
لايصرفك عنه صارف فان أعطاك ماطلبت وكان حقاً لك قبلت الارض والاقدام
والاطراف وجعلته من فضله واحسانه مع عدم استحقاقك له الا بعنايته ورعايته وخرجت
حامداً شاكراً مثنياً بعبارات تعليه بها الى حيث ينتهي التعظيم وان منعك ماهو لك
جعلت ذلك من عدله وقبلت الارض والاقدام وانت تطريه بانه من الخلفاء الراشدين
والأئمة المقسطين وخرجت متقهقراً لايفتر لسانك عن مدحه حتى تغيب عن نظره
ويعود اليك حسك وادراكك بالكائنات غيره ثم لاتنطق بكلمة قدحاً فيه او في عمله
لو ساءلك سائل على ملتقاك معه وتكل الامور الى المقادير وتيسير الله تعالى بعد
انقطاع وسائلك التي انصرفت بها عن جانب الحق سبحانه وتعالى فاذا كان هذا شأنك
في معاملة رجل لايملك لك ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا فضل له
عليك في ايجاد او تربية او خدمة فما بالك بمن كانا واسطة في انتقالك من العدم الى
الوجود بعد ان كنت لاذاتاً ولا ذكراً وسبباً في تاهلك لمظاهر حياتك التي منها حاجة
هـذا الامير من لذائذ المتناولات والمدركات والمملوكات اظنك لو تفكرت فيهما اقل
فكر لعلمت ان الله تعالى جعل في مباضعتهما اسراراً لايحتملها عقلك وانزلهما منزلة ليس
فوقها منزلة من منازل الفضل اذ أودع في ماء الاب سر التصوير والتخطيط والتشكيل
وفي رحم الام سر التطوير والتكوين والتنمية. وخالف بك في مجيئك من ظهر أبيك
وصدر أمك واسكانك في رحمها ليجعل لك مدبرين أحدهما في شدة تمنعك من البهيميات
تناسب شدة الظهر وصلابته وثانيهما في رحمة تمنع عنك ماتلقاه من شدة الآخر تناسب
رقة البطن ولطف الترائب وتربيتك بين الاحشاء بخلاصة من خلاصات غذائها فاذا
احللتهما محلهما علمت انك لو صرفت عمرك في خدمتهما والانفاق عليهما وانصرفت عن
لذائذك ومالوفك وانقطعت عن الخلق. وتلهيت بهما عن مظاهر الدنيا وزينتها
وحصرت رجاءك في رضاهما واملك في استعطافهما وعملك في مرضاتهما. وجعلتهما بين
عينيك في حركاتك وسكناتك ويقظتك ونومك وجعلت جفنيك وقاية لهما واسكنتهما
في محاجرك بدل مقلتيك ما قمت بواجب من واجباتهما ولا قضيت فرضا من

فروضهما لوجود الفارق العظيم بين فعلك معهما وفعلهما معك فانهما كانا يسهران بسهرك ويحزنان لبكائك ويتنازلان اليك من مقام العظمة والاعتبار الى مقام الطفولية ليوانساك بما تهوى ويسلياك بما تحب ويخاطباك بما تألف ويداعباك بما تريد ثم يميطان عنك الاذى بلا استكراه ولا انفة بل يغنيانك بما يطربك ويسرك ويبهجك ويغسلان ادرانك وهما يلاطفانك بالمسليات والمضحكات فان غضبت ضحكا او تضاحكا ليصرفا عنك غضبك وقربا اليك ماكولا او مشروبا او العوبة فاذا مرضت قامت قيامتهما وكان الملك بعض آلامهما بك وتاوهك سهاما نازلة في افئدتهم وانينك خناجر متسلطة على احشائهم وتغيرك من حال الى حال نيرانا مشتعلة في اعضائهما وتقلبك من جنب الى آخر تقلبيا لهما على جمر لا يطفئه الا شفاك ثم يصرفان النفس والنفيس في خدمتك ومعالجتك وينقطعان عن الطعام والشراب الا ما يحفظ الحياة الضعيفة بضعفك ويتركان الزينة واللذائذ والمشتهيات وينسيان الضحك واللعب والانس والسرور ويلزمان البكاء والنوح والتضرع الى الله تعالى فان سمعا شيا مما كان يسرك من الات الفرح كزمار او طنبور او الات موسيقية هاجت اشجانهما والتهبت نيران احزانهما وتذكرا ما كنت تفعله عند سماعك لها ثم لا يزالان في غم دائم وهم متراكم حتى ترزق الشفاء وتعتدل صحتك هنالك تصفو حياتهما وتنشط اعضاءهما ويعود لهما الحس والادراك ويعملان ليالي الافراح والتهاني . فان اساءك احد اجتهدا في القصاص منه باشد مما فعله معك ولوكان في ذلك نفاد حياتهما وازهاق روحهما فاذا ترعرعت اخذا في نقلك من البهيمية الى الانسانية بتعليمك اللغة وتعويدك على الحركة وارشادك الى النافع وتحذيرك من الضار واخذاك معهما في المجالس والجامع ليدرباك على معاشرة الناس ويعوداك على الالفة والاستئناس بهم ولا يزالان كذلك ينقلانك من حالة الى اخرى مع فرط المحبة والاجتهاد في الخدمة والنظافة واستحضار ما يعجبك وتانس به حتى تتم لك المبادئ الامية اذ ذاك تذهب الى المهذب الادبي والمعلم الصناعي ليكون ادبك وسيلة الى الفضيلة وصنعتك سببا في حصول المسبب عليها من الارزاق المقسومة فاذا انتهيت تعلما ساعداك على ما تتعاطاه من تجارة او زراعة او صناعة او خدمة

لا يقصران في صرف ما يحفظ مظهرك ويوصلك الى غايتك ولا يملان من خدمتك كبيرا ولا يشكوان من الصرف عليك فاذا قلت ثروتهما باعا حليهما واثاثهما في تربيتك وتسهيل طرق معاشك فاذا بلغت مبلغ الرجال عمدا الى احسن بيوت الشرف وبنات الفضل المماثلات معهما واختارا لك احبهن اليك واليقهن بك وصرفا نقدهما في افراحك وانتقلا من خدمتك فريدا الى موالاتك مزدوجا وكلما كبرت من سن الى اخر كبرت محبتك عندهما فتشيخ وتهرم ومحبتك بين جوانحهما فتاة غضة الشباب نضرة المحاسن لا يغيرها تحول جلدك ولا بياض شعرك ولا تغيير محاسنك ولا يضعفها وهن جسمك ودقة عظامك وثنى جلدك وارتخاء اعصابك . فاذا كنت من ذوي اليسار والثروة ومنعتهما من الكسب والسعي معك تجدهما يدخران لك بعض ما تعطيهما من نقد وحلى ويصرفانه عليك عند عوزك ومع تقاعدهما عن الكسب فانهما ينتقيان بعضاً مما تستحضره لبيتك من فاكهة ومطعم ومشرب لوقت يقدمانه لك فيه عند عدمه ويتعهدان بيتك وحرمك وخدمك ويحرصان على ان لا تقع عينك على مستقذر ولا تسمع اذنك ما تكره ولا يشم انفك ما يستقبح فاذا نكبت بنكبة عجزت الاقلام عن شرح ما يحل بهما وحارت الافكار في تصوراكدارهما وكفاهما شرفا ومجدا وفارقا بينك وبينهما انهما كلما كبرت تمنيا طول حياتك وانت كلما كبرا تمنيت قرب وفاتهما وشتان بين المقامين ولا جامعة بين الامنيتين فاذا علمت عبارتنا هذه وتحققت معانيها أدركت سر قولنا لا تقوم بواجب من واجباتهما ولا فرض من فروضهما وحيث كان مقامهما في اوج لا ترتفع اليه خدمتك لهما بالغة ما بلغت وقد قرن الله طاعتهما بطاعته في قوله عز من قائل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ودفع عنا المشقة العظيمة في عبادتنا له تعالى بقوله فاتقوا الله ما استطعتم كان علينا ان نأتي في جانب القسم الآخر بقدر الاستطاعة وحدها السعي في مرضاتهما والبعد عما يغضبهما وشرح هذا الحد موجزاً ان لا تعصى لهما أمراً الا في المحرمات الشرعية فاذا امراك بانتهاك حرمة فلا تطعهما اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق جل شأنه واذا امراك بامر فيما يختص بدنياك ورأيت انه سيئ العاقبة تلطف في صرفهما عنه وفهمهما المانع

والعائق والمترتب عليه بلطف واذا هماً بفعل أمر تراه ضاراً بهما او بك او بكم فاصرفهما عنه كذلك باحسن عبارة خصوصاً اذا تقدما في السن فانهما يصيران كالطفل يغضبان ويرضيان باقل موجب واذا كنت تنفق عليهما تعهد محل نومهما ومأكلهما ومشربهما وملبسهما فربما كانا في ضيق من أهل بيتك وفرط محبتهما لك يمنعهما من تكدير افكارك بالاخبار عما يريانه من التقصير ولاتخرج من بيتك حتى تستعطفهما وتطلب دعاءهما لك ولا تبدأ أحداً من أهل بيتك وخدمك وولدك عند دخولك قبلهما وخصهما بوقت بعد وقت تجالسهما فيه وتلاطفهما وتستشيرهما في مهام بيتك وتعرض عليهما نوازلك ان كان من ذوي الافكار واذا ادخرت شيئاً عند حرمك فاخبرهما به جنساً وقدراً واحذر ان تطيل لسانك عليهما بشتم او زجر او تقبيح لعمل فان ذلك من اكبر الكبائر في حقهما وتأمل قول الله تعالى ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً تعلم ان الله تعالى فرض علينا في آدابهما اجل الفرائض وقضى لهما باعظم الدرجات ثم تأمل قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة تعلم ان ماضربناه لك من مثل الامير لايذكر في جانب هذا الامر الكريم اذ جعلهما فوق درجة الملوك فضلاً عن الامراء ولم يقل في جانب أولياء الامور جناح الذل كما قال في جانبهما وما ذاك الا لكونهما في مقام ليس فوقه ما يدانيه فضلاً عما يماثله . فان كانا من ذوي الكسب وكنت معهما في بيت واحد فاشركهما فيما تكتسبه وما تأكله وما تشربه وما تلبسه وان كانا أسبق منك الى هذا الفعل بفرط محبتهما ولا تخبأ عنهما شيئاً من كسبك ولا ترد عليهما ما اختاراه لك من أمور المعاش ولا تكلفهما الانفاق معك على اخوانك واحبابك ومجالس أنسك ومجالب لذاتك وان كانا مستقلين في بيت آخر فاجعل مودتهما وزيارتهما في الصباح والمساء فرضاً تقوم به قبل كل فريضة ومدهما بما يزيد عن ضرورياتك ان كان من ذوي الكسب فان كانا معدمين وجب عليك ان تزيدهما اكراماً وانفاقاً وتعظيماً عما اذا كانا في بيتك لتأثرهما ببعدك عنهما فاذا مرض أحدهما فلا تؤخر مجهوداً في خدمته والانفاق عليه ومعالجته ومؤانسته وتسليته حتى يشفى وهو مسرور منك او يرتحل وهو راض عنك فان ارتحلت من بلدهما فلا تقطع مراسلاتك

عنهما واتصال مبراتك والسؤال عنهما وعن شأنهما ومعاشهما وان سافرت بهما من مكان الى آخر فلا ترتكن على الخدم والاتباع وخصهما بالخدمة ومراقبة أحوالهما ومؤانستهما والقيام بضروريابهما حطاً وترحالاً وان وقعت أمك تحت غير أبيك او اقترن أبوك بغير أمك فلا يمنعك عن القيام بما قدمته لك هذا العارض بل يجب عليك ان تزيد في اكرام من تراه منهما على هذه الحال اكثر مما كان عليه حال الاجتماع فانه في مظنة نفورك منه وبعدك عنه فاذا وددته وبررته ببعض ماتقدر عليه زاد عطفه عليك واشتدت محبته لك وعظم رضاه عنك فان الام لاتقع تحت غير أبيك الا وهي تريد ان تعتصم به عما يشين مجدها ومجدك والاب لا يقع على غير أمك الا وهو يريد ان يعتصم بها عن وصمة الرجال ومؤاخذة الشرع ومسقطات الشرف وليس شيء من هذا ضاراً بك او مسقطاً لقدرك او مزريا بشرفك فلا تقلد الجهلاء في عقوقهم أحد أبويهم ان خالف قرينه بقرين آخر بعد مفارقة الاول بموت او حياء فان كنت من سلالة آل البيت النبوي الطاهر وجب عليك ان تزيد على ماقدمته لك ماكان عليه السبطان الشهيدان الاكرمان مع والديهما امام المؤمنين والزهراء البتول فقد كانا لايجلسان بحضرتهما الا باذنهما ولا يتكلمان الا اذا اذنا أو سألهما أحدهما ولا يرفعان صوتهما الا بقدر ما يفهم الكلام وكان مولانا الحسن يتحاشى الاكل مع والدته الكريمة خشية ان يتناول لقمة وقع اختيارها عليها ومولانا الحسين يؤاكلها ليقدم لها الطعام ويهيئ لها اللحم بفصله من العظام وكانا لايدخلان عليهما بغير اذن فان كانا في مكان غلق بابه تحاشيا القرب منه حتى يخرجا ويصبان عليهما ماء الوضوء مع وجود الخدم ولا ينامان الا اذا ناما ويستيقظان قبل ان يستيقظا فاذا مرضت الخادمة ساعدا امهما في الطحن والعجن والخبز وكنس البيت وتنظيفه وحلب الشياه والاعنز وعلف الخيل والابل وربما منعاها العمل رأساً اذا كان فارغين من الاعمال الخارجية عن البيت وما رويا في مجلس قط مساويين لابيهما في الجلوس ولا سارين بجانبه في طريق ولا راكبين وهو راجل ولا متكلمين في مجلس لم يأذن لهما بالكلام فيه وكانا يعتبران خدم والديهما كما يعتبرانهما فلم يشتما ولم يضربا خادما او خادمة لوالديهما بل كانا

اذا مرض أحد الخدم قاما بخدمتـه وقضاء أوطاره وما دخل أحدهما على احدى نساء أبيه في خلوة قط وان كانت ظاهرة لمن في البيت ولا سرح طرفه في وجهها ولا اتبعها نظره اذا مشت امامه ولا تتبع افعالها في بيتها الخاص بها ولا خاطبها الا بالفاظ الحشمة والاعتبار والتعظيم ولا نقل أحدهما كلاماً عنهن الى أبيه أو أمه فاذا غاب أبوهما الكريم الاكرم قاما بخدمة أهل بيته وصيانتهم وكفالتهم وحراستهم وصرفا عنايتهما في مرضاته حتى يعودوهما على أحسن حال من الخدمة ورعاية أهله وتعهد مملوكاته من خيل وابل وغيرها ولقد ضحك عبد الله بن عمر رضى الله عنهما في مجلس أبيه وهو رجل كبير فقال له مولانا الحسين ان فيك جاهلية من جاهلية العرب كانوا لا يتحاشون الضحك في حضرات آبائهم فقال له سيدنا عمر من لم يتأدب بآدابكم معاشر بيت النبوة فهو في جاهلية ولم ير عبد الله ضاحكا في مجلس أبيه بعد ذلك اليوم مع كونه هو هو قدراً وعلماً ومقاماً في رجال الامة اذ هو من الطراز الاول رضى الله عنه وانظر الى أدب السيدة أم كلثوم بنت الامام عليهما السلام والرضوان حيث دخل سيدنا عمر بيت الامام وهي صغيرة فاستدعاها أبوها بحاجة ثم بحاجة أخرى فقالت لابيها ما لعمر يحملق في اذا أقبلت ويتبعني نظره اذا ادبرت وانا صغيرة رُسُلٌ (أي لم تبلغ مبلغ الاختمار بالخمار كالنساء) فقال لها أبوها انها نظرة خطبة فألوت بوجهها وقالت مالكم تردون علينا ما هو لكم ونحن لا نحسن القيام بأمرنا ان في عمر لعفة وديناً لولاهما لنقمت عليه ثم ولت ولم يرها حتى دخل بها بعد فتأمل حرصها على مجدها في ملاحظة حال الضيف معها وانظر اعتذارها عن دخولها في مجلس الرجال بانها طفلة لم تبلغ مبلغ تحريم الاختلاط وتدبر قولها لابيها مالكم تردون علينا ما هو لكم من ارجاع الامر لابيها في اجابة سيدنا عمر او منعه واشطح بفكرك في قولها ان في عمر لعفة وديناً تدرك معنى اعترافها بكفاءته لها ثم تأمل قولها لولاهما لنقمت عليه ولم تقل لرددته تعرف قدر أدبها في حق أبيها وحق عمر ولا غرو ان أخذنا الكمالات الانسانية عن أصول بيت النبوة وفروعهم فان كنت ايها المريد شريفاً ورأيت نفسك تأبى مجاراة آبائك في آدابهم فاعلم انك دخيل في النسب لا وصلة بينك وبين من انتسبت اليهم الا بالدعوى

والشقشقة وان صحت نسبتك كنت عاقاً مغضباً لآبائك الاعلين فان احق الناس بمتابعة الآباء ابناءهم وهناك آداب للسبطين واخوتهم سادتي وموالي محمد بن الحنفية ومحمد الاصغر والعباس وجعفر وابي بكر وعبد الله عليهم السلام والرضوان تركناها لعدم احتمال قواك لها وحسبك ماقدمته انموذجا مختصراً لا يصعب عليك القيام به . واعلم ان فطرة الله تعالى قضت على الام بكراهة زوجة الابن ومحبة زوج البنت بحيث لاتملك الام شيئاً من ذلك مهما كانت قانتة مهذبة ممتلئة حكماً وآداباً الا ان المهذبة تصابر الكره وتصانع الايام ولهذين الامرين سر غامض نشرحه لك لتعذرها وتحذر مما يترتب على امرها وهو ان الام كما قدمنا شديدة المحبة لولدها تحب له الراحة ودوام الصحة وبضاضة الجسم وزيادة القوى وتكره من يؤذيه اويجلب عليه شراً أو يتسبب في ضعفه ووهن جسمه أشد الكراهة وهو اذا تزوج تحمل اتعاب العمل ومشاق الكسب سعياً على زوجته وصرف ما يكتسبه عليها وفي مرضاتها ثم يضعف ضعفاً بيناً بالمباضعة ويسقم ويمرض وكلما صرف حياته في مرضاة زوجته أحبته بقدر كراهة الام لها فاذا تأخر عنها قلته وهجرته حتى يعود اليها فالام تكرهها اشد الكراهة فطرة وجبلة لكونها مضيعة لصحة ولدها مجلبة لمرضه مذهبة لماله متلفة لحياته فلوعالجت نفسها بكل علم وادب ما ملكت من امرها الا مظاهر العقل من المصانعة وابداء الكلام في معرض النصيحة مع التهاب احشائها بنيران العداوة وهي مع زوج البنت على التضاد فان مايفعله ولدها لزوجته يفعله الزوج لبنتها فهي تحب من يرضي بنتها ويجري ويكتسب لينفق عليها ويلاطفها ويؤانسها ويداعبها ويواصلها بما تموه به اعضاءها وتدوم به صحتها فهي لاتملك نفسها في محبته تبعاً لمحبتها لبنتها . وزوجة الابن تكره الام لكونها حجاباً مانعاً بينها وبين تصرفها في ولدها وماله فهي ترى انها لايتم لها التمتع والاستبداد بامر البيت والرجل الا اذا فارقت الام بموت او حياة فاذا علمت ذلك وتحققته وجب عليك ان تكذب زوجتك في كل ما تنقله عن أمك وان كانت صادقة فانها ان صدقت في كلمة ضمت اليها كلمات ولا تطعها فيما تأمرك به في شأن امك فانها لاتريد الا ان تمكر بك وبامك حتى تمكن العداوة بينكما فتقلو امك او تهجرها

او تطردها كما يفعل الفساق واهل البهتان حتى يصفو لها الوقت معك ولا تجعل لزوجتك سلطة في بيتك تمس حقوق امك بل اجعل الامر والنهي والحل والعقد والترتيب تحت امر الام واذنها فلا تكون الزوجة الا خادمة مطيعة فالهلاك كل الهلاك في بيع النعيم الابدي بلذة برهة يعقبها تعب وامراض وتأمل قول صاحب الوجود صلى الله عليه وسلم جعلت الجنة تحت اقدام الامهات تعرف مقدار ما اقدمه اليك وما اسرده عليك ولأن تفارق كل يوم زوجة في مرضاة امك خير لك من ان تغضب امك لحظة من عمرك في مرضاة زوجتك فانك اذا فارقت الزوجة وجدت بدلها زوجات ولكنك اذا فارقت امك لاتجد لك اما غيرها والعاقل يحرص كل الحرص على مالا بدل له فاذا رأيت نفسك ايها الانسان متمكنة من ضبط ظواهرها وبواطنها في جانب والديك مستعدة للقيام بما قدمناه من معاملتهما كان لك ان تتقدم بين يدي استاذ عارف وتأخذ عنه والا فولنا ظهرك فما انت الا مغضوب عليه ومحال ان ينتفع مغضوب عليه باستاذ او طاعة فليست رغبتك في سلوك طريقنا اشد من رغبة غلام شاب في الجهاد في سبيل الله تعالى لاعلاء كلمة دينه حيث جاء للنبي صلى الله عليه وسلم شاب يستأذنه في الخروج معه الى الغزو فقال له استأذنت امك قال لا فقال له اذهب اليها فان اذنتك والا فقر في بيتك ولم نطل عليك الفصل بذكر الوعيد المترتب على عقوقهما والاحاديث والاقاويل الواردة في ذلك اكتفاء بحكم واحد هو ان الله تعالى يغضب لغضبهما ويرضى لرضاهما فاذا سعيت في اغضاب الله تعالى عليك فكيف تدعي انك تريد الوصول اليه وكيف يوصلك وهو غير راض عنك وقد نصحتك وعرفتك طريق الهدى فخذ اودع كلامنا للموفق والله يحفظني واياك من خطرات القلوب وسلطنة الشهوات

في معاملة الاخوة والاخوات

اعلم ايها الانسان ان اخوتك واخواتك من جاءوا معك من والديك او من احدهما والسير معهم في طريق المعاش وفتح البيت كالسير مع القانون العادل فكما ان المملكة تخرب

بضياع القانون والامة تتفرق بترك احكامه كذلك البيت يخرب بترك الوصلة الاخوية والعائلة تتبدد بترك احكام الشريعة والانسانية وانت محتاج الى قانون تسير عليه في حق اخوتك واخواتك فلخص لك انموذجا تقيس عليه لا يخلو اما ان تكون اكبر اخوتك او اوسطهم او اصغرهم فان كنت الاكبر كنت في مقام الاب في تربية الاصغر وتهذيبه ومراقبة حركاته ورده عن المنكرات والرذائل وهديه الى المحاسن والكمالات ووجب عليك ان تخلع نفسك من دعوى المشاركة لهم في البنوة ومقتضياتها فلا تغالب الصغير على امر بدعوى الاشتراك ولا تهمله في التربية ارتكانا على والديك فقد كانا يدا واحدة في تربيتك وبوجودك صرت لهما يدا ثانية يستعينان بها على مظاهر حيلتهما فيجب ان تصرف نقدك معهما في تربية اخوتك وتنتقي لهم احسن المؤدبين واكمل المؤدبات وتختار لهم احسن الصنائع وألطف طرق الكسب وترعاهم صغارا وكبارا حتى يبلغوا مبلغ الرجال والنساء وانت بينهم كالوالد الرحيم تصلح المتخاصمين وترضي الغضبان وتبر المحروم وتساعد المعدم وتعول الضعيف وتمون المريض فاذا صاروا ذوي كسب كنت رقيبا عليهم حافظا لنظامهم مؤدبا للشاذ منهم فاذا صاروا ذوي زوجات كنت خفيرا لهم على حرمهم معلما لاهل بيتهم متعهدا حالة بيتهم ناظرا في امر معاشهم قاضيا في امر دعاويهم منفذا في تأديبهم مرجعا لشكواهم ملجأ لعياذتهم ولا تصل لهذه المكارم الا بخلق حسن ولين طبع وسلاسة عبارة ودوام تبسم وعظم رحمة وكبير محبة فانك صرت اماما مقتدى بافعاله بين العائلة فان اساءت اخا قلاك وابغضك وان شتمته سكت لك في الاولى واعادها عليك في الثانية وان ضربته بغير ذنب او افرطت في ضربه جرأته عليك ومكنته من النفرة والعزلة وعقوقك وعقوق والديه وان اختصصت بامر دونه غرست الحقد في باطنه وجعلته رقيبا عليك منتقدا لافعالك معترضا على اعمالك وهذه امور تجر بكما الى منافرة الوالدين واغضابهما فانهما اميل للصغير واحرص على مرضاته بفطرتهما ويجب عليك ان تتبع احوال اخواتك وتتجسس على افعالهن في خلواتهن وتتفقد النساء الداخلات عليهن من الجارات او باعة الحلي او الطيب او الملبس فكم من ذات شرف في بيتها غرتها دخيلة واضاعت شرفها وكم من مخبأة مخدرة اخرجتها عجوز مترددة عليها او جارة توسل بها احد

الفساق وكم من مؤدبة نقلتها الجارات الى طباعهن السوء بالتقليد والمجاراة فلا تأذن لذات ريبة بالدخول في بيتك ولا لمستهترة هازلة فمن لا حياء فيها لا خير فيها بل الشركله في قربها ومجالستها فاذا خطبت فلا تجب كل خاطب حتى تعلم اصله وكسبه وسيرته في نفسه واهله ولا تغتر بذوي الاموال والبيوت العائلية فكم من عظيم يترك بيته ويدور في بيوت البغايا وكم من ذي شهرة في الظاهر لا يساوي زبالا في غيرته ومعاشه وكم غني يضن على نفسه بالطعام فضلا عن غيره ونساءنا معاشر الشرقيين ممن ضرب عليهن الحجاب وفسدت تربيتهن كما ستراه في معاملة الابناء ان شاء الله تعالى فاذا لم يكن الزوج كفوا للقيام بها جلبت عليك العار بفساد اخلاقها وشغلتك بكثرة شكاويها وكدرتك بالحاحها وطول بكائها ثم ساعد والديك في جهازها وحملها ومتعها بما تقدر عليه واخلص لها النصيحة والموعظة والوصية التامة وتردد عليها في بيت زوجها بالزيارة والمبرة لتعظمها في عينه وتخيفه من سوء معاملته لها وكن لها عضدا في نوازلها فانها ممنوعة من مخالطة الرجال ومعرفة الحاكم فلا تنصر زوجها عليها في غير حق له ولن في تهذيبها لين الافعى حتى تجرأ عليك وتنقل عنك فان ساءت العشرة او الادب فانهسها نهس الافعى حتى لا تمادى في فعلها . وان رأيت احد اخوتك على امر لا ترضاه فلا تشدد النكير عليه بل استحضره امامك في خلوة وعظه واضرب له الامثال بمن عمل عمله وخسر وعلمه الاحكام الشرعية فيما يأتيه من الاعمال فان لم يرجع فاجعل كلامك له مع ابويكما وشدد عليه شدة لا تنفره واردفها بمدح ما كان عليه قبل والثناء عليه لو جاراك في ادابك وصله بمبرة تخجله منك وتنسيه صعوبتك عليه وسلط عليه امه تنهاه وتنبهه على مكارمك معه واوعز الى ابيك ان يحضه على اطاعتك واتباع اوامرك فان لم يرجع فاجعل الكلام معه بين اخواتك الصغار والكبار ومثل باصغرهم في ادبه وكماله واكثر من الثناء عليه والاطناب في مدحه وبر الاصغر مبرة تحول فكر الخارج الى مثلها واهجره في الكلام وجانبه في الجلوس حتى تتحرك فيه الحمية ويثور فيه دم الحياء والخجل ويرجع اليك مستعطفاً خاضعاً اذ ذاك قبله بين عينيه واذكر له ماخشيته عليه من عمله وما كانت تؤول اليه عاقبته وبره براً واسعاً وعده بانك تزيده احساناً كلما زادك متابعة لآدابك

وهكذا تسوس الاخوة والاخوات وإياك إياك والضرب المبرح فانه مفتاح الفرقة وداعية العداوة وان وقع احد اخوتك في شدة اونكبة فكن له عضداً ما مكنتك الفرصة واخلفه في بيته ان كان آهلاً بالانفاق والزيارة والحياطة والرعاية وتفقد الاحوال وان كنت اوسط اخوتك فانظر لبر الاكبر لوالديك وقلده فيه وانظر لمعاملته لك وقلده فيها في معاملة الاصغر . وان كنت الاصغر فلذ بالاكبر ليإذك بابويك وقدم له كل ما تريده وما ينزل بك واحرص على التأدب في حضرته فلا تنتقص اخاك الذي نافرته ولا تنافر اخا امامه ولا تعصه اذا أمرك بامر لاصلاح شأنك ولا تتجسس عليه في بيته ولا تتعرض لحرمه باهانة او تحقير او تنغيص ولا تنقل اليه عن حرمه امراً لاحقيقة له ولا تدخل عليه في خلواته ولا ترتفع عليه في المجلس ولا تساوه في مكان لم يأمرك بالجلوس فيه ولا ترفع صوتك بحضرته رفعاً فاحشاً ولاتجلس بين يديه ماداً رجليك ولا تضحك بغير سبب وليكن ضحكك تبسماً فان غلبك فليكن لطيفاً بغير تقهقه وشخير وانظر معاملته لوالديك وقلده فيها في حقهما وحقه وان دخل عليكم اجنبياً فكنت انت واوسط اخوتك خدما بين يدي الاكبر متمثلين باحسن الآداب وأكمل الصفات وانظف الثياب وكونوا لامره اطوع من نوعه وفي قضاء حوائجه اسرع من الخادم النشيط فان دخل بكم مجلساً فقفوا عندما يحدده لكم من الوقوف والجلوس والكلام والحركات ولا تحدثوا بين يديه ماينغصه منكم او يزري بمقامه بين امثاله

وظائف العلماء في العالم

من نظر الى العلماء ووظائفهم في العالم حكم بان الكون السفلي ما خلق الاله ولاعرف الا بهم ونريد بالعلماء كل ذي علم ينتفع به في شيء مخصوص لاخاصة المعلمين والمدرسين واول العلماء قياماً بوظائفهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم فتحة باب العلوم النافعة وعندما نيط بهم النظر في شؤن العالم والقيام بدعوة الناس الى الصراط المستقيم جدوا في طريق الافادة واجتهدوا في جذب النفوس اليهم بالرفق واللين وحسن الخلق وجميل المعاشرة فلا ينوا الاغنياء ولاطفوا العظماء وجالسوا الضعفاء وماشوا الفقراء

ونصحوا العبيد والاحرار ووعظوا العقلاء والاغرار وصبروا على مشاق المعارضة والمجادلة وتحملوا ألم التكذيب والتعذيب ولم تقعدهم رعود التهديد والتأنيب عن بث دعاويهم التي انتصبوا لنشرها في معاصريهم وقد تجافت جنوبهم عن مضاجع الراحة فما اخلدوا الى الرفاهة ولا مالوا الى اللذائذ البدنية ولا اشتغلوا بجمع الذهب والفضة ولا اعتنوا بكثرة الاثاث والاوعية بل ظهروا فقراء وعاشوا فقراء وماتوا فقراء عن زهد وورع لا عن قلة وضنك حال فان هداة العقول غنيمتهم جذب النفوس وحظوظهم اخذ السامعين بدعوتهم ولذائذهم في تكوين العصبيات وتوحيد الكلمة وتطهير عنصر الجامعة الدينية والملكية من خليط التفريق وامشاج الاهواء . وقد قضوا أدوارهم العظيمة في تعب وعناء وانتهى بهم الامر الى ظهور الحكماء والعلماء بالاخذ عنهم مباشرة او بالنظر في كتبهم وانقسم الناس بعدهم افرقاء كل فريق جعل له وجهة علمية يقضي حياته في الوصول اليها . فاختلفت مواضيع العلوم واحتكت الافكار بعضها ببعض وتبادل العلماء التلقي والتلقين والجدل والمناظرة حتى اتموا معدات الكمال العمراني بما وصلوا اليه من المعارف الآتية اليهم باحتكاك افكارهم في علوم الانبياء الذين قادوهم بعقود الدين والسياسة السماوية حتى اوصلوهم الى النظر في السفليات والعلويات وغرائب المخلوقات وهدوهم الى المبتكرات والمخترعات وعلوهم طرق السياسة السلمية والحربية وترتيب الادارات وتقسيم الولايات ووضع الضرائب وفصل القضايا وعقد المعاهدات وتوسيع التجارة وكل ما يلزم الملك وما فيه من العالم . وباتقان الحكماء والعلماء هذا الطريق المستقيم اعتمد عليهم الملوك وجعلوهم شركاءهم في الرأي والتدبير والقضاء والتنفيذ وسلموهم الأمم يتصرفون فيهم بعلومهم التهذيبية والتأديبية كأنهم هم الملوك * ولما رأوا ان العلم رفع وضيعهم الى حيث اجلسه مع سلطانه واركبه مع اميره بذلوا نفوسهم ونفيس اوقاتهم في تحصين المركز العلمي من السقوط والتلاشي فاكثروا من المدارس وانتقوا اليها الاذكياء النبهاء وخدموهم بأنفسهم خدمة الوالد الرحيم لطفله الصغير ثم نقلوا المتعلمين من ساحة العلم الى صحراء العمل تحت المراقبة والملاحظة وقد نظر كل متعلم لما عليه معلمه من الابهة والجلال ورفعة المقام وبعد الصيت فانبعثت فيهم ارواح

الغبطة وحملتهم على اقتحام عقبات المتاعب اقتداءً باساتذتهم حتى أخذت أعمالهم بأديهم ونادتهم مآثرهم الى منصة الامارة فعلوها بحق واستحقاق وقد اخذ الشرق دوره في هذا المقام الجليل لاخذه عن الانبياء مباشرة واشتغال أهله بالمجادلة والمجالدة قروناً طويلة خصوصاً أيام الدور المحمدي الاسلامي فانه جاء بخيري الدنيا والآخرة وملأ الكون بالعلماء والامراء وفتح للتعليم أبواباً ما اهتدى اليها السابق ولا ذمها اللاحق حتى عرّف المغايرين له كيفية الاخذ بدينهم بما رأوه في كتب علمائه من الابحاث الاصولية والقواعد التوحيدية والفروع الفقهية والعلوم العقلية فاقتدوا بهم وجاروهم في التآليف الدينية وغيرها وكانوا عنها غافلين . وقد ملأ علماؤه كتبيات العالم اجمع بفوائدهم وفرائدهم العلمية ونشروها بين افراد الامم وعلموها كل طالب حتى قادوا الشرق والغرب بعلومهم فكل ما في الكون الآن من العلماء باي علم كان انما هم تلامذة المسلمين وفي عنق كل منهم نعمة للدين الاسلامي وان دان بغيره . وعند ما تعددت وحدة الملك في الشرق بظهور المتغلبين ضعفت قوته العظيمة بتجزئ ممالكه فسهل على الغرب شن الغارة عليها لان الامة الكثيرة العدد والاقطار تصدم مثلها من الامم دفاعا عن نفسها وتحفظ مركزها الجغرافي باجتماع كلمتها فاذا تجزأت وصارت قطعا متقاطعة سهل على غيرها من الامم ان يبتلعها لضعفها عن المقاومة وانقطاعها عن العضد والمعين . وهذا الذي فتح لاوروبا باب التغلب على الامم الشرقية والتداخل في اعمالهم وتمزيق اوصال مجتمعهم الشرقي بايقاع العداوة بينهم وايغار صدور ملوكه من بعضهم البعض حتى جدعوا انوف مجدهم بايدي عداوتهم ووقف الغرب يتفرج على اهل بيت ينقضون جدران اوطانهم حجراً حجراً حتى اذا انحط الرفيع وضعف القوي وتوزعت الاهواء حول المطامع الاجنبية وقع الشرق في شرك الجهالة وتحولت قوته العلمية الى الغرب فتلقاها اهله بالترحيب والتكريم واشتغل كل فريق بعلمه حتى اذهلوا العقول وحيروا الافكار وملكوا معظم الشرق بجدهم الغريب . وحيث ان الادوار الشرقية طويت في سجل كان والدور الغربي هو المعلوم الآن لزمنا ان نبين طبقات علمائه الغربيين والشرقيين تذكيراً لا تعليما عسى ان تحيا همم النشئة العلمية الشرقية فيؤدي كل عالم منا واجبات علمه اقتداء بمثله

الاوروبي اذ عز علينا ان نقول اقتداء بجده الشرقي لطول العهد بيننا وبين اجدادنا ونسياننا ما كانوا عليه . ولا عيب علينا اذا اخذنا عن اوروبا واقتدينا بها الآن في اجراء وظائف العلماء كما هو حاصل فقد اخذت عن متقدمينا واقتدت بهم حتى آن لها الاستقلال بافكارها والاشتغال على اساتذتها شأن الأدوار العمرانيـة في الممالك شرقية وغربية

﴿ طبقة الملوك والامراء (البرنسات) ﴾

هذه الطبقة الجليلة القدر شأنها النظر في امور الامة المحكومة من حيث ترتيب المحاكم والادارات واعداد الآلات وتشييد الحصون وجمع الجنود وعمل السفن حربية ونقاليـة وحفظ الروابط الملكية بينها وبين متاخميها ومجاوريها ولا يصلون لذلك الاَّ باتقان العلوم في الصغر ودراسة جغرافية العالم واخلاق الامم والشرائع والقوانين والنظامات والوقوف على مشارب الاحزاب ومساعي الملوك وبهذه العلوم سهل عليهم القيام بوظائف علمهم فشاركوا اصاغر الناس في تخصيص بعض اوقاتهم لاداء واجب الوظيفة بجد واجتهاد فالملك منهم دائم الفكر ناظر الى الممالك باحدى مقلتيه والى مملكته بالاخرى مشارك لوزرائه في المشورة واستمداد الآراء مائل الى الامة ميل الاب الى ولده خائف عليها خوف الراعي على غنمه في ارض مذأبة . والامراء من العائلات الملوكية قائمون باعمالهم ناظرون نظر كبرائهم يتوددون الى الناس فيعودون الاغنياء ويتألفون الفقراء ويزورون الجند ويترددون على اهل القرى تنشيطاً لهممهم وحثاً على عملهم حتى اذا انتهى اليهم الدور جاؤا الملك وهم على احسن ما يكون من الاهبة والاستعداد . وما رأوا من الامة امراً محمود العاقبـة الا كانوا في مقدمة الآخذين بايديهم وقد حفظوا كل ما يلزم الى الامة وعرفوا المحكومين وما هم عليه من العادات والاخلاق فلا يغيب عنهم وجيه ولا عظيم ولا فاضل ولا غني ولا رئيس من رؤساء الجمعيات والاديان . ولهم رغبة كبرى في تأييد الجمعيات العلمية والدينية بالحضور في محافلها وحث اعضائها على المثابرة والاجتهاد ومساعدتهم بالمال والسلطة في اي ارض كانت الجمعيات وبهذه الخصال جذبوا القلوب

اليهم وحولوا الافكار الى وجهتهم فاختلف الناس في اعمالهم واتحدوا في الانقياد الى ملوكهم والتعاضد على حفظ بيت الملك الذي هو بيت مجدهم وحياة اوطانهم في الحقيقة ومن حاد من الملوك عن هذا الطريق تداعت دعائم ملكه

﴿ طبقة الوزراء ﴾

رجال هذه الطبقة العظيمة اتعب الناس فكرا يقضون النهار ومعظم الليل في اشغال فكرية واعمال يدية كتابية يتساءلون فيما بينهم عن المالك واخبارها اليومية ويبعثون البعوث الى داخلية الغير اكتشافا للمواقع وتطلعا الى الاخبار السرية واحصاء للاعداد العسكرية ومعرفة للوسائل المؤدية الى مقاصدهم السياسية وربما غيروا صبغة بعض الافراد الدينية وامروهم ان يتظاهروا بمذهب الغير ان ماثلهم في الدين او بدينه ان غايرهم في المعتقد ليسهل عليهم الاختلاط بالامة ويثقوا بهم في اقوالهم وافعالهم فاذا تم لهم المقصود جدوا ولفقوا اصول الدين وفروعه بما يؤلفونه من الكتب في دين من يداخلونهم ليوقعوا بين الامة الاختلاف والهرج والمرج حتى تتعدد الوحدة وتتمزق الاجتماع والاجماع . وعلى هذه الطبقة ايضاً السهر فيما يقدم البلاد ويحفظ الامن ويوسع دوائر التجارة والزراعة والملاحة والصناعة والمكاتب الدينية والعلمية فتراهم يتنازلون الى عيادة المرضى وزيارة الوجهاء واذا مروا بارض ريفية لاطفوا اهلها وسألوهم عن احوالهم ووعدوهم بما فيه خيرهم جذبا للنفوس واداء للواجب . واذا دخلوا مجلساً من مجلس الاعيان شاركوهم في الحديث وبادلوهم الجدال فيما فيه نجاح الامة وعلو شأن المملكة فاذا اجتمعوا بامثالهم اكتشفوا افكارهم وشاوروهم في امورهم واستمدوا منهم وامدوهم فاذا عادوا الى الملوك اخبروهم باحوال المملكة واخبار المالك واطلعوهم على الوقائع اليومية والاحكام القضائية وراجعوهم في مقترحاتهم بما يعود عليهم بحفظ السلطة والسطوة وعلى الاهالي بالثروة وراحة البال وهذه دروس لا ينقطعون عنها ولا يملون من تدريسها في اي بقعة حلوا فيها فلا راحة لهم من الاتعاب ما دامت اعينهم ناظرة وآذانهم صاغية فهم في عمل دائم اليوم في تنظيم جند وغداً في بث نظام وبعد غد في

اجابة نداء من ارسلوهم في ممالك الغير باحثين ومكتشفين لتوسيع دائرة السلطنة وتكثير موارد الثروة باستخدام الامم المتغلبين عليهم فيما يعود على المملكة بالمنفعة المالية والدولية وقد احكموا التلقي لهذه العلوم حتى فاقوا اساتذتهم الاولين فهم الآن رجال الحل والعقد ينظرون الى المغيب البعيد بمناظر المعدات والموصلات الى الغايات لا بنظر التقاعد والكسل والاعتماد على اوهام الجفور وخرافات الرمل والزيارج

طبقة التجار والاغنياء

هذه طبقة العز والمجد في اوروبا فقد اجتهد اهلها في معرفة الحساب وطرق الارباح من الاتجار بالاصناف الصناعية والزراعية والمعدنية والاوراق والبنوك واحتكروا كثيراً من الاصناف في داخليتهم وفتحوا كثيراً من المحال في جميع المدن المعمورة وبعثوا اليها تجارة بلادهم ليميتوا صناعة الغير ويحولوا ثروتهم اليهم بحصر التجارة فيهم والصناعة في بلادهم وفتحوا المجامع الكثيرة المسماة بالبورص لاجتماع الشتيت منهم بعد الفراغ من العمل لمعرفة احوال التجارة والوقوف على الاسعار واخبار الممالك التجارية وبهذا توحدت كلمتهم وسيرهم فلا تستطيع حكومة ما ان تؤثر في تجارتهم شيئاً بل انهم بما لهم من القدرة على احتكار النقود والاقوات اضطروا الممالك الى اجابة طلبهم فيما يختص بتقدم تجارتهم . وما زالت تجارتهم تمو حتى اقترضت الدول منهم وصارت مدينة لهم فقبضوا بذلك على اطراف السياسة وصاروا من رجال الحل والعقد في مجالس الحكومات . وبحسن تصرفهم تداخلوا مع فلاحي بلادهم اولاً بالتجارة ثم بالقروض حتى قبضوا على الزراعة ايضاً من طريق آخر فالمعامل والتجارة والزراعة كلها تحت تصرف هذه الطبقة فلا غرو ان قيل انها عنصر حياة الامم في اوروبا . ومن لوازمهم انهم ما قعد احدهم في مجلس الا اخذ يتكلم في التجارة وفوائدها وطرقها وكيفية النجاح فيها ليرغب السامعين في الاتجار معه لتعظم قوة المملكة بكثرة التجار ووفرة ثروتهم فهم اساتذة في فنهم منبثون للتعليم والافادة ولم يجعلوا فوائدهم قاصرة على لذائذهم البدنية بل مدوا ايديهم الى الجمعيات الدينية والعلمية ففتحوا ألوفاً من المدارس وألوفاً

من الجمعيات وبثوا رجال الدين والعلم في العالم اجمع على نفقتهم يستميلون من غايرهم دينًا ويكتشفون ما غاب عنهم من الامم والاراضي لا يمنعهم من ذلك كثرة المنصرف ولا توالي الازمان كلما تقادم العهد زادت النفقات والجمعيات فهم تجار في الظاهر دعاة فتحة في الباطن فكأنهم هم الملوك ورجال المملكة وعظماؤها عمال لهم

طبقة علماء الرياضة والطبيعة

هذه طبقة الفضل في العالم فان رجالها اهل الابتداع والاختراع وتهذيب النفوس وتعليم الجهلة وصناعة الضروريات . منهم الطبيب والكيماوي والمهندس والفلكي والميخانيكي والنباتي والمعدني والحيواني والبحري والبري من رجال الحرب والجغرافي وغيره وكل واحد منهم منكب على عمله مجتهد في تقدم فنه بشرح غوامضه وتبيين فوائده ونشر فرائده فهم في سباق دائم ولا وجهة لهم الا وقاية ممالكهم واعلاء شأنها وتقدم معارفها وصنائعها وتعظيم ثروتها وتعضيد قوتها . يختلفون في المواضيع العلمية فيما بينهم ويتفقون في المجامع السياسية وخدمة الامة خدمة جد واخلاص لا تقعدهمهم عن جوب الاقطار البعيدة ومفارقة الاهل والاوطان لفائدة يفيدونها ممالكهم وشاردة يضمونها لعلومهم ومجد يكتسبونه بين اممهم وذكر خالد يحفظ لهم التاريخ فهم السلم الذي ترتقي عليه الامم الى درجات الكمال والمعراج الذي تصعد عليه الملوك الى سماء الابهة والجلال والعضد الذي تقوى به الممالك على الدفاع والوقاية من عوارض الضعف والتلاشي ولا حديث لهم الا في فنونهم كلما قعد احدهم في مجلس ذكر فضل علمه وفوائده وعدد الحوادث والوقائع والمشاهدات التي نشأت به وطرأت عليه وشوّق السامعين الى الاشتغال به والتعويل عليه ليثير همم المتقاعدين عن المعارف وينبه الغافلين عن اسباب الفضائل ومظاهر المجد وناهيك بطبقة بلغ عدد المعلمين منها في امريكا نحو ثلثمائة الف معلم يتعلم منهم نحو ٦٠٠٠٠٠٠ من التلامذة وقد نبغ على ايديهم نحو ١٣٠٠٠٠ طبيب و ١٦٠٠٠ مؤلف و ٥٠٠٠ محرر للجرائد ومن لا تحصيهم من ذوي الفضل في الفنون الكثيرة المتداولة فيما بينهم

طبقة الكتاب والمنشئين

هذه طبقة السلطة على العقول والسطوة على الاعمال منها رجال المحابر وخطباء المنابر وحفاظ الاموال ومؤرخو الاحوال والقابضون على ازمة الافكار بيد الجرائد السياسية والعلمية والدينية يقضون ايامهم في نشر فضيلة واعدام رذيلة يغمدون السيوف المجردة بعباراتهم السلمية ويجردون المغمدة بجملهم الحماسية ويطفئون الفتن الثائرة بكلماتهم السحرية ويستميلون الملوك اليهم او الى الامم برقائقهم المدحية والاصلاحية يجمعون الدنيا امام القارىء في صحيفة يتناولها باصبعين فهم اساتذة الخواص والعوام وأئمة الوزراء والعقلاء والرعية. والخلق امانة عندهم يتصرفون في افكارهم بانشائهم البديع تصرف المعلم في فكر الطفل الفارغ من العلوم . وقد اجتهد كل فريق منهم في حفظ وحدة قومه والحث على رعاية ملكه ووقاية مملكته والارشاد الى طرق التقدم والتحذير من التقاعد والتهاون والتقهقر . وما زالت درجتهم تعلو ومحبتهم في قلوب الامم تمو حتى شغلوا العالم برقم بنانهم ومبتكرات افكارهم فلا يصبح الرجل الا سائلاً عن الجرائد وما فيها ولا يمسي الا قارئاً للاخبار السياسية والتجارية والفوائد العلمية حتى ان الرجل في اوروبا ليسوق العربية والجريدة بيده فمتى وقف في نقطة فتحها وقرأ منها فصلا والصانع اذا اشترى الجريدة ترك ما بيده حتى يفرغ منها قراءة وزادت عنايتهم بالجرائد حتى وضعوا منها نسخاً في المراحيض يقرؤها قاضي الحاجة فلا يضيع عليه وقت بل ترقوا الى ان طبعوا الجرائد على قطع من القماش تصنع فرشاً وستراً فيجلس المرء على فرش كله حوادث تاريخية ووقائع سياسية وينظر في ستارة نقشها علوم لا رسوم . وقد كثرت رغبتهم في الجرائد حتى بلغت عدداً عظيماً فيوجد في فرنسا وحدها ٣٧٣٠ جريدة ما بين سياسية وعلمية ودينية وتجارية منها في مدينة باريس ١٥٦٠ جريدة والباقي في ولاياتها واذا علم الشرقي ان جريدة النيويورك هرالد تربح من اجرة الاعلانات كل يوم خمسة وثلاثين الف فرنك علم قدر المحررين هناك وفضيلة القراء الذين عرفوا حقوق المنشئين فساعدوهم واستفادوا وافادوا . وكذلك اذا علم الشرقي ان محرري الجرائد ترتفع بهم

الدرجة هناك الى انتظامهم في سلك الوزراء علم مقدار ما ينتج من العلم والاشتغال بالمنفعة العامة . وهذه النتائج لم يحصلها المنشئون بالغش والخديعة والسير بالامة في طريق توصلهم الى الغير ولا بشقشقة الالفاظ التي لا طائل تحتها ولا بتصويب عمل المخطئين وتخطيء المصيبين وتقبيح الحسن وتحسين القبيح ولا بجعل الجرائد اسواطا للغير يضرب بها اهل البلاد ليسوقهم في مرضاته بلسان من هو منهم صورة وانما حصلوا هذه الرتب الرفيعة بخدمة اوطانهم وممالكهم وتبيين طرق الاصلاح وحفظ مراكز الرجال الظاهرين من امرائهم واعيانهم بتعريف الامة قدر اعمالهم وثمرة اتعابهم واشتغالهم بنصح الامة وارشادها الى الصراط المستقيم وسهرهم الليالي في مطالعة جرائد الغير لنقل فائدة أو الوقوف على خديعة يحذر قومه منها ويبين طريق البعد عنها واخلاصهم في هذه الخدمة حتى لو كانت جريدة لسان وزير أو حزب فانها انما تحسن مبادئه واعماله ووجهتها هي وجهة غيرها من جهة خدمة الوطن وأهله فالوسائل مختلفة والمقصد واحد وهذا الذي أكد للامة ثقتهم بالمحررين حتى اخذوا كل ما قدموه لهم بيد القبول واحلوه محل الاخلاص فلا غرو ان قلنا ان الامم الاوروباوية اجسام والمنشئون ارواحها

﴿ شذرة من رواية الوطن وهي رواية تشخيصية الغرض منها الحث على التعاون ﴾
(لانشاء المدارس العلمية والصناعية)

ابو دعموم	ايه امال عوار يتلف عينك له امال احنا حميريم
ابو الزلفى	خابط يتول دماغك معبوط وا — مالك كده من غير شر
ابو دعموم	دا مين ابو الزلفى سلما ...
ابو الزلفى	طيب ...
ابو دعموم	كانت فين دي الغيبه
ابو الزلفى	في جهنم الحمره
ابو دعموم	ليه من غير شر ما انت بخير
ابو الزلفى	ما بار علينا ما بخير ولا

ابو دعموم	ايه بس ما تقلش نصيبتك ايه
ابو الزلفى	يبقى ما انت شايف الطوافه نازلين علينا بالشمريخ ومشايخ البلد نازلين علينـا بالصرم وحاكم الخط مشرمطنا بالكرميش والمدير مكسرنا بالنبابيت له الواحد بقا حديد ولا ايه
ابو دعموم	يا ذم يلهفك يا خي يبقى ما ترميش للكلب منهم بريزيه وتخلص
ابو الزلفى	عوار يحول عينك هي كام بريزيه داللي بيطلبوه الصبح ما بيطلبهشي المغرب
الوطن	اين اهلي اين اولادي اين رجالي اصبحت حائرًا في امري لا ادري ما يفعل بي من يراني هكذا ويقول هذه مصر المعشوقة لكل انسان
ابو دعموم	آي غور يا خي يعشقوك على ايه
ابو الزلفى	حرام عليك يا شيخ ما تشتموش دا غلبه
ابو دعموم	بقى لما تبقي اهله دايره تقطع في بعضها والكبير ينهب الصغير والغني يقتل الفقير اللي راح يعشقه مين كده
الوطن	اذا لم تصلحوا انفسكم من يصلحكم واذا لم تحفظوني من يحفظكم
ابو دعموم	بقى مقصودك يعني انا نجتمع ونبقى عصا وحده
الوطن	نعم فانكم لا تنجحون الا بالاتحاد
ابو دعموم	طيب ادبني واحد من الناس هات لي واحد قلبه على قلبي لس
الوطن	عجيبه بقى كل اهلي مختلفين
ابو الزلفى	اهلك ايه يا غاير له الولد بيحب ابوه
الوطن	كل هذا سببه الجهل
ابو دعموم	جينه للت والعجن بقه مادي فقي البلد كل نهار جمعه يقول يا عباد الله اتقوا الله ولا حد بيتقي ولا بيزروط
ابو الزلفى	اي هو الفقي يبقى يخطب وشيخ البلد مدور العده
ابو الزلفى	دانهار ما يقول الفقي بم يديه لما يقطع قلبه

الوطن	بلغ من الجهالة ان تضرب العلماء في بلادي
ابو دعموم	ايه له يعني العالم زايد مش فلاح زينه وله طين ادنه
الوطن	اها نة العلماء أول دليل على خراب البلاد فوا اسفاه
ابو الزلفى	آه ما يسلط عليك واحد ناظرقسم ويبطلك قولة العلماء والجهال
الوطن	لهذه الدرجة صارت سطوة ناظر القسم
ابو دعموم	ناظر القسم ايه يا اهبل دا جرجريوس الصريف بيضرب وليشخ اسكت اسكت
الوطن	ارجع لقولي واقول كل هذا سببه الجهل
ابو دعموم	ربنا يرزقنا بواحد قواس يرطن عليك بالتركي ويرفصك في كرشك وهو يطلع العلم والجهل من عينيك الاثنين
ابو الزلفى	لا وان قال بم يخبطه بطبنجه يطلع روحه
الوطن	بقى يقدر يضرب بالنار
ابو دعموم	نار ايه يا هايف دا قتل الراجل عنده اهون من قتل الفرخه
الوطن	عار عليكم تتركوا انفسكم حتى تصيروا لهذه الدرجة لِمَ لم تشتكوا للحكومة
ابو دعموم	حكومة ايه يا وطا دااللي بتبعتوا لنا من المخسيف المأمير بتبعته له بيعه جزاري
الوطن	اذا اتفقتم على كلمة واحدة ورفعتم امركم الى الرئيس الاكبر فانه لا شك يريحكم من هؤلاء الظلمة
ابو الزلفى	اللي انا يوم يقولولي كلم شيخ البلد افوت عيالي وهج. يبقى اللي راح يلقي له قلب يصف رجليه قدام الحاكم مين
الوطن	اياك يؤثرفيكم هذه الحالة وتعلموا اولادكم
ابو دعموم	نعلمهم فين يا خي
الوطن	تعلموهم في الكتاتيب
ابو دعموم	لهم عمي يا اجور العين ان شا الله ما يروح الكتاب الا انت

الوطن	ما دمت تأنفون من العلوم تعيشون اذلاً وتموتون اذلاً
ابو دعموم	قل للي قاعدين في البنادر قبله اهم دول عندهم معلمين وكتاتيب يامه
الوطن	لا بد ان تتفقوا جميعاً على وحدة التعليم
ابو دعموم	ادي جماعه بندرويه جيين اهم اتكلم وياهم وشوف يقولوا لك ايه واحنا لنا فوته عليك مرة ثانيه ونشوف ايه اللي يجزه
الحاج حسين	دابقا حال ظفت احنا رايحين نلآها منين ولا منين
ابو دعموم	خبر ايه يا اخينه
ابو العلا	بآ منتش عارف خبر ايه دا بآ منطش في الدنيه
ابو دعموم	ليه انا يعني معاشركم في بلادكم وانا عارف عندكم ايه
ابو العلا	بآ مجاش عليكم حاجه من الفرده والا الشخصية والا حب الوطن والا الطلنبه والا النفر والا النضافة والا نزح الكنفان والا الدواهي الحاره اللي بنشوفهه دي
ابو دعموم	الله يرحم ابوك لهُ عندكم شي من اللي عندنا خد على صابعك خد ادحنا متحرحرين يا خي في المال والمقابلة والسدس ومصاريف الري والسهوم والمصلح والشخصية وعوايد البهايم والوطنية والاغنام والنخيل والدخوليه
ابو الزلفى	لا وفاتك ياخي عادت الحكيم والمهندس والمزين والمشدات والطوافه وقواسه المدير وخدمينه وسنوية ناظر القسم وخدمينه والعونة والصخرة وطلوع البهايم للشفلك والبنات للقطن والولاد لتنقية الرز والبهايم للشيل والحطب للوابورات وعليقة خيل القواسه وتبنهم
ابو دعموم	لا ولا تنساش شيخ البلد واخد البهايم في غيطه والنسوان في دواره والاولاد تجري وراه ويروح يدّاين من الخواجات ويجي يقول هاتوا يا فلاحين واولاده دايره ترقع في اصداغنا وخدامينه بتلطش فينا ونسوانه بتسفخ لنسوانّنا

ابو الزلفى	لا وخد عندك يبقى الانسان طالع من المصله والمشد ينادي يوم يقول المدير عاوز ميت فرخه ويوم يقول غربلوله اردبين غله ويوم يقول عاوز بهيمه حلابه ويوم يقول عاوز بلاصين سمن وداكله يلمه شيخ البلد وشوف بقى يا يوديه يما يوديه
ابو دعموم	لا ونسيت يا خي نزلة المساحة علينا كل ساعه والتاني يقول انتم عندكم زياده والبحر خلف لكم جزيره ويمسك قصبته ويدور يتنطط في الغيطان ولا ينكشح عنا الالما ياخد له سبعين ثمانين ريال
ابو الزلفى	لا وفتنا الداهيه التقيله اللي هو الصريف لما يفضل يديله الواحد يوم اثنين جنيه ويوم عشره ريال ويوم ثلاثين بريزه ويوم عشر خريات ويوم ميت قرش ويجي آخر السنة يقول له وصلني منك سبعين قرش وفاضل عليك عشر جنيه ونتكلم الواحد منا ماشكمه شيخ البلد ويقول له بقى عقلك والاحساب القلم
ابو دعموم	لا وفات يا خي رمي الكتاكيت على الدور وفلوس الصفصاف وليف الوسيه ومقطيفه وحباله وخشبه وشي مظروط
ابو الزلفى	وفاتك يا خي ضرب الطوب للشفلك وتبن الخلط وحطب الحريق واجرة النفر السهران وعشا البياته واجرة الغفير واجرة الحمير للشيل ونفر العملية واجرة البنا واجرة النجار وطلوع الحجر من المراكب ودق الحمره
ابو دعموم	وفاتك يا خي لما واحد يهج ويرمي طينه على البلد والا واحد يخرب ويوزع دينه على البلد والاعانه ونفر القسم وعشا النفرا في البحر
ابو الزلفى	وفاتك يا خي الطين اللي ياكله البحر واللي تاخده السكة الحديد واللي يروح في الجسور
ابو العلا	هوه ايه يا جضعان ولما الهم التقيل ضا عليكم ما تؤ احنا عبيد والسلام ضا شيء يقصف العمر
الوطن	اوادمن هذه التيران كل هذا احدثه الجهل حتى صيركم كالبهائم تساقون بالعصا

الحاج حسين	السلام عليكم
ابو العلا	وعليكم السلام ورحمة الله و بركاته مرحب بالحاج حسين
الحاج حسين	يا مرحب بالمعلم ابو العلا
ابو دعموم	فوت بنا احنا يا ابو الزلفى منهم لبعض يعرفو شغلهم
ابو العلا	مرحب بالحاج حسين منين وعلى فين يا وليد
الحاج حسين	من ال ... قل وياي يا معلم ابو العلا اللهم صل على سيدنا النبي من الحجر امي الليـاتي يا وليد
ابو العلا	حقه يا جدع جت له دمعة حشيش من الاضابه لكن صبوه يا وليد
الحاج حسين	وانا كمان شديت من عنده تعميره امبارح لكن كانت طؤا
ابو العلا	والكرسي عنده بكام يا مجدع برضه بالارش اياه
الحاج حسين	برضه بالارش انما حاجه صنعه ودَا إيه راخر يا معلم ابو العلا
ابو العلا	بسم الله الرحمن الرحيم دا باين عليه عفريت يا جدع
الحاج حسين	لا يا جدع دا باين واحد مقطوع من بتوع التكيه
ابو العلا	ميل بنا والنبي نشوف الداهيه دي ايه انت ياعم بدستور اسم الكريم ايه
الوطن	انا يا ابني محل نشأتك واسمي الوطن
ابو العلا	ومالك كده مبهدل وحالتك عبره
الوطن	بهدلتني اهلي يا ولدي
ابو العلا	وفين اهلك دول اللي بتؤل عليهم
الوطن	ذهبت بهم الايام والليالي
ابو العلا	طيب وقاعد بتعيط ليه بقى و بتبكي على ايه
الوطن	ابكي وانوح على من ورثني بعدهم فانهم اموات في صورة احياء
ابو العلا	ومين دول اللي ورثوك يا خي
الوطن	انت وامثالك
ابو العلا	يا حاج حسين

الحاج حسين	يا نعم
ابو العلا	يا خويه دا قال بيعيط علينا المشوم
الحاج حسين	يمكن ولي يا معلم ابو العلا ومكاشف على موته
ابو العلا	يا خي لالا دا قال احنا اهله وبيعيط علينا النطع
الحاج حسين	والله يا شيخ صعب على الوطن ده
ابو العلا	يالله يا خويه بلا وطن بلا وحل احنا بتوع وطن يا عم
الحاج حسين	اقول لك اللي ماله الله له فوت بنا
ابو العلا	يالله يا سيدنا قبل ما تخلص الصهبه
السيد علي	غالباً ينجح ياسيد ابراهيم
السيد ابراهيم	ما اظن يا سيد
الحاج حسين	اقف بنا يا معلم ابو العلالما اشوف الجماعه دول يعملوا ايه
ابو العلا	طيب يا خويه ادين وقفت
السيد علي	تفضل بنا هنا يا سيد ابراهيم
السيد ابراهيم	ايو نقعد نقطع الوقت هنا شويه
الحاج حسين	فوت بنا يا سيدنا دول جماعه آل رايحين يقطعوا الوقت هأهأ
السيد علي	اسعد الله لياليك يا سيد ابراهيم
السيد ابراهيم	اسعد الله يا سيد علي
السيد علي	حقا كانت العباره أمس على رأي المثل يا سيد ابراهيم
السيد ابراهيم	ازاي يا سيد دي كانت ليله
السيد علي	الله يرحم والدك دا كان داهيه كبيره
السيد ابراهيم	تعيش يا سيد والله كان يحبك وشفته كلام تغزل فيك
السيد علي	معذور يا سيد فاني كنت جميل قوي وكنت اعمل عليه حبتين دلال وسبب حجزي في الحريم ميله اليّ
السيد ابراهيم	واقت في الحريم كتير يا سيد

السيد علي	لديك النهار لما بكر والجماعه بسلامته صالح
السيد ابراهيم	ما شاء الله يعني وقايه كبيره ياسيد والله اهل زمان كانوا ناس يا سيد علي
السيد علي	سيادتك مش معزوم في فرح السيد سرور
السيد ابراهيم	يا خي دا صاحبي هوا ده يلزمني منه عزومه انا اروح كده فانه من اخواننا
السيد علي	بغلتك ما جتشي نركب بقا
السيد ابراهيم	يخي على ايه نمشي ندندف كده لحد هناك دي مسافه قريبه
السيد علي	قريبه ازاي يا سيد بينا و بين الفرح نحو حاره ومين فيه همه لحد هناك يا سيد براهيم
السيد ابراهيم	انا والله يا سيد وحيات جدك قعدوا يكبسوني اربع ساعات لما درت وتحركت
السيد علي	انا انبارح سهرت نحو الساعه ٢ صبح دماغي مقلوب عدوك
السيد ابراهيم	اثنين اثنين انا بقى لي اربعين سنه اصلي العشا وانام ومع ذلك تعبان
السيد علي	فيه حاجه قال اسمها الكبسون
السيد ابراهيم	يخي دي اسمها الكمسون من بلاد النصارى
السيد علي	ما تفرجتش عليها يا سيد ابراهيم
السيد ابراهيم	اهي في الازبكيه ولها لولب بتدور عليه
السيد علي	دول بيقولوا انها بني ادم يا سيد
السيد ابراهيم	اي لاه انت تصدق كلام زي ده
السيد علي	طبب و بتحكم على الناس ازاي
السيد ابراهيم	ولا بتحكم ولا بتكلك بقى انت يا سيد نسيت العساكر اللي طلعوا زمان اهو زي ما قالوا دول يتكلموا قالوا دول بيحكمو
السيد علي	بقى يا سيد حضرتكم متعرفش حقيقة الكمسون دا يطلع زي مجلس يشوف الدعاوي ويقطع فيها حكم بين الناس

السيد ابراهيم	لا وحياتك يا سيد دي عبارة ملفأ والسلام
السيد علي	نقول لك احنا مالنا ومال الكلام ده احنا نشوف حالنا والسلام
السيد ابراهيم	ايوه كده احنا مالنا ومال خوتة الدماغ احنا غلبنا النصاره اللي كل ساعه يقولوا الدنيا جرى فيها ايه والجرانيل قالت ايه والتلغرافات عادت ايه كأن الدنيا ملكهم
الوطن	اين رجال الفتوه اين رجال النجده
السيد ابراهيم	جاك داهيه في لتك وعجنك
السيد علي	ودي ايه كمان يا سيد ابراهيم
السيد ابراهيم	دا يا سيدي راجل كل ساعة يلت ويعجن في الكلام الفارغ
السيد علي	بقى حضرتك تعرفه من زمان
السيد ابراهيم	اعرفه جاته داهيه
السيد علي	واسمه ايه يا سيد
السيد ابراهيم	يجولوا عليه اسمه الوطا والا هو الوطن
السيد علي	وايه قضيته يا سيد
السيد ابراهيم	قضيته انه تملي يقول اهلي اولادي ويدور على الاقدمين
السيد علي	واحنا مالنا ومال الاقدمين احنا في ايه والا في إيه
السيد ابراهيم	بالله متكدرش ذهنك فيه احسن كلامه زي الحبل الصوف كل ما تشده يمط
السيد علي	لكن الذوق يا سيد انا نسأله عن حاله
السيد ابراهيم	استحسانك يا سيد علي
السيد علي	اسعدتم يا سيد
الوطن	اسعد الله لياليكم اين انتم ايها السادات
السيد علي	نحن نتذاكر في حالك كيف اصبحت
الوطن	اصبحت في حالة بؤس وانتم مشتغلون عني بالملاهي ولاهمة لكم

السيد علي	المقادير تأخذ حدودها يا سيد احنا بيدنا إيه
الوطن	ارتكانكم على المقادير عجز وخروج عن حد الشريعة فانها ماجاءت الا بالاصلاح وخروج الانسان من دركة الجهل الى درجة العلم والانتقال من الخشونة الى التمدن ومن الهمجية الى الانسانية
السيد علي	أما التمدن فلا يخفاك ان المصريين أهل ذوق واحساس وأما الاصلاح فان كلامنا له منده واسعه وحوش عظيم فلا كلام لك في ذلك
الوطن	الاصلاح غير ما تعرفون فانه عبارة عن افتتاح المدارس ونشر المعارف والتفنن فيما يجلب الثروة ويحفظ الامة
السيد علي	المدارس دي شغل النصاره ونحن عندنا الكتاتيب كفايه وهي مليانه من العمي والمكسحين
الوطن	هذا هو عين الخراب تتركون الاصحا جهلا لا يتعلمون فيخرجون كالبهائم
السيد علي	هو احنا يا سيد رايحين نعمل قضاه بزياده في كل بلد واحد عالم يعمل الدعاوي و يرد الطلاق
الوطن	العلم واجب على كل انسان حتى يعرف نفسه وثمرة وجوده
السيد علي	الكلام ده للانقليز والفرنجيله وأما احنا اولاد مصر أهل الرقة والذوق والاحساس والنكته
الوطن	هذا لا يفيد الا التأخير والذل وضياع الحقوق وخراب الديار
السيد علي	سيد ابراهيم دا بينه مصطول فانه ما بيدركشي شيء
السيد ابراهيم	قلت لك انه يلت ويعجن عملت لي الذوق مع النحس
السيد علي	هو كلامه صحيح ولكن مع مين
السيد ابراهيم	بالله عليك احنا بتوع علوم والا معارف اهو كله كلام هلس والسلام
السيد علي	تفضل بنا نروح الفرح بلا خوته كدابه
السيد ابراهيم	تفضل بنا داهيه تضايقه دا واحد يخنق
السيد علي	ودا ايه اللي جاي ده يا سيد

السيد ابراهيم	دا واحد اسكندراني اهو اللي زى ده اللي يخلص من حقه
السيد علي	يضربه والا ايه يا سيد
السيد ابراهيم	ايوه يضربه باللكميه يموته ويريح الناس منه
السيد علي	بالله تقعد بنا لما نشوف يعمل ايه
السيد ابراهيم	يمكن يضربنا معه دول اولاد اسكندريه عفاريت خليك بعيد امال
السيد علي	ادين بعيد
الحاج رزيجه	يا ترى الراجل راح فين
ابو رجب	ما تجرب الا النوطلع
الحاج رزيجه	هو الجارب خلص من العمره
ابو رجب	وبجا لو يومين في المينا يا راجل
الحاج رزيجه	اسمع أما نجول لك
ابو رجب	هوي هوي
الحاج رزيجه	انت سمعت باللي طلع في سكة الجباري اليوم
السيد علي	دول كلامهم يفلق الكبد قم بنا يا سيد
السيد ابراهيم	قم بنا ما انتش سامع بيقولوا النوطلع ومع ذلك رايحين يسافروا
السيد علي	ما اظنش يا سيد دي رؤية البحر تخوف
السيد ابراهيم	دول لا يبالوا بالبحر ولا بالغرق لانهم اقويا جداً وشطار
ابو رجب	دول ايه يا حاج رزيجه
الحاج رزيجه	دول جماعه من بتوع لا مؤاخذه كلبي عندك ودهده ده
ابو رجب	دول بجا من اللي يسرحوا الضهر ويناموا المغرب • راجل ايه اللي طلع في سكة الجباري
الحاج رزيجه	بيجولوا واحد اسمه الوطن والناس بتروح تتفرج عليه
ابو رجب	نروح يا خويه نروح نتفرج هو احنا مش بني آدم فين الراجل ده
الحاج رزيجه	اهو الراجل اللي جاعد ده

ابو رجب	هو دا الوطن اللي بيجولوا عليه
الحاج رزيجه	أهو هوّ المياس ده
ابو رجب	انت هو ياخواجه
الوطن	نعم يا سيدي
ابو رجب	مالك مجعبب كده
الوطن	انا المسكين الغلبان اللي تركوه أهله
ابو رجب	أهلك دول مين وراحوا فين
الوطن	انتم أهلي وتركتموني وذهبتم الى الجهل واتباع الهوى
ابو رجب	وعايزايه دي لوكت
الوطن	عاوزتتعلموا الانسانية وتكيدوا اعاديكم
ابو رجب	اعادينا دول فين بس جول لي وانا نكطع زندي ان ماكنتش نطلع عينهم
الوطن	لا ياوليد القوة والعافية مع الجهل لاتفيد شيء لا بد من العلم
ابو رجب	والعلم فين انا نجيبولك حالاً
الوطن	العلم في صدور الرجال وبطون الكتب ويؤخذ بالتعلم في المدارس
ابو رجب	ياحاج رزيجه
الحاج رزيجه	مالك يا ولا
ابو رجب	بيجول ماش عاوز حاجه غير العلوم
الحاج رزيجه	ايه دانا معاي علين من واحد جباني
ابو رجب	لما نوريهم له
الحاج رزيجه	خد اهم
أبو رجب	شوف العلوم اللي انت عاوزهم زي دول
الوطن	وابلوتاه واحسرتاه ضاعت الانسانية وصارت الناس بهائم العلم عبارة عن المعارف والصنايع لا ورق القباني
ابو رجب	احنا ناس شغاله يا عم ونجيب المعارف منين ما تجول للي عندهم فلوس

	وبايتين يركوا عليهم زي الفراخ
الوطن	يا ولدي المعارف في المدارس والورش واذا كنتم تبتدؤا يتبعوكم الاغنيا فانهم عمي عن طريق التقدم الا بمرشد والفقراء هم اصل كل شيء
ابو رجب	تعا يا حاج رزيجه نلم عشر فليكيه نشاورهم
الحاج رزيجه	والفلايكيه حيلتهم ايه
ابو رجب	اهو على جد زيتك خايل له ويمكن نكون احنا السبب
الحاج رزيجه	يودونا في داهيه ويجولوا عاملين عصبه
ابو رجب	لا يا شيخ هو العلم حد يكرهه انت منتش شايف الحكومه بتكتر في المدارس لاجل تعلم الناس ويعملوا زيها ويساعدوها
الحاج رزيجه	يا بو رجب دا شي عاوز فلوس واحنا مالنا وماله
ابو رجب	بلاش شرب دخان ونحيي الراجل ده من العدم
الحاج رزيجه	ما يروح لغيرنا هو بس احنا اولاده
ابو رجب	والله يا خويه انا توكلت على الله ورايح اطاوعه والسلام
الحاج رزيجه	والله يا خويه الفنجره في العلنجره مش في العلوم
ابو رجب	انت يا جدع يا وطني عاوز ايه انا خدامك شوف هو ايه اللي يريحك وانا اسعى فيه وربنا يعين
الوطن	لم لك جماعة واجمعوا من كل واحد كام قرش وافتحوا محل ربوا فيه اولادكم لئلا يطلعوا بهايم مثلكم
ابو رجب	تعا يا حاج رزيجه هات قرنك
الحاج رزيجه	هو انا مجنون زيك القرنك اجيب به نص وجة لحمه
ابو رجب	اولادنا يا شيخ يطلعوا بهايم
الحاج رزيجه	ليه هو الولد مش رايح ينفع في صنعة ابوه
ابو رجب	يمكن ما يفلحش
الحاج رزيجه	يبقى يروح يميس على البحر ويطير له حاجه من الخواجات

ابو رجب	وان مسكته الظبطيه ياو ليد
الحاج رزيجه	يبجى يروح في داهيه ويريحنا منه ومن أكله
أبو رجب	ابنك يا شيخ تدعي عليه
الحاج رزيجه	انا ابني يا عم زندي والجرش
أبو وجب	اجول لك عمر الحمار ما ينفع انا اشوف جماعة غيرك
الحاج رزيجه	ان حد طاوعك ابج شخ على جبري
ابو رجب	بكره تشوف الرجاله وتبجى تتندم
الحاج رزيجه	يجي روح اهو بس مجنون اللي يطاوعك
أبو رجب	انت يا جدع يا وطني ما تفتكرش والله لخليك حظ
الوطن	الله يجمعك على أهل المرؤة والاحسان و يحفظك من الفجر الاندال
أبو رجب	انا رايح اجتهد واللي في الغيب عجب
الوطن	الله يقويك بس ابعد عن أهل التعصب والافساد فانهم يقلبون الخير شراً ويخلوا الناس يسؤو الظن باجتماعكم
أبو رجب	أهل الفساد دول مين انا ما اروح إلا للراجل اللي يحب يسعى في تربية الايتام والارامل لوجه الله
الوطن	ما دمت على هذا القصد فان سعيك يكون محبوباً عند كل الناس اهم جماعة افنديا جايين لما نشوف افكارهم في ايه
عزت افندي	نهارك سعيد يا جدع يا سكندراني
أبو رجب	نهارك سعيد يا بلديي جاي منين يا اخي
عزت	من الديوان ما شفتش مظهر افندي
أبو رجب	اهو جاي من بعيد اهو
عزت	بنجور يا مسيو مظهر
مظهر	بونجور عليك يا منشير عزت
عزت	دورت عليك في بيرة فنك وتريسته وكل البير كنت فين حضرة جنابك

مظهر	كنت في الجنينه لكن كانت ليله حظ يا من امي
عزت	كنت انت ومين يا اخي
مظهر	ويا عزت افندي وابراهيم بيه وحسن بيه والسيد مصطفى والحاج علي والمعلم موسى
أبو رجب	والله ما دامت العصبة دي كلها سكريه قليل ان لجيت واحد يسعى ويأي في طريح المعارف الله يعوضنا خير في الناس
مظهر	دا بيقول ايه الراجل ده
عزت	سيبه ده مصطول وايه كانت نكتتكم في التسالي
مظهر	كان الشرب مستكه خالص والسجاير حشيش صرف وهنك ورنك زى ما انت عارف لحد الشمس
عزت	والمصاريف كانت على مين يا من امي
مظهر	على اخوك ياوليد لوحده
عزت	وكتير يا سيدي
مظهر	خمس طاشر جنيه ورهنت الساعه عند اسمها إيه على خمسه جنيه ولسه بقيالها
عزت	شكوزي ويولع السجاره
مظهر	بردون يا خويه
عزت	وانا كمان كنت في دعكه عظيمه في البيره مع الجماعه اياهم
مظهر	الليله دي رايح اعمل حتة حظ وستين سنه الواحد يشوف له يومين والسلام
الوطن	ان تمادي الناس وخصوصاً مثل هؤلاء على هذا الحال قتل على الوطنية والوطن يا رحمن
عزت	سكر دي كشون ودهده ده
مظهر	دايا سيدي اللي اسمه الوطن

عزت	وماله صبح في حاله زي الزفت
مظهر	واحنا مالنا دا شيء يكدر بالله ما تشغلش بالك به
عزت	اصبر لما نسأله احسن له اصل
مظهر	طيب يا خويه دى الوقت ما تسمع منه الا الترزيل والكلام الفارغ
عزت	بونوسوار يامسيو الوطن
الوطن	انا عربي محض واعرف اللغات على قواعدها وأراك تتكلم بالفرنساوي على غير انتظام
عزت	كسك سكساه على غير انتظام امواه متعلم في اكس
الوطن	وماذا تعلمت هناك
عزت	تعلمت شيئاً كثير و يمكن اقول لك كل العلوم
الوطن	وما الذي صنعت هناك بعلومك
عزت	انا رايس ترجمان في القنصلاته
الوطن	اواه على ضياع أهلي حتى الذي يعرف منهم كلمتين تنتفع به الاجانب
عزت	مسيو الوطن انت بدك اموت من الجوع وكم الف غيري يعرفوا السن ودايرين صايعين من الجوع
الوطن	كل هذا من جهلكم لو كنتم تعرفوا المعارف والصنائع كانت الحكومة فتحت لكم الورش والمعامل وغمرتموني بثمرات اتعابكم
عزت	احنا كلنا نكره بعضنا وان شفنا واحد من أهل المعارف نضحك عليه المقصود من المعارف ايه مش الانسان يتحصل على المعاش والاشياء اللازمة للنكتة
الوطن	انا شايف أهل المعارف عندكم قليلون والبعض في زوايا الاهمال والله ما سبب نكبتي الا أهل النكته
عزت	بقى اشكوزي انت بتخرف دي النكتة هي المقصوده وهي ثمرة الانسانيه في بلادنا

الوطن — ولما كنت في اكس كانت أهل النكته والاهالي كذلك

عزت — دول يا مسيو طول النهار يقرؤا في الجرانيل ويسألون عن الاحوال وما فيه صالح بلادهم وزيادة سطوة حكومتهم وتعزيزها

الوطن — ولم لم تفعلوا فعلهم هنا وانتم انساز منهم

عزت — هناك الاغنيا كلهم في جمعيات اللي في صنائع واللي في معارف واللي في تجاره فبالضروره تزداد سطوتهم وسطوة ملوكهم

الوطن — وما المانع من كون الجمعيات تكون هنا مثل هناك

عزت — هنا الاغنيا مقتصرين على استخدام الفقراء والهدوم النظيفة والمآكل والمشارب واذا اجتمعوا يفتخروا بالطباخين والجوار والخدامين والبيوت وهلم جرا من الهذيانات الفارغه

الوطن — وانت لما علمت أحوال اوربا لَم لم تخطب قومك بما يرشدهم للاصلاح

عزت — شوف انت الحكومة لها زمن تهذب في اخلاقهم وتعلمهم العلوم بحيث تأخذهم من بلادهم في الحديد فاي كلام يؤثر فيمن يتعلم في السلاسل ومع ذلك فان الخطيب الشرقي غلب كلام والناس جاعلين خطابته تسالي زي قصة عنتر وابو زيد

الوطن — وانت تعرف مقام الخطابة فما الذي يمنعك عن سماعها

عزت — صحيح في دي لك حق ولكن انشاء الله من الآن فصاعدا احضر

الوطن — حفظك الله وثبت عزائمك يا انسان

عزت — بونسوار مظهر

مظهر — بونسوار مسيو عزت

عزت — اما اقول لك على مسئله

مظهر — تفضل يا منشير

عزت — ما تجيش بنا نروح نسمع الخطابة وندخل الجمعيه

مظهر — لالا يا مسيو الخطيب كل ليلة يقول امثال ونكت لعنه

عزت	ما هو معذور يا اخي الراجل رايح يموت نفسه عشان جهل اهل الوطن وتوحش طباعهم
مظهر	واحنا رايحين نعمل ايه ان كان عاوز له كام نص نلمهم له
عزت	انا اعرف حق المعرفة انه لا يريد الا تقدم المعارف
مظهر	وماذا تنفع المعارف اقله تحوشنا عن البيره وده شيء موت
عزت	يعني يا سيدي اذا طاوعناه واجتهدنا في ازالة الاوساخ عن الوطن يجرى ايه
مظهر	يروح لاصحاب الفلوس يا سيدي
عزت	اصحاب الفلوس بخله وجهلهم لا يعرفوا قدر المعارف
مظهر	بالله نفضها وفوت بينا نشوف اخوانا اهم دي الوقت يكونوا زعلوا على تأخيرنا
عزت	يبقي بس رجالة حكومتنا اللي ربنا حطهم في سهر وتعب ليل ونهار في أصلاحنا واحنا دايرين زي البهايم لا احنا عارفين قدرهم ولا قدر انفسنا
مظهر	دول تعبهم على شان وظايفهم يا مسيو
عزت	لو كان كذلك لكانوا يقتصرون على قعودهم في الدواوين من غير شغل ولكن سهرهم في اعمال القوانين وخلوصنا من الورطات دليل على انهم لا يريدون إلا الاصلاح والعمار
مظهر	اهم في حالهم واحنا في حالنا فوت بنا
عزت	اقول لك يا مسيو انا عزمت على خدمة وطني بروحي
مظهر	بكره نشوف لما ترجع تتندم على ليالي الحظ اللى تفوتك
عزت	لا والله ما اتندم على شيء بعد كوني رايح اخدم وطن يرق لحاله القلب القاسي
مظهر	بس منش شايف حد يساعدك على كده

عزت	متى أخذنا في الاسباب تجتمع فيه اهله من كل فج ونفتخر بهم على الزمان المتمدم الذي اعدمهم
مظهر	انا يا مسيو على مذهب أهل بلادنا تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها
عزت	والله يا خويه احنا مأمورين بالسعي والاجتهاد فان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ودي الوقت تشوف اخواننا لما يحضروا من سائر الجهات فقبل ما يسبقني أحد لفعل الخير انا خدامه انا خدام اشهدوا يااخواننا
عزت	رجعنا نتندم ونقول ليتني كنت معكم
مظهر	انا يا اخي ما كنت اظن ان اخواني الوطنيين تحرك فيهم غيره
عزت	يا مسيو الناس على دين ملوكهم والحكومة فتحت نحو خمسين مدرسة فمتى شاركتها الجميات في هذا السعي زادت قوتها واتسعت تجارتها وانتشرت المعارف
مظهر	واتم عملتم إيه لما فتحتم المدرسه
عزت	ولا حاجه اجتمعنا كم نفس وكل واحد فرض على نفسه مبلغ جزئي وفتحنا مدرسة نربي فيها الايتام ابتغاء مرضات الله
مظهر	والله انه عمل جميل لا بد ان أكون معكم
عزت	واقول لك يا مسيو اذا وافانا عصر التوفيق فلا نعود نتذكر الجهالة وما نحن عليه من الخشونة والهمجية
مظهر	يعني الناس تعرف قيمة المعارف
عزت	ابشر يا اخي حتى العوام دي الوقت مالهم كلام الا في المعارف وما بقي نجار ولا حمار الا وارسل ابنه المدارس
مظهر	دا تقدم كبير لا بد وان يموت الجهل موتة لا ينشر بعدها
عزت	انظر ادي أثنين حشاشين جايين شوف كلامهم في ايه
الحاج حسين	أما والله عجيبه بس احنا اللي باتنا بهايم

ابو العلا	خبر إيه ياحاج حسين ما أنت بخير
الحاج حسين	يا معلم ابو العله بشوف الطفل الصغير ماسك كتاب والكبير ماسك كتاب والبعض منا ماشي تايه محناش في الدنيا والا ايه الناس كلها اتنبهت واحنا في غفله
ابو العلا	بس كضه يبقى منتش عارف ان الدنيا اتأدمت الا دي الوئت الزمان اتألب وبأت الناس بشأه
الحاج حسين	واحنا بآملناش الا الغابه والهم الكبير
ابو العلا	الحأ على اهلنا اللي ربونا تربيه ظفت
الحاج حسين	ودي الوءت مابآش فينا رمأ
ابو العلا	ما بآش الا نربي اولادنه والا يطلعوا حمير زينه
الحاج حسين	نربيهم فين وكلنا اجهل من بعض
ابو العلا	نربيهم في المضارس لان الحاجات الصنعه كلها فيها
الحاج حسين	المدارس عليها فلوس كبيره ياخويه واحنا ماحيين مامعناش ولاباره
ابو العلا	وبعدين نعمل إيه في الاولاد نسيبهم بجلهم زينه
الحاج حسين	انا افتكرت حاجه ياوليد وهي عين الصواب
ابو العلا	أول ياخويه لما شوف
الحاج حسين	من حيث انا في اسكندريه وفيها مضارس للجمعيات فانا راجل بنه اشتغل في الجمعية بتلتين اجره واحط ابني يتعلم بالبأي ويعطوه الكتب إحصان
ابو العلا	اذا كان كضه انا آخد شغل البياضه واحط ابني ويا ابنك
الحاج حسين	بص الطريئه ايه في دخولنا في الجمعيه يا جضع
ابو العلا	ولا طريئه ولا يحظنون احنا نروح لهم ونأول يا اخوانا احنا اولاد وطنكم وأنتم بتأبلوا الغريب فربوا لنا اولادنا وهم احب ماعليهم
الحاج حسين	لكن يا جضع دول بياخدوا فلوس على اللي يدخل جديد

ابو العلا	الكلام ده يا خويه للوجوه المعتبره والمعتمدين اما الغلابه اللي زينه يأبلوهم شادلي من غير اجره
عزت افندي	شايف العقول تنورت ازاي
مظهر	على هذا المنوال لايتضي زمن وجيز الا والوطن كله معارف
عزت	لا ولسه ياما تشوف
مظهر	تعالى بنا فرجني المدرسه
عزت	اصبر لما نشوف اللي جاي ده رايح يقول إيه
ابو الزلفى	على المدرسة منين يا جدعان
الحاج حسين	انهي مدرسه يا اخينا
عزت	برده بيسال على المدرسه تفضل بنا
ابو الزلفى	اللي فيها المعلمين يم
الحاج حسين	انت تأرا فيها بعد ما شبت صدأ المصل بعد ما شاب وضوه الكتاب
ابو الزلفى	داموش انا يا اهبل انا انجطع النفع مني دول الاولاد الصغار
الحاج حسين	واللي دلّك على المدرسه مين
ابو الزلفى	شايف الصريف بيتحكم فينه والكاتب بيتحكم فينه وداكله بالجلا وانا مبديش ابني يتحكم فيه الصريف ويا كل ماله
الحاج حسين	يا معلم ابو العله
ابو العلا	سامع ياحاج حسين
الحاج حسين	شايف الفلاح اللي عرف سر الألم
ابو العلا	ما الت لك يا الله بينا بزياده اللي فات هوكاتب العماره موش مورينا الضيئ بأمله
الحاج حسين	بآما اخدمش انا وربى ابني يطلع يترحم علي
ابو العلا	الحأ بيدك يا شيخ يا الله بينا يا الله

ابو دعموم	الله يا بو الزلفى
ابو الزلفى	مالك يا سخام الطين
ابو دعموم	اشمعنا لما جرجس اللي جد العينـه يعرف بجرا واللوح ابني لحد دي الوجت ما يعرف الالف ملمادنه
ابو الزلفى	من لمعلم لوكان زي الناس كان من امته بجي جندي
ابو دعموم	لمعلم اجور صحيح لكن زي اللهلوبه في الجرايه
ابو الزلفى	الجرايه مالها هو مادام أجور يعرف يفك الخط ازاي
ابو دعموم	ها من جبيل الخط مايعرفشي ياشيخ
ابو الزلفى	وطيب بجا ايه اما المـدارس يعلموا فيها المحووط الخط واللكلاك النحوي وحساب الجصبه وشي مظروط
ابو دعموم	الله يا بو الزلفى اظن الباشا المدير يعرف داكله
ابو الزلفى	جينا بجا للت والعجن دا يعرف الكفت
ابو دعموم	ومين عله يكنشي مخاوي بسم الله الرحمن الرحيم
ابو الزلفى	مخاوي وله الا علوه في المدارس من صغره
ابو دعموم	بجا امال ياخويه المدارس دي عليها رك
ابو الزلفى	الله يا دايم هو لولا المدارس كانت الدنيا عمرت
ابو دعموم	يا الله جل رحمة اللي واحم وجلجل الطوبه اللي تحت راسهم
ابو الزلفى	ليه الله يجير
ابو دعموم	طلعونا زي البهايم يعني ناقصناش الا الرواسه
ابو الزلفى	يعني كانشي مدارس في مدتهم ولا علموناش
ابو دعموم	وليه هم ماعملوش مدارس مادى ودى بالفلوس
ابو الزلفى	وكانوا يجيبو معلمين منين داهيه
ابو دعموم	من الداهيه اللي تخدني انا ويالك بجا يابو الزلفى رايح تفجر مرارتي
ابو الزلفى	إيه عوار يتلف عينك ماجلنا اللي فات فات

ابو دعموم	طيب ادين خرصت ورايحين نعمل إيه دي الوجت
ابو الزلفى	نخدو الاولاد نوديهم المدرسه ونتكل على الله
ابو دعموم	خير ياشب ايدي ويدك واللي فيه الخير يجد موار بنه
ابو الزلفى	انت منتش شايف اللي واخدين أولادهم ورايحين
ابو دعموم	على الله على الله جال ايش في خاطر لعمه جال جفة عيون
ابو الزلفى	وادي النبوت يالله يا رجال السلسله
ابو دعموم	واللي يبجي يودي لهم الزواده مين
ابو الزلفى	زواده إيه دول رايحين مدرسة الميري
ابو دعموم	ويأكلو منين
ابو الزلفى	من عند أفندينا يا راجل ربنا يطول عمره بيطعمهم ويكسيهم ويديهم فلوس ويربيهم في عزه هوزيّه حديم
ابو دعموم	والله طيب دا بجا ملك عادل ومحسن
ابو الزلفى	هو عادل وبس دا واحد ماجا حد زيه مطلج
ابو دعموم	ياشيخ ربنه يطول عمره ويكمد عدوه
ابو الزلفى	امال له الحكومه لعبه دي مالها الا كل بطل
ابو دعموم	اجرن الناس كلها بتدعي له وفرحانين به
ابو الزلفى	أهوان كان هوه والاالكبرات اللي وياه كلهم أهل خير وطيبين ياشيخ
ابو دعموم	والكبرات الا وياه رخرين
ابو الزلفى	يبجي منتش شايف اللي كل يوم والثاني بيطلوا من علينا اجلام
ابو دعموم	آى من جج يا بو الزلفى والله أنت بتفضل حافض يا مشا الله
ابو الزلفى	يه شوف الناس اللي كانت فاتت بلادها رجعت
ابو دعموم	دول عرب ياخويه
ابو الزلفى	أيوه ما كانت الناس هجت عرب وفلاحين
ابو دعموم	اصبر لما نشوف جايين منين

بدر	أيها الوطن العزيز
ابو الزلفى	سير بنا وحياتك الوطن ليعمر ويبجي عجب
ابو دعموم	الله يعمره و يصلح حاله
بدر	إني أتيت اليك من صنعا بعد الشدة والبأسا قافلا اليك ياوطني ومحل سكني وقد أخذتني هزة العرب وحركتني حمية الطرب فقلت أبياتاً اذم بها ذاك البلد وامتدح أهلي رجال القوة والجلد
الوطن	هات اسمع لا يفضض الله فاك
بدر	لاحبذا انت ياصنعاء من بلد ... ولا شعوب هوى مني ولا نقم ولن احب بلاداً قد رأيت بها ... عنسا ولا بلداً حلت به قدم اذا سقى الله ارضاً صوب غادية ... فلا سقاهن الا النار تضطرم وحبذا حين تمسى الريح باردة ... في جو مصر وفتيان به هضم
عامر	عم صباحا يابدر
بدر	أنعم الله عليك بجلائل النعم
عامر	فيم وقوفك على الاطلال
بدر	ان هذا وطني لااطلال
عامر	ما ارى الا اثافي تذرو عليها الرياح
بدر	خانتك عيونك هذه بيوت وقصور
عامر	ان كانت هذه قصور فاين القبور
بدر	عهدي بها طويل ولست ادري ما غيرها
عامر	وماذا كنت تنشد قبل وفودي عليك
بدر	كنت اذم صنعاء اليمن وامتدح هذه الاثار
عامر	هي حقيقة بالندب والرثا لا المدح والثنا
بدر	يبكي اهىء اهىء اهىء ويقول قد كنت اشعث في المقامة سادرا ... فنظرت قصدي واستقام الاخدع

وفقدت اخواني الذين بعيشهم قد كنت اعطي ما اشاء وامنع
فلئن اقول اذا تلم ملمة ارني برأيك ام الى من افزع
ولياتين عليك يوم مرة يبكي عليك مقنعا لا تسمع

آه

عامر: اهيء اهيء اهيء الحر يستبكي فيبكي ذكرتني الظعن وكنت ناسيا
اني ارقت فلم اغمض حاري من سيء النباء الجليل الساري
من مثله تمسي النساء حواسرا وتقوم معولة مع الاسحار
افبعد مهلك فتية في مصرها ترجو النساء عواقب الاطهار
ما ان ارى في قتلهم لذوي النهى الا المطى تشد بالاكوار
ومجنبات ما يذقن عزوفاً يقذفن بالمهرات والامهار
ومساعرا صدىء الحديد عليهم فكانما طلى الوجوه بقار
من كان مسروراً بمهلك حيه فليات نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه يلطمن أوجههن بالاسحار
قد كن يخبان الوجوه تستراً فاليوم حين برزن للنظار
يضربن حر وجوههن على فتى عف الشمائل طيب الاخبار

آه

بدر: وقاسمني دهري بني مشاطرا فلما انقضى شطره عاد في شطري
الا ليت امي لم تلدني وليتني سبقتك اذ كنا الى غاية نجري
وكنت به آكني فاصبحت كلما كنيت به فاضت دموعي على نحري
وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا فاصبحت لا يخشون نابي ولا ظفري

سلمى: اي عامر

عامر: لبيك يا سلمى

سلمى: اين ديارنا

عامر: ها هي التي انت بها يا سلمى

سلمى — واوجالاه

ما للديار ربوعها تتهدم　　والدهر يأتي بالدمار ويقدم
اين المنازل والقصور وأهلها　　اين الجياد وقرنها والضيغم
اين الذين اذا تبدى خصمهم　　في جيشه مستأسداً لم يهزموا
اين الذين غزوا بقوة جاشهم　　فعلوا على كل الورى وتحكموا
اين الاولى طردوا الجياد الى العلا　　فدنت اليهم من علاها الانجم
يا دهر غيرت المعالم فاتئد　　وارحم فتاة بالها لا ينعم

دعد — اين الديار

عامر — ها هي التي انت بها يا دعد

بدر — ما الذي غيرمنك المعالم وهد الشوامخ ودرس المآثر وصيرك مأوى الوحوش ومسرحا للذئاب فلا اسمع فيك الا غراباً ينعق وثعلباً يضبح وذئباً يعوي

دعد — اواه مما تتقيه الاسهم　　خطب به نار الحشاشة تضرم
يا ربع انسي والوجود فداؤه　　اني انادي هل تجيب وترحم
اين المرابد والمرابع والربى　　اين الرجال ومن به استعصم
اين الذين اذا تأخر جارهم　　عرفوا له حق الجوار وقدموا
اين الذين اذا تلم ملمة　　طاروا على رأس العدو وحوموا
شلت يمينك يا زمان فجعتني　　بذهاب من يقري الضيوف ويكرم
يامي قومي ساعديني في البكا　　ودعي اللئام فقد تولى المحرم

مي — يا دعد مزقت اللئام　　وسلت من جفني المنام
وضربتُ وجهي بالتي　　كانت تقبلها الكرام
من اصبحت في حالتي　　لا تتقي عين الانام
يا طالما سلت سيو　　ف اعزتي حول الخيام
يا دعد من يحمى الحما　　والقوم ما فيهم همام

يا دعد من نشكو له	والجار قد خفر الزمام
يا عين جودي بالدما	واسقي الربي بدل الغمام
يا نار حزني حرقي	قلبي وزيدي في الضرام
يا حسرتي يا نكبتي	يا بلوتي ردنا الهيام
مات الاولى عرفوا العلا	فعلى منازلنا السلام

عامر — يا بدر

بدر — لبيك يا عامر

عامر — اني وانا مرتحل مررت على كرام وفي وسطهم فتى يتذكر في اصلاح الشؤن بهمة وحمية واراهم بالغين في بلادك كل مبلغ من العمران فان الذي في وسطهم

فتى عزلت عنه الفواحش كلها	فلم تختلط منه بلحم ولا دم
كان زرور القبطرية علقت	علائقها منه بجذع مقوم
عملس اسفار اذا استقبلت له	سموم كحر النار لم يتأسم
اذا ما رموا اصحابه بجبينه	ترى الليلة الظلما لم تتهكم

فزحزح الهم ما استطعت ولا تبتئس على ما فات فاستفرح بما هو آت فقد سمع نداك مجيب وكل آت قريب

بدر — اظنك يا عامر صادقاً فيما تقول فاني ارى وافداً في بزة الشعراء فلعله من اتباع الامير الذي اشرت اليه

عامر — اين هو

بدر — ها هو مقبل يقصد حينا

الحطيئه — يا بدر

بدر — لبيك يا واعظ العرب

الحطيئه — يا عماه العمران يحتاج الى مكارم الاخلاق فخذمني ابياتاً فصيحة واعمل بها فانها نصيحة

بدر

هات لا يفضض الله فاك

الحطيئه

يا بدر والامثال يضربها لذي اللب الحكيم
دم للخليل بوده ما خير ود لا يدوم
واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم
واعلم ان الضيف يوماً سوف يحمد او يلوم
والناس مبتنيان محمود البناية أو ذميم
واعلم بني فانه بالعلم ينتفع العليم
ان الامور دقيقها مما يهيج له العظيم
والتين مثل الدين تقضاه وقد يلوي القديم
والبغي يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم
ولقد يكون لك البعيد اخا ويقطعك الحميم
والمرء يكرم للغنا ويهان للعدم العديم
قد يقتر الحول التقى ويكثر الحمق الاثيم
يملى لذاك ويبتلى هذا فايهما المضيم
والمرء يبخل في الحقوق وللكلالة ما يسيم
ما بخل من هو للمنون وريبها غرض رجيم
ويرى القرون امامه همدوا كما همد الهشيم
وتخرب الدنيا فلا بؤس يدوم ولا نعيم
كل امرئ ستئم منه العرس أو منها يئيم
ما علم ذي ولد ايثكله ام الولد اليتيم
والحرب صاحبها الصليب على تلاتها الغروم
من لا يمل ضراسها ولدى الحقيقة لا يخيم
واعلم بان الحرب لا يسطيعها المرح السؤم ..

والخيل اجودها المناهب عند كبتها لزوم
فلئن وعيت نصيحتي وعملتها انت النديم

بدر — لا يفضض الله فاك وحفظك ووقاك

النابغة — ها يا عرب

العرب — لبيك يا نابغه

النابغة — مالي اراكم شعثا غبرا مدرجين في اطمار باليه أما سمعتم بشمس البر والرفاهية التي اشرقت على اوطاننا وبدر السعود الذي ظلع في سماء بلادنا

بدر — من تعني والى من تشير بهذه العبارة يا نابغه

النابغة — اعنى منبت شعر العز في رؤسنا وباعث روح المعارف في اجسامنا اميرنا الذي تحلى باسمه الوجود وعمنا بطالعه السعود ولقد سعدت بالوفود عليه والمثول بين يديه فرأيت مالم اره وسمعت مالم اسمعه فارتجلت قصيدة انشدتها بمسمع من جلالته فانعم وتفضل واحسن وتكرم وانصرفت من ساحته الفيحاء وقلبي معلق بحسن مقابلته ونفسي اشوق للثم اطراف اردانه من الظمآن الى الماء الزلال فاصيخوا الآذان واسمعوا ما انشدته بالحضرة العليـة فبمدحه يحسن الانشاد وباسمه يحلى البديع

العرب — هات يانابغة الزمان وسباق حلبة الرهان فانك شاعر العرب ومعدن الفصاحة والادب

النابغة —

الى من اذا عز النصير نصير	واين اذا ضاق الفضاء نسير
نصول ونجري والنفوس تقودنا	لامر به قلب البلاد كسير
اذا قترت في الجد همة طالب	فكل يسير يرتجيه عسير
اسير ولي في الحي مجد مؤثل	يزار وحظي في الخمول اسير
وباعي لنيل المجد عند علوه	طويل وفي نيل القبيح قصير
وان ركضت خيل الرهان الى المرا	فنهد صفائي للوفاق يسير

اسامح عفواً لا التجاء لزلة ... فاني لارضاء الخصوم فقير
وما عن قلى انأى ولكن اذا اسا ... حبيب اداري والمحب غيور
وما بقليل نبوة في بلاغة ... وذكر جميل ان ذا لكثير
اذا كان نور المجد في حسن هيئة ... فسيان فيه اكمه وبصير
غرور مسير النفس في طلب العلا ... وحاملها في السافلين اجير
سلوني عن الامر الجليل فانني ... عليم باخلاق الرجال خبير
اذا افلت شمس المجد بمغرب ... تراءت له بعد الغروب بدور
وان فقد الانسان صيد مراده ... بفخ الاماني فالمصيد صغير
وان رضيت غر الرجال على فتى ... فان مريد الشر عنه نفور
وان بذلت في الخير عسجدها الورى ... يعز على الوغد الشحيح نقير
واني كفيل ان يحب منافق ... اذا سار عن ارض الحجاز ثبير
يعظم ميتا رب فضل وشاكر ... ويقبر حيا مجرم وكفور
فسعي الفتى صندوق برزخ مجده ... وكسب الثنا في ذا المقام نذور
اذا ماجد دارت رحاه بعزة ... فهمته قطب عليه تدور
اجل مزايا المرء فضل ومنطق ... وبعدها كل الصفات غرور
تحافظ على ما ادرك العزم شاؤه ... فكل صغير ضاع منك كبير
اذا المحل ساء المجرمين لحقدهم ... فروض سرور المحسنين نضير
على مهل يجري الزمان وانما ... يعاملنا باللطف فيه قدير
ركبنا الهوى حتى اسأنا بلادنا ... فدارت بنا الايام وهي تمور
تقلبنا الاخبار بين اكفها ... ولم ينهنا عما نود نذير
ولكن يرى لي ان قومي تنبهوا ... فقيهم رجال في العلوم بحور
ينبههم للسعي فيما يعزنا ... جواد لافكار الصلاح سمير
اذا استبقت اهل السياسة للعلا ... فتوفيقنا في ذا المقام امير

بدر : هيا يابنات غنو على ذكر الامير

البنات	يوم الخديوي سعيد . والقطر كله نظام . توفيق مصر عزيز بلغه رب المرام .
	يامصر زيدي جمالاً . فالعدل صار له حواس . رياض مجد المعالي .
	اضحى بديع الاساس . انظر لرفقي وفهمي . تلق المحاسن تمام .
	والقدر سامي علي . والفخر باب السلام . لا بد تلقى صلاحا .
	من نيل خير الكرام . فالناس اضحت تنادي . يارب حسن الختام .
بدر	هيا بنا ياعرب ننظر الى الامير ونقدم عليه

فريق التمثيل العربي

تمثيل الاحوال والوقائع المسمى بالتياترفن بديع يقوم في التهذيب وتوسيع افكار الامم واخبارهم عن الوقائع التاريخية والتخيلات الادبية مقام استاذ وقف امام تلامذته يلقنهم العلم بما تالفه نفوسهم وتميل اليه طباعهم وكان ذلك شائعاً ذائعاً بين العرب والمصريين من زمن بعيد فما كانت تحيا ليالي افراحهم الا بالممثلين ولكن لتوالي دواعي الجهالة على الامم الشرقية نظروا الى ارباب هذا الفن بعين الازدراء واتخذوهم مضحكين في افراحهم وعدوا تشخيصهم الاحوال اموراً مضحكة وانصرفوا عن العظة بها والاعتبار بما فيها فكان ابن رابية في مصر يمثل احوال الحكام واخذهم الناس للسخرة في الحبال والحديد وقتل الرجل على عشرين فضة وشنق آخر بغضب المدير اوالمأمور ونهب المزارع والماشية واصدار الاحكام بحسب مايتصور الحاكم الخط فضلاً عن المأمور وفضلاً عن المدير كما يمثل احوال من تغاضوا عن بيوتهم واهملوا المحافظة على اعراضهم وأتمنوا الخدم والمماليك فرأوا ماساءهم وغير ذلك ولكن كانت فائدته عندنا ان نضحك عليه وكذلك خلبوص العرب الى الآن يمثل وقائعهم وما جرى بين القبائل من ظفر وخذلان وحط وارتحال . فهو فن قديم أخذه الاوروبيون عن العرب عند مخالطتهم لهم في الاندلس والشام ولكنهم هذبوه وبنوه على تمثيل الوقائع الشهيرة التي لها وقع في التهذيب والتأديب وطهروه من كل ما يخل بالآداب العامة فلا تستحي الانثى من حضور مجلسه ولا يأنف الامير من تلك المواضيع وما زالوا به تنقيحاً وتحريراً حتى صيروه احسن فن

تميل النفوس اليه للتهذيب والترويح وكتبوا فيه الروايات الكثيرة بين حاصلة ومصوّرة
واعتنى به علماؤهم ومهذبوهم وقام به شراذم من ادبائهم ونبهائهم وبنيت له المباني العظيمة
وصارت مجامع الامراء والفضلاء والاعيان وقد اخذه الآن بصورته الاخيرة جماعة من
الشرقيين منهم من احسنه ومنهم من بقي تحت التمرين فكان من المحسنين الفريق
(الجوق) الشرقي المكوّن من المجيد الماهر الشيخ سلامه حجازي ومعه المحسن احمدافندى
ابوالعدل والمتقن حسين افندى الانبابي وجماعة من الشرقيين يصحبهم ثلاث مشخصات شرقيات
لم يفتهن من الاحسان شيء يرأس هذا الفريق مديره المحسن المتفنن اسكندر افندي
فرح الشرقي وقد شهد كثير من الامراء وفي مقدمتهم عطوفتلو فضيلتلو علي باشا مبارك
انهم اولى بالتشخيص في الاوبره من غيرهم لاحسانهم التمثيل وعدم وجود فرق بينهم
وبين من اتقنه من الاوروبيين ولقد رأيت ممن يحضرونهم اريحية عصبية لوقائع الرواية
فيفرحون عند الفرح ويحزنون عند الحزن ويتأثرون بالتمثيل تأثر من شاهد الاصل فنحث
ابناء مصر على الاقبال عليهم سعياً خلف مافيه منفعة النفوس وتكثير الآداب

﴿ لَوْ كُنْتُمْ مِثْلَنَا لَفَعَلْتُمْ فِعْلَنَا ﴾

هي كلمة أوروبا التي ترددها على اسماع الشرقيين كلما فعلت فعلاً يحملها عليه الاستعمار
الملكي أو الانتشار الديني وقد احكمت التأليف بين القوتين الدينية والملكية فجعلت الاولى
سفير وداد والثانية فارس جلاد وقد اضاف كل ملك اوروبي الى عنوان الملك حماية
الدين فيقول في مخاطباته ملك أو امبراطور كذا وحامي الدين المسيحي أو عبارة أشد
وقعاً في النفوس من هذه ليعلم الامم انه القابض على زمامي السياسة والدين فيؤيد رجال
السياسة بتنفيذ ما يرونه من لوازم تأييد الملك واتباعه ويساعد رجال الدين بما يبعث فيهم
الغيرة على بثه والدعوة اليه فترى رجال القوة ماشين على نسق واحد كل فيما فوض اليه
لا تفتر لهم همة ولا ترقد لهم عين عن وظائفهم التي فيها حياة الدين والملك وزيادة شرف
الامم . والامم لكونهم ادركوا ما قصده الملوك ورجال السياسة وخدمة الدين اندفعوا
معهم اندفاع السيل في المنحدرات فعقدوا الجمعيات الدينية والعلمية والصناعية والتجارية

والزراعية والسياسية وأخذ كل فريق في احسان ما كلف به نفسه واوجبه عليه مجاراة جاره في الملك ومباراة نظيره في العلم أو العمل ومسابقة غيره ممن قصدوا قصده فاشتغلوا بما اشتغل به . وقد بلغوا القصد في بلادهم وخرجوا من بلادهم محمولين على قوتي الدين والملك سائرين على نور العلم والصناعة فدخلوا الاقطار الشرقية سائحين ومتجرين واستوطنوها مراقبين ومتغلبين وجرائدهم الكثيرة العدد برزت تتسابق في ميادين الانشاء بمواضيع مبتكرة ومقالات مطولة وعبارات مزينة فاصبحت ناقلة للاخبار ناشرة للآداب معلمة للعلوم مؤيدة للمبادئ حاثة على المقاصد منشطة للهمم مرشدة للامم منبهة على الاغاليط محذرة من التقاعد والتكاسل والغفلة عن وثبة الجار أو معاكسة المتاخم ناشرة للفضائل مؤرخة لرجال الفضل والعمل حافظة لسير الملوك داعية افراد الامم الى ما فيه خير البلاد وتأييد الدين خادعة للشرقيين لاعبة بافكار رجالهم خاتلة لعظمائهم مقبحة لما هم عليه من دين وسير ومعيشة وانماء وصناعة وتجارة وزراعة منادية بينهم بان الغرب محل التشريع ومنبع العلم ومرجع الفضائل لا حياة للامم الا بما تأخذه عنه ولا مجد لمن لم ينتم اليه ولا فضل لمن يتعلم فيه ولا شرف لمن لم يتكلم بلسانه ويتعبد بعبادته ويتقيد بعاداته . هذه كليات تحتاج لبيان جزئياتها التي لا تحتاج لبرهان بعد ظهورها للعيان قالت اوروبا انكم متوحشون لكونكم لا تحسنون صنع الاثاث واللباس وانكم في حاجة الى مصنوعنا ولا تصلون اليه الا بعقد المعاهدات التجارية وبذا تمكنت من ادخال مصنوعها في الشرق لتحول الثروة اليها فاماتت ما كان يصنعه الشرقيون وحجرت على ما لا بد منه من صناعة الشرق الهندية وغيرها فما يصنع في الهند والصين والعجم والاناطول وغيره انما ينفق ويباع على يد الاوروبي كما يباع وينفق مصنوع بلاده فالشرقيون أجراء يزرعون ويحصدون ويصنعون ليروجوا تجارة اوروبا ويعظموا ثروتها ويؤيدوا قوتها الملكية بالايرادات المالية فلا حظ لهم في الوجود ولا رغبة لهم في الملك كأنهم امام اوروبا جنس خلق لخدمتها لتقاعدهم عن مجاراة اهلها ومما زادهم بعداً عن الصناعة وثمراتها وجود دخلاء أجراء يزعمون انهم نصحاء يثبطون الهمم ويرمونهم بالضعف ويوهمونهم عدم صلاح بلادهم للصناعة ويغرونهم بتعذر ذلك لتعذر المعدات والآلات وهم

يعلمون ان كثيراً من الممالك التي لا آلات فيها استعانت بآلات اشترتها من الغير واحيت صناعتها الوطنية وحتمت على اهلها شراءها لرواج صانعيها ومنعت دخول مصنوع الغير حفظاً لثروة اهلها فهم بصرفهم الهمم بهذه الترهات يريدون بقاء الشرقي في قبضة الغربي احتياجاً اليه وترك الشرق ميداناً لمسابقة رجال اوروبا فلا يجدون مصنوعاً يعطل عليهم ولا معرضاً عن صناعتهم فتبور . وضعفاء العقول يغترون بخداع هذا الدخيل ويظنون انه من المخلصين فلا يتحركون لعمل من الاعمال لوقوعهم في اليأس والقنوط بالمفتريات ورجال اوروبا تتعجب من تقاعدهم وتقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

قالت اوروبا ان وقوفكم عند عاداتكم الشرقية وتخلقكم باخلاق آبائكم بقاء على الهمجية والتوحش فلا بد من مجاراتنا في حركاتنا المدنية لتساوونا فى الرتبة وفتحت لنا البيَر والخمارات والمقامر وأباحت الزنا والربا ووسعت دائرة اللهو والخسران فغفل الشرقيون عما وراء ذلك من ضياع الدين والملك والمجد والشرف وانكب الاغبياء والمغفلون على الخمور فساءت اخلاقهم وضعفت عقولهم وفسدت عقائدهم وتحولوا الى المومسات فارتكبوا الاثم بارتكاب المحرم والعار باتخاذهم الوطنية آلة للفحش وجعلها عرضة للاجنبي بعدم غيرتهم عليها فهم في رتبة القواد بل هم هم ومال فريق الى القمار فباع الغيط والدار واضطر لبيع حلي زوجته برضاها او بسرقته منها والكل عطف على المرابين يقترض ويصرف في الملاهي ومتلفات العقل والجسم والملك حتى اسكن الاوروبي مكانه وصار له خادماً بعد ان كان عظيماً محترماً وكلما تهالك الشرقيون على الخمور والملاهي واصلت اوروبا رسائل الخمر وارتحل اليهم المومسات وارباب الملاهي تحويلاً للثروة وازهاقاً لروح الدين حتى اصبح المتلبسون بهذه القبائح والفضائح لا شرقيين ولا غربيين واتخذتهم اوروبا وسائل لتنفيذ آرائها ووصولها الى مقاصدها من الشرق وهى تحثهم على المثابرة على عملهم باسم المدنية وما هي الا التوحش والرجوع الى الحيوانية المحضة اذ لو كان الانغماس في الملاهي ومفسدات العقل والدين من المدنية لما تحاشته اوروبا وعدت مرتكبه همجياً جاهلاً مجنوناً ولما وضعت القوانين الشديدة للمسكرات ومنع التلامذة منها ولما كتبت الرسائل العديدة في ذم الخمر والفسوق وحرمان ضعفاء العقيدة والمتقاعدين

عن العبادة وحضور الكنائس وانما هذه اشراك ونخاخ تنصب في طريق الشرقي حتى لا يخطو خطوة الا وقد وقع في حبالة اوروبا . ولما رأت اوروبا ان الشرقيين لا ينتبهون من غفلتهم ولا يعقلون مقاصد الدول ولا يدركون مكايد الملوك ولا يسعون في صالح بلادهم ولا يحافظون على دينهم ولا يعرفون شرف لغاتهم ولا يحفظون كراسي ملوكهم ولا يهمهم ضياع اوطانهم اتخذتهم كرة تلعب بهم كيف تشاء وهي تقول لهم لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

قالت اوروبا ان الشرق في حاجة لتداخل اوروبا لاصلاح ادارته وماليته وتجارته وتهذيب أممه بالتعاليم الاوروبية واجمع رجال أوروبا على جعله قسماً مقابلاً لها وربطوا عزمهم على ضمه اليهم الجزء بعد الجزء والقطعة بعد القطعة على اتفاق معقود بين الدول هذا لي وهذا لك ثم تلوا في الدخول فيه تلوي الافعى وملكوا بعضه بالتجارة والبذل وبعضه بدعوى مس حق دولة او اهانة بواب قنصل او حفظاً لطريق مملكة . والداهية الدهياء ان ملوك الشرق وعظماءه ملأوا قلوب أممهم بالاوهام وخوفوهم من الاوروبي وارهبوهم باسم اللورد والبارون والكونت والمركيز والجنرال والاميرال والسير والماجور حتى خيلوا لهم ان الاوروبي ملك يمكنه قلب المملكة او جني يقدر على حرقها فامتلأوا رعباً وخوفاً ولبسوا ثوب ذل وهوان وذلك بسبب المعاملة التي يعاملونهم بها في وقائعهم مع الاوروبيين وقد اضطروا كثيراً من الوجهاء والنبهاء الذين ينتفع بهم الوطن والملك الى الاحتماء بالغير تفادياً من تلك المعاملة فكانوا اقوى يد للاوروبي في تداخله واستيلائه على ممالكهم . فلو ربوا رجالهم على الحماسة ومرنوهم على الاعمال وبثوا فيهم روح الحمية بالمحافظة على حقوقهم وترقيهم بحسب استعدادهم وساعدوهم على انتشار الصناعة والتجارة وهذبوهم بالادبيات وصانوهم من المفاسد العقلية وعلموهم العقائد الدينية وعودوهم على الشعائر الملية ونبهوهم بجرائد وطنية صادقة اللهجة صافية النية عارفة بما يقدمهم وينفعهم واوقفوهم على تواريخ آبائهم ومسابقات الدول في بلادهم ودسائس اوروبا وحذروهم من رجال الفتن والاجراء الذين يخدمون اوروبا باسم المصلحة الشرقية لوجدوا امامهم رجالاً واي رجال ولكنهم اهملوا ممالكهم واهدروا حقوق رعاياهم فاصبح ملوك

اوروبا يفخرون عليهم ويعيرونهم بما صاروا اليه من الضعف والاضمحلال ويقولون لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

ولا لوم على الاوروبيين في ذلك فانهم انما يسعون في مصالحهم واتساع ممالكهم وتجاراتهم والشرقيون يرونهم يعملون الاعمال العظيمة في بلادهم وهم ينظرون اليهم نظر المغشي عليه من الموت ولا يتحركون لمجاراتهم او لايقاف تيار تداخلهم ويرونهم يسلبون اعمال امرائهم وولاتهم عملا فعملا وهم ناكسون الرؤس ومنكمشون في ثيابهم تسمع منهم اصوات عالية في خلواتهم يظنها السامع اصوات اناس حريصين على المجد والشرف فاذا خرجوا الى الطرقات ساقهم اضعف اوروبي بعصاه وهم بين يديه كأنهم قطعان الاغنام تساق الى الحظائر . بمن تقيس الجزائري اذا شاركه التونسي والهندي والمصري والقبرسي والعدني والمسقطي والزنجباري والبرنوي والبخاري والمروي والطاغستاني والتركماني والسرخسي وقابله المراكشي والافغاني برعدة الخائف الوجل ونظر اليه العجمي والعراقي واليمني والحجازي والنجدي والسوري والطرابلسي والاناطولي نظر المتوجس الحذر الذي تبعثه الهمة وتقعده القلة كلما شموا رائحة السلم من دولة جاءهم انذار الحرب من اخرى سعياً خلف الدين لا طلباً لسعة الملك فانه لوكانت الدولة العثمانية مسيحية الدين لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبيرة والصغيرة التي هي جزء منها في الحقيقة ولكن المغايرة الدينية وسعي اوروبا في تلاشي الدين الاسلامي اوجب هذا التحامل الذي اخرج كثيراً من ممالك الدولة بالاستقلال او الابتلاع . واننا نرى كثيراً من المتفلين الذين حنكتهم قوابلهم باسم اوروبا يذمون الدولة العلية ويرمونها بالعجز وعدم التبصر وسوء الادارة وقسوة الحكام ولو انصفوها لقالوا انها اعظم الدول ثباتاً واحسنها تبصراً واقواها عزيمة فانها في نقطة ينصب اليها تيار اوروبا العدواني لانها دولة واحدة اسلامية بين ثماني عشرة دولة مسيحية غير دول امريكا وتحت رعايتها جميع الطوائف والاجناس والاديان وكثير من اللغات والفتن متواصلة من رجال اوروبا الى من يماثلهم مذهباً او يقرب منهم جنساً وكل دولة طامعة في قطعة تحتلها باسم المحافظة على حدودها او وقاية دينها مع اتساع اراضيها وعدم وجود السكك الحديدية المسهلة للنقل والتحول

وعدم وجود انهر مستمرة الفيضان في غالب اراضيها ووجودها تحت رحمة الله تعالى ان شاء امطرها فاخصبت او منعها فاجدبت وهذه امور لو ابتليت بها اعظم دولة اوروبية ما قاومت هذه الصواعق اكثر من عام او عامين وتسقط او تتلاشى . ولكنها تلام على اعطاء السكك الحديدية التزاماً للاوروبيين بواسطة اناس يزعمون انهم من رعيتها ظاهراً وهم فرنساويون او انكليز باطناً فان السكك الحديدية بالنسبة الى المملكة كالشرايين بالنسبة الى الجسم فهي من اعظم العلل التي ستتخذها اوروبا وسيلة للتداخل باسم وقاية املاك اتباعها ومن لنا بكف يد الوزراء عن مثل هذا التهاون ويكفي ما جرى وما ذهب منا سدى فان ارتكنا على الشروط فقد ارتكنا على اوهن من العنكبوت فاننا لم نقدر على تنفيذ عهدة برلين فيما يختص بنا وقد وقع عليها الدول فكيف ننفذ شروطاً بيننا وبين رجال جعلتهم الدول ذرائع للتداخل ووسائل لاسوء المقاصد . ولقد اذهلتنا اعمال اوروبا التي لم تسمح لشرقي بامتلاك شبر في ارضها وهي تخرجنا من مساكننا وتقيم فيها بلا شروط معقودة ولا حجة مسجلة ولكنها معذورة فانها لم تجد من يعارضها او يجاريها فهي لا تعترف انا معها في ثوب الانسانية بل تقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

ان دولة من دول اوروبا لم تدخل بلداً شرقياً باسم الاستيلاء وانما تدخل باسم الاصلاح وبث المدنية وتنادي اول دخولها انها لا تتعرض للدين ولا للعوائد ثم تأخذ في تغيير الاثنين شيئاً فشيئاً فلا تقدم على العمل بل تفعل الشيء على قبل التجربة فان نفذ فقد مضى وان عورضت فيه التزمت التأويل كما تفعل فرانسا في الجزائر وتونس حيث سنت لهم قانوناً فيه بعض مواد تخالف الشرع الاسلامي بل تنسخ مقابلها من احكامه ونشرته في البلاد واتخذت لتنفيذه قضاة ترضاهم ولما لم تجد معارضاً اخذت تحول كثيرا من مواده الى مواد ينكرها الاسلام توسيعاً لنطاق النسخ الديني ولم تلبث ان جاريناها واخذنا بقانون يشبهه ان لم يكن هو هو ولم يتنطح في اصلاح مواده المخالفة عنزان ثم تداخلت في الاوقاف واستولت على غلها ومنعت المستحقين وطردت كثيراً من خدمة المساجد اقتصاداً مالياً وتخفيفاً دينياً ثم رفضت ضباط العساكر الوطنيين الكبار

واستبدلتهم برجالها خوفاً من ثورة يدفعونها بها عن بلادهم او يحمون بها دينهم ثم حجرت على المدارس تعليم بعض علوم شرعية والزمتهم بتعليم لغتها والاخذ بالطبيعيات والرياضيات حتى لا يشم الابناء رائحة الدين لئلا يعلموا انهم يغايرونهم ديناً فيثورون عليهم او يلتجئون الى دولة أخرى وهذه عواقب الالتجاء الى دول أوروبا والاغترار بوعودها الخلبية وشروطها المكتوبة بالماء على صفحة الهواء . وهذه دولة الروسيا دخلت مرو وهراة وبخارى باسم حمايتها من اعدائها وبعث اليها بتجارتها فنفذت ثم برجال يساكنون اهلها فضوا ثم بعساكر في الحدود فاقاموا ثم بشروط تربطها بها فأمضيت ثم هي آخذة في تقدم لغتها هناك توصلاً لاعدام اللغات الوطنية التي يموت بموتها الدين وحمية الجنس والغيرة الوطنية وهذه انكلترة دخلت مصر باستدعاء اهلها واخذهم بناصرها بعلة تأييد المركز الخديوي الشريف ثم زيد على تلك العلة علة بث النظام ووضع حكومة ثابتة تشابه حكومات اوروبا وقدبذلت ما في وسعها في التحسين والتنظيم بمايترا آى لها ولم تجد غير آذان سامعة وايد عاملة ولكننا مع كثرة سماعنا وتعليمها لنا لم نقلدها في شيء مما دخلت لبثه فينا بل تركناها تفعل افعالها ونحن نتفرج عليها كاننا في ساحة سيماويٍّ يرينا من اعماله العجائب ونحن في حيرة من العابه المدهشة . ومن جهل اعمال انكلترة في مصر بيناها له ليرى انه حقيق بما يوجهه اليها من النكير . اولاً اطلقت حرية المطبوعات والافكار فرأينا الجرائد الكثيرة تتكلم بما تريد وتتصرف في افكارها كيف تشاء . هذه تقول أنا وطنية أنادي بان خير البلاد وصلاحها موقوف على جعل الاعمال بيد المصريين تحوطهم عناية الحضرة الخديوية تحت مراقبة بريطانيا العظمى حتى اذا رأتهم قاموا بحكومة ثابتة مؤيدة بالقانون الحق النافذ وفت وعدها واجلت جندها وتركتهم يتمتعون بحريتهم في بلادهم كما تتمتع البلغار والجبل الاسود والسرب وغيره مما هو اقل من مصر بكثير والامة مرتاحة لها . وهذه تقول مصلحة البلاد موقوفة على زيادة نفوذ الانكليز ووضع الادارات تحت ايديهم بمساعدة النزلاء حتى يتهيأ المصريون لاستلام اعمالهم لا تبالي رضي عنها المصريون او غضبوا منها . وهذه تقول ان فرنسا هي الدولة الوحيدة في المحافظة على مصر وحقوق السلطان فيها وتأييد الخديوي ولا يضرها الا وجود الانكليز فيها .

وهذه مذبذبة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وهذه علمية تهذب النفوس وهذه تورد لهم
من مصادرات الاديان ما يوقعهم في الشك والتردد وهذه دينية وهذه حقوقية وهذه
طبية . ثم تركت المصريين يغدون ويروحون بين هذه المتناقضات وهم يتناظرون
ويتجادلون لا رقيب عليهم ولا جاسوس ولما رأت ان كثرة المؤثرات الفكرية لم تنبههم على
طلب حقوقهم وظهورهم امامها بالتظاهرات الادبية استدلالا على استعدادهم للقيام
باعمال بلادهم تركت الجرائد تخوض في المواضيع المتضادة وتلعب بالافكار الجامدة
ونحن في بحار اللهو غارقون . ثانياً انها كفت يدها عن الاعمال عند دخولها مصر
وسلمتها الى المصريين ظاهراً لتقيم الادلة لاوروبا انها ما دخلت الا لتراقب المصريين
وتشير عليهم بما فيه التوفيق بين مصالحهم ومصالح الدول ولما لم تجد امامها من يجعل
هذا الظاهر باطناً بحصر السلطة في الذات الخديوية الفخيمة والادارات فى الوطنيين
اخذت تقول وهم يفعلون حتى اصبحت تفعل وهم لا ينطقون وكانت تتقي باسمهم المطاعن
الاوروبية حتى خلا الجو وأمنت الاعتراض فاخذوا يذمونها ويرمونها بخلف الوعد
ونكث العهد وعدم الصدق وطول الباع في الخداع وهم غير محقين فانها ما دخلت الا
لتعمل عملا امام اوروبا فلما فوضوا اليها الاعمال استلمتها بهمة ونشاط . ومثلها ومثلهم
كمثل لص دخل دار قوم وقال لهم حملوني ما عندكم من اثاث وحلى وآنية فاخذوا
يحملونه ما يريد من غير معارضة فهل اذا دخل عليه البوليس واهل الدار يحملونه
بايديهم يقول هذا لص كلا بل يقول انه صاحب الدار وهؤلاء خدمه . أيرون ان
الانكليز هم الذين نشروا منشور الومسات ورخصوا للنساء ان يخرجن للبغاء تحت
حماية القانون . ام هم الذين سنوا كشف الاطباء على البغايا واعطاءهن شهادات بانهن
صالحات للزنا فهتكوا حرمة القرآن والانجيل والتوراة بتحليل ما حرمه الله تعالى في كل
كتاب . ام هل قالوا للمصريين ستنفق ملايين في المقاولات والاعمال الهندسية من
غير ان نسأل عما نفعل فيها فاياكم والسؤال عن مبالغ ستكونون عبيداً مكلفين بسدادها
الى روتشلد وغيره . ام هم الذين اعطوا الالتزامات الوابورية والارضية ووسعوا نطاق
المعاهدات الى ان ضيقوا كل عمل مصري . ام هم الذين منعوا المصريين من زراعة

الدخان والحشيش لتروج مزارع اوروبا بخراب بيوت هؤلاء الضعفاء . ام هم الذين باعوا مهماتهم وآلاتهم بغير ثمن وربما اعطوا من اخذها شيئاً يستعين به على نقلها حتى تركوا البلاد محتاجة لمن يحرسها بالعصا او بالنبوت . ام هم الذين ابعدوا المصريين عن الخدمة وحشروا الغرباء في المصالح حتى اصبح الوف من المصريين لا يجدون القوت ولا يعرفون لاستخدامهم مرة ثانية سبيلا . ام هم الذين قللوا من تلامذة المصريين في مدارسهم واكثروا من استخدام الاجانب فيها وتدرجوا لاماتة لغتهم الوطنية بفرض المكافآت لمن ينبغ في الانكليزية لتنسى لغة القرآن فينسى بها الدين الواقف عقبة امام اوروبا كما يصرحون بذلك في مجالسهم واندية شوراهم . لا والله ما نالوا املا ولا قارفوا عملا ولا اذلوا رجلا ولا خربوا بيتاً ولا هتكوا حرمة الا بالمصريين . ماذا على الانكليز اذا سعوا في ربح تجارتهم واستخدام ابنائهم ولم يجدوا عائقاً أيرجعون وهم لهذا مرتحلون. ومن يلومهم اذا وجدوا طريقاً لتوسيع ممالكهم لا خوف فيه ولا عقبات أيتركونه وهم في جميع بلاد الدنيا طامعون. كانوا يرون ان المصريين اذا رأوا دولة حرة دخلت بلادهم لتأييد خديويهم واصلاح بلادهم وتعريفهم حقوقهم بين الامم تجمعوا حول اميرهم حاملين كرسي فخامته على رؤسهم منادين باسمه قائمين بتنفيذ اوامره محافظين على حقوقه مستميتين في اختصاصهم باعمالهم والقيام بشعائر دينهم مجتهدين في حفظ الامن وخدمة البلاد حافظين لحقوق الاجانب والغرباء النزلاء والمجتازين جاعلين محافلهم التي استخدمتها اوروبا في مصالحها محافل وطنية تستخدم اوروبا في مصلحتهم فكانت تساعدهم على هذه الامور التي تعهدت لاوروبا ان تعلمها للمصريين وتؤهلهم اليها ولكنها رأت غير ما ظنت فلا لوم عليها اذا وضعت قدمها على عمائمنا لتعلو جواد الفخر والخيلاء

لماذا نتألم من اعمالها وامراؤنا اقتصروا على القعود في القصور وركوب العربيات للتفسح في المنتزهات وعقلاؤنا صامتون لا ينطقون بكلمة رجاء او صوت استصراخ وضعفاؤنا حيارى ينتظرون هؤلاء وهم عنهم لاهون ونبهاؤها في المحافل يتحاورون ويتناظرون بما لا يفيد الوطن والملك شيئاً متعللين بان محافلهم لا تتعرض للسياسة ولا للدين فاذا انصرف النبهاء عن وجهتي السياسة والدين فبمن تقوم الاعمال ويتقوّم اود الحكومة

ويبقى عمود الدين قائماً كبقيـة الاديان . ابا لاخاء الذي ربطناه بين الاجنبي تتخلى له
عن مرجع المجد واصـل الشرف . وهل تريد اوروبا ان تنتصر علينا في حرب عوان
با كثر من صرف نبهاء البلاد عن النظر في الملك والدين ليخلو لهـا الجو فتفعل ما تشاء
وتغير ما تشاء مع أن النبهاء يمكنهم ان يستخدموا حـافلهم في مصالح بلادهم فيتمكنوا
بقواهم العقلية ممـا لا يمكنهم منه سيف ولا مدفع من غير اثارة فتنة او اراقة قطرة دم
و يصلحون ما افسده الاغترار والانخداع ويحدثون في البلاد عصبية وطنية لا تردها اعظم
امة عن مشربها المصري وسعيها المؤيد بربط القلوب على عزيمة واحدة صادقة . وما
الذي استفاده النبهاء المصريون من الاخلاط والامشاج غير تقدم الغير وتاخرهم واتخاذنا
بيت مال لفقرائهم وعجائزهم . دعونا من المجاملة في الكلام والتستر بمـا استهجنه العقلاء
ما ابتدعت المحافل الا لتصيير الممالك دستورية وقد نجحت في ذلك وقلبت كثيراً من
ممـالك اوروبا وحيث اننا بين يدي حكومة دستورية فلم لم نؤيدها بعصبية وطنية
ونظهر من اعمالنا ما تفتخر به انكلترة امام اوروبا والا فان بقي الامراء في البيوت والنبهاء
في المحافل على ما هم عليـه والعقلاء صامتين والضعفاء طائرين حول اوهام الاجنبي
وارهابه والخديوي الاعظم ينظر الى هذه الجموع نظر الاب الرحيم الى الابناء العاقين
فلا نعترض على بربر افريقية فضـلاً عن الانكليز اذا جاءوا واخرجونا من مساكننا
وابعدونا عن عائلاتنا وتمتعوا بمـا نخلفه لهم من عرض ومال ومتاع وعقار . مضت والله
ايام التقاعد والاغترار بالترهات وصرنا بين يدي خديوي يريد ان نجاري الانكليز في
الاعمال الاصلاحية والمطالبة بحقوقنا الوطنية ونحن عن ارادته السنية ساهون . ويحب
ان نتقـدم في التجارة والصناعة والزراعة والمعارف ونقبض على ازمة امورنا ونحفظ
عرشـه المصري بالمصريين ولكننا عن نظره العالي عمون . يتألم من ضياع المصري
والاستخفاف به وتركه في زوايا الاهمال اكثر من تألم المبعدين ولو احسسنا بما عنده من
الآلام لبتنا لمضاجعنا جافين. ان اوروبا تنظرنا من بعيد لترى اعمالنا وما نتقلب فيه من
الاحوال وما تهدينا اليه انكلترة مما تؤيد به الخديوي الافخم كمنشورها التداخلي ونحن
عن هذا كله لاهون . كفوا ايها المصريون عن القيل والقال فقد عيرتنا الامم باننا نقول

ولا نفعل واظهروا بين يدي انكلترة برجال يسرها تجمعهم حول اميرهم الذي جاءت تؤيده واطلبوا منه حقوقكم المقدسة واشكروا انكلترة على ما اوصلتكم اليه من الحرية التي تركتكم تتظاهرون تظاهراً ادبياً طلباً للحقوق وسعياً خلف الحقائق والامتيازات الوطنية فان كل انكليزي يراكم في هذا التقاعد وهو يدأب في عمله الليل والنهار يقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

كلكم قائل « بيدي لا بيد عمرو » مضت السنين العشر التي قابلتم غرتها بالافراح والزين وطرتم فيها حول الاوهام طرباً وسروراً وعميتم عن سوء العاقبة فانشد شعراؤكم القصائد الطنانة الرنانة مدحاً وثناء وشربتم الخمور جهاراً باسم من استعديتموه على بلادكم ونصرتموه بتثبيط اخوانكم وبذلتم اموالكم وارواحكم في دخولهم البلاد والتخلي لهم عما بايديكم من الاعمال . ولطالما طأطأتم الرؤس وحنيتم الظهور وركعتم امامهم تعظيماً وتسليما وبصقتم على وجوه اخوانكم ولبستم اجمل ثيابكم تنتظرون يوماً يقتل فيه مائة الف مصري . فهذه الايام تريكم كيف تدور الدوائر وكيف تنقلب الاحوال بالاهوال على من لم يقرأ العواقب ومن يلقي نفسه بين نيوب الصل خائفاً من العظاية (السحلية) فقد ابدلت المصائب الولائم الاجنبية بالمآتم الفقرية ودعتكم لتكسير اعواد الطرب والسرور وضرب دف الندب والرثاء . وهل تجزون الا ما كنتم تعملون . مضى امس بخيره وشره وجاء اليوم بتحذيره وانذاره وقد سار المرحوم افندينا توفيق باشا الى جنة ربه . وزين عرش الحكومة المصرية الملحوظ بعناية الله تعالى افندينا عباس باشا الثاني ولا عسكرية تطلب منه حقوقا وطنية فيقال انها تريد ان تستبد عليه او تضعف سلطته فأولى ان يستعين بدولة كذا . ولا خوف عنده من اجنبي يهدده بمنشور ينشره ليجعله وسيلة للتداخل العدواني . ولا احزاب بين يديه فرقتهم الضغائن الباطلة فشقوا عصا الجامعة الوطنية والوحدة الدينية بوسوسة جاهل ونزغ محتال . بل هو الهمام الحازم الصادق الوطنية المحب لجميع اجناس رعيته على اختلاف اديانهم الساعي في منح الوطنيين حقوقهم وتمتعهم بخصائصهم الادارية وما يحتاج في تنفيذ ارادته الا الى رجال نبهتهم صدمة اوروبا الى الرجوع عما هم فيه من الاغترار والاستغفال فخاطوا اميرهم مخلصين في انقيادهم اليه لينادي

بهم رجال انكلترة قائلا هؤلاء رجالي الذين تريدون ان تؤيدوا بهم حكومتي النظامية فضعوا الاعمال في ايديهم واختبروهم فيما يقومون به من الاعمال . هؤلاء الذين ربتهم مصر وشهدت لهم اوروبا و وقفوا مع سابقيهم تسعين سنة يديرون الاعمال بانفسهم ويصلحون البلاد حتى حاكوا بها مدن اوروبا الشهيرة بل ربما وجد الاجنبي فيها من الراحة ما لا يجده في اعظم مدن اوروبا هؤلاء الذين قلتم لاوروبا اذا وجدنا قوماً لهم قدرة على الاعمال وفيهم استعداد لحفظ الامن ونشر المدنية سلمناهم بلادهم وودعناهم بسلام فهلا جربتموهم في عمل . هؤلاء الذين لا يحتاجون لمجاراة غلادستون في سياسته ولا بسمارك في خداعه ولا القيصر في شدته فانهم يديرون اعمالا بسيطة مكفولة بالقوانين والنظامات ليس فيها سعي خلف استعمار ولا اجتهاد في نشر دين ولا تحايل على توسيع حدود فاية صعوبة في مثل هذه الاعمال . هؤلاء الذين جئتم لتأييدهم في مراكزهم ودفع يد العدوان الوهمي عنهم وقلتم في مصر من الرجال فلان وفلان فلا يحتاجون الا الى مراقبتهم مدة قصيرة في ادارتهم الجديدة . هؤلاء الذين درسوا اعمالكم وحفظوا نظامكم ووقفوا منتظرين تحقيق الآمال وصدق الوعود فعلام تتعبون في تهذيبهم ان كانوا لا يصلحون . وماذا ترجون منهم بعد تعليمهم اصولكم العسكرية والادارية والمالية والقضائية ان كانوا لا يفلحون . هؤلاء الذين هم احق واولى من غريب تستخدمونه باموالهم المتحصلة منهم وتنفقون عليه من ذهب ما دفعه اوروبي ولا حصله غير مصري فاي مانع يمنع المصريين من المطالبة بحقوقهم بالتظاهرات الادبية أصرنا اقل درجة من فعلة الانكليز والغزالين الذين تعصبوا لحقوقهم وتجمعوا لراحتهم واذهلوا العالم بافعالهم التي ما دخلها شغب ولا تخللها خلل . وكاني بدخيل يوسوس للاجانب قائلاً ان الاستاذ يدعو الى ثورة مصرية بهذه العبارة فقد تعودنا سماع الاراجيف من الدخلاء وتسليط الاوروبيين على كل بلد نودي فيه بالمحافظة على وطنيته ونحن نضع حجراً في فم هذا الدخيل قبل ان يحرك شفتيه بكلمة اغراء . ان المصريين قد جربوا انفسهم في التظاهر بالقوة فوقف شقاقهم بينهم وبين الظفر بالمقصود وهم شاكو السلاح كثيرو العدد والعُدد والآن لا قوة بايديهم ولا سلاح وقادة الجند من الاجانب ولا يحمل العسكري

الا بندقية فارغة حكمها حكم عصا الراعي ولا موجب لحركة الاهالي حركة عدوانيـة بعد خضوعهم لاميرهم وانقيادهم اليه في السر والعلن وقد تأدبوا وعلموا دسائس اوروبا وتنبهوا لمقاصد الدول وسعيهم في اتخاذهم آلة لبلوغ مآربهم لا لمصلحة المصريين معاذ الله ولا لمنفعة المسلمين استغفر الله فما من مصري الا وهو يعلم الآن ان اوروبا لا تصدق في قول ولا تفي بوعد ولا تحب شرقياً ولا تسعى في خير مصري وانما هي ملاعب سياسية يقدمونها بين اعين الجهلاء الذين لا خبرة لهم بدهاء الدول ومطامعها يستميلونهم بها استمالة الطفل بقطعة حلوى او ثوب منقوش . ومن انتهى بهم الامر الى الوقوف على الغايات والمقاصد السيئة مع فراغهم من المعدات الآلية وعدم حاجتهم اليها يستحيل عليهم ان يكدروا صفو الراحـة بشغب اصوات فضلا عن قعقعة سلاح . وما يدعوهم الاستاذ الا الى مجاراة الاوروباويين فيما هم فيه من معرفة قدر نفوسهم والمحافظـة على حقوقهم ولغاتهم واديانهم وعوائدهم والدأب خلف الاستقلال باعمال بلادهم فانهم لا يجهلون ان كلاً من السرب والبلغار والجبل الاسود ورومانيا اقام تحت تصرف الدولة العلية اكثر من خمسمائة سنة وفي هذه المدة ما استطاعت الدولة ان تغير دينهم او لغتهم او عادتهم بل حافظوا على الاصلين العظيمين اللغة والدين وزاحموا ولاة الترك في الاعمال والادارات واكثروا من الصياح والاستنجاد حتى وقعت الحرب الاخيرة واستقلوا فلم يحتاجوا لتجديد لغة او عهد دين او اعادة معبد ووجدوا انفسهم هم الذين كانوا قبـل ذلك بخمسمائة عام وقد قوبلوا على ذلك بمدح جميع اوروبا وثنائها عليهم وكان من اعظم المساعدين لهم بل المحركين لهم نفس انكلترة التي نريد ان نجاريها في اعمالها او نجاري من انجدتهم من بعيد ونحن اقرب اليها من حبل الوريد . والاستاذ يعرض مقالته على كل عاقل منصف مصرياً كان او غير مصري واظنه لا يسمع الا قول المخلصين انها اخبار بحقائق وطلب بحقوق لا تمس شرف رجل ولا تتعرض لامة ولا تطعن في سياسة وانمـا هي محض درس تهذيبي لمن يسوءهم قول الاوروبيين لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

قضى المسلمون مع الاقباط ثلاثة عشر قرناً وهم في اختلاط اهل بيت ومعاملة عشـيرة

واتحاد عائلة ما جرى بينهم يوما واقعة عدوانيـة مسببة عن اختلاف الدين كما نشاهد ونسمع من طرد اليهود من بلادهم وسلب املاكهم وحليهم واستحلال تعذيبهم وسوقهـم الى سيبريا حفاة فيهم القيود والاغلال وتخييرهم بين الانتقال من دينهم او الرضا بالاشغال الشاقة في سيبريا التي هي جهنم العـذاب اوجهنم شبيهة بها . ولا فعل معهم المسلمون مثل ما فعلته فرنسا مع الجزويت وهم اخوانها في الدين وان اختلفوا في المذهب ولا مثل ما فعله البلغار مع المسلمين من هدم مساجدهم وقتلهم وهم في الجمعة يصـلون ولا مثل ما فعله الروس في الشركس الذين اضطروا لترك اوطانهم واثاثهم وماشيتهـم وهاجروا الى بلاد الدولة مشاة لا يحملون الا اجسادهم . بل بقينا معهم كل هذه المدة نتبادل الوظائف والزيارات وامتلاك الطين والعقار فلم نسع في شق عصا اجتماعهم وتفريق كلمتهم لتتخذ ذلك ذريعـة الى امر مطوي في باطن المستقبل ولهذا لم تجد دولة من الدول العـدوانية علة دينية تتداخل بها في شان مصر باسم راحة المسيحي والمحافظة على المعابد المقدسة واعطاء الاقباط حريتهم في عوائدهم الدينية بل كان ائتلاف المسلمين بهم حجاباً بـين مصر وبين تلك الدعوة التي تعودتها اوروبا تغريراً وتضليلاً وفتحاً لباب الحروب بعلل وهمية لا وجود لها في الخارج . ولهذا نرى المسلمين متألمين من انشقاق اخوان الوطنية وحل رابطتهم التي مضت عليها القرون الكثيرة وهي اوثق رابطة عقدت عليها القلوب لا الخناصر والكل يهجس ويخمن في الباعث والعاقبـة فقد ادبتهم مساعي اوروبا الخيرية ووجدوا تحت كل نصيحة من نصائحها اساليب شتى للاذلال والاستعباد على ان الامر لو كان متمحض القبطية لساء المسلمين تنافرهم وهجرهم كنائسهم ومقابلة بعضهم بعضاً بصـدور ممتلئة بغضاً وحقداً بعد ان كانت وعاء الفة ومحبة وهذه ثمرة المخالطة الاجنبية وحسنة من حسنات اوروبا التي تتصدق بها علينا . ولسنا نتكلم في الشقاق من حيث داعيه وانما نتألم منه من حيث هو شقاق بين طائفة صغيرة يكفي في فصل القضاء بينها احد العقلاء حرصاً على الجنسية والجامعة الوطنية وجبراً لصدع قلوب كلها فروع اصل واحد ولا نتكلم على الباعث الديني باكثر من أملنا في التوفيق بين الفريقين وسد الاذن عن سماع الاصوات الاجنبيـة التي تحرك النفوس وتظلم القلوب

وتدخل المجموع تحت كلية اتفقنا واختلفتم لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

فيابني مصر لم تبق قطعة في الارض الا والجرائد تنقل لكم اخبارها وتريكم اعمالها فاذا لم تكونوا أهلاً للاختراع كما قال لكم احد الانكليز فقلدوا عقلاء اوربا في افعالهم وكفاكم الاغترار بترهات المضلين والالياذ بالاجنبي الذي سلبكم ثوب المجد ولم يبق الا ان ياكل لحمكم ويشرب دمكم غيظاً على امة تدفعها الطوارئ الى وهدة المصائب وهي قادرة على دفعها ولا تتحرك ولا حركة مذبوح . ليعد المسلم منكم الى اخيه المسلم تأليفاً للعصبية الدينية وليرجع الاثنان الى القبطي والاسرائيلي تأييداً للجامعة الوطنية وليكن المجموع رجلاً واحدا يسعى خلف شيء واحد هو حفظ مصر للمصريين . ايكفينا من الثروة ان نرى اكبر تاجر منا لا تزيد ما ليته عن عشرين الف جنيه واذا عددنا هذا القسم قلنا واحد اثنان فاذا انتهينا الى التاسع وقفت بنا الاعداد اما تتحرك الهمم الخامدة لفتح محال التجارة شركات وطنية تجمع من سهام قليلة فتربح كثيراً وتفتح بيوتا اغلقت ابوابها او كادت اعجزنا عن مجاراة الامم حتى في هذا العمل الذي يقوم به الاميون والجهلاء الذين تبعثهم ضرورة المعاش الى اتخاذ طرق الاتجار بالاتحاد . ألا تقدرون على عقد شركات تشتري اجزاء من اطيان الدومين او الدائرة لتربحوا منها وتستخدموا فيها اخاكم الفلاح وتعوضوا بعض ما اضاعه الاسراف في الملاهي والخروج عن الحد وصيره في يد الاجنبي . افلا يحسن في اعينكم ان تفتحوا مدارس لابنائكم تهذبونهم فيها وتعلمونهم وتحولون بينهم وبين الوجهة الاوروبية التي تغرسها بلادنا مدارس اوروبا في اذهانهم تداركوهم قبل ان تفقدوهم . عرفوهم انكم آباؤهم قبل ان ينكروكم . لقنوهم ما انتم عليه من الدين قبل ان يخالفوكم . حفظوهم تاريخ بلادكم واجدادكم قبل ان يجهلوكم . ردوهم الى الوطنية قبل ان يحملوا سلاح العداوة ليتقربوا بدمائكم الى من ربوهم وتبنوهم « جاوَزَ الحِزَام الطُّبَيَيْن » ومرق السهم من الرمية واصبح لهيفهم ينادي غافلكم

فان كنتُ مأكولاً فكن خيرآكلي   والا فأدركني ولمَّا أُمزَّقِ

وارحمتاه لصبية وضعهم الله تعالى امانة في ايدينا نخناه فيهم واسلمناهم الى اجنبي يستهيم

شرابًا ما شربه الآباء ويسوقهم في طريق ما سلكه الاجداد وكلنا يعلم ذلك علم اليقين وفيه القدرة على حفظ ابنه من هذه النزغات السيئة ولا ندري ما يمنعنا من ذلك أأخذت أبناؤنا في الحديد وسيقت الى هذه الساحات الاجنبية لا والله . ام أكرم هنا الحاكم على ارسال ابنائنا الى الفرير والامريكان وغيرهم لا والله . ام جهلنا ما يتعلمونه من مغاير الدين واللغة والعادات لا والله . نحن سلمناهم بايدينا وصرفنا على اخراجهم عنا من مالنا ورضينا بما هم فيه من النقل وسوء التعليم فنحن عنهم بين يدي الله مسؤلون . نعلم ان اوروبا لا تعطي شهادة لتلميذ الا اذا احسن لغته كل الاحسان ولا تدخل تلميذاً يغاير التلامذة مذهباً الا اذا صلى على مذهبهم او يبعدونه عنهم وتنقل لنا الجرائد اخبارهم وسعيهم خلف تعليمهم الوطنية وحقوق الجنسية فهذه انكلترة الحريصة على جنسيتها المتعصبة لدينها اشد التعصب تطالب الامة بتعليم ابنائها حقوق الوطن والجنس مع انه ليس وراء ماهي فيه من ذلك مطلب لطالب . وهذه فرانسا تصدر المناشير الى الكنائس تلزم الامة جميعها بالصلوات لله تعالى رجاء ان يخلصها من العراقيل التي هي فيها وهاتان هما الدولتان اللتان تدعيان انحصار المدنية فيهما فلم لا نقلدهما في المحافظة على الوطنية والجنسية والدين وننادي بذلك في القرى والمدن وحجتنا حجتهم وحاجتنا حاجتهم . نرى كثيراً من الشرقيين بل المصريين يحومون حول حمى الاجنبي لياذاً به وطلباً لمعروفه فهل تناول منه الا لقمة لو لم يجده لطرحها للكلب لكونها فضلة طعامه وفتات خوانه وهل جلس في حضرته الا مهينا مزدرى منظوراً اليه بعين الاحتقار بل الاستعباد وهل مكنه من اضعف الاعمال الا ليستعمله آلة في تنفيذ آماله وتحقيق امانيه وهل بش في وجهه مرة الا ليدخل عليه غفلة الرحمة والحنان ليصرف انظاره عما يراه من سلب الحقوق . آن والله ان يتبصر المصري ويشابه رجال اوروبا في الاخذ بالحزم والاعتماد على صدق العزم حرصاً على مابقي وطمعاً في فرص المستقبل وتحقيقاً لآمال الانكليز في صلاحنا على ايديهم حتى لا يبكتونا بقولهم لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا « طول العمر يبلغ الامل » وبالرفق يستخرج الانسان الحية من وكرها فلا يحملن الطيش الاحمق منا على التهور والتخلق باخلاق البهيم فاننا نعلم ان صيانة بلادنا موقوفة على حفظ

الراحة ومعاشرة الاجانب والنزلاء بالمعروف وبقائنا على الهدو والسكون وبعدنا عن الفتن التي يحركها الدخيل والاجنبي لمصلحة دولته فيجني ثمارها و يلحقنا عارها وناهيكم مذبحة الاسكندرية التي تعيرنا بها اوروبا الى الآن وهي تعلم من احدثها من رجالها بحيث تسميهم رجلاً رجلا وتقدر ماصرف للاجراء جنيهاً جنيهاً وقد نجت من نسبتها اليها وجعلتها قوباء في غرة مصر ومصر بريئة منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ولا ننسى العار الذي الحقه بنا بعض المأمورين في فتنة طنطا التي دفعته اليها اليد الاجنبية ايضاً فباء بخزي الدنيا وعذاب الآخرة ولحق ببيته غير ماجور على سعيه ولا مشكور على فعله وهذا جزاء ضعفاء العقول الذين يتجرأون على ضرر عباد الله واهلاكهم فى مصلحة من يرضيهم بما لايساوي قلامة ظفر انسان تالله انه لو جاز لمصري ان يصرح بكل مايعلم لذكرنا من الحقائق العدوانية مايكون عبرة وذكرى لقوم يعقلون . وفي الاشارة مايغني عن الخبر . فاعتبروا يااولى الالباب . ومن لم يقرأ العواقب وقع في المعاطب . والعاقل من اعتبر بغيره . فالله الله ايها المصريون في انفسكم واميركم واعراضكم واموالكم وبلادكم . جاهدوا انفسكم في توحيد كلمتكم وارجعوا بمحافلكم عن ابواب اوروبا وفتنها واخدموا بلادكم بظهوركم امة واحدة واقفة على قدم الخدمة لاميرها والمحافظة على حقوقها والمطالبة بخصائصها ولاتشغلكم المظاهر الاجنبية عن تصحيح اغاليطكم وتطهير بواطنكم ولا تظنوا انكم عاجزون عن استرجاع مجدكم والقيام باعمالكم فانما انتم بشر مثل رجال اوروبا ولكنهم تجمعوا وافترقنا وعرفوا حقوقهم وجهلناها ورفضوا نصائح الغير وقبلناها وحفظوا دينهم ولغتهم وجنسيتهم وتهاونا فى البعض وتركنا البعض فاذا جاريناهم في طرقهم الوطنية ساويناهم في الخصائص والمزايا ودوّنا لنا تاريخاً جليلا يفتخر به الابناء وترحم بسببه الآباء . عما قريب تنبش قبور آبائكم واضرحة عبادكم وسادتكم لتؤخذ تلك العظام النخرة الى معامل سكر اوروبا حتى لايبقى هناك أثر لذي مجد من الشرقيين فان خفتم من ذلك فاتخذوا اعظم الوسائل لبقاء موتاكم متوسدي تراب قبورهم فاننا نرى الاوروبيين ينقلون عظام موتاهم من بلاد حاربوا فيها ليحفظوها في اوطانهم حتى يزورها الآتي ويقرأ تاريخها العجيب .

لا تظنوا ان هذا لسان التخريف أو التزييف فانكم ان استبعدتم الامر واتم على ما اتم فيه من التهاون والاهمال فكل ما هو آت آت وان تنبهتم لذلك وحافظتم على اوطانكم بالمحافظة على امتيازاتكم المكفولة ببقاء الخديوي الاعظم في منصة حكمه مؤيداً بخضوعكم اليه وتأييدكم مبادئه الوطنية وأعماله الاصلاحية رضى الله عنكم وارضاكم وحفظت اضرحة ساداتكم وقبور موتاكم . وما ذلك بعزيز على امة خالطت كل الامم وقرأت تواريخ الممالك وتعلمت كل ما يلزم للوطن وحكومته وساح منها فريق بلاد اوربا وعرفوا طرق التقدم والاصلاح . افيليق بمن هذه صفتهم ان يكون غاية تهذيبهم قعودهم على القهاوي وفي الخمارات واجتماعهم للتشاتم والتقاذف بالمذام والسعي في المضار . لا والله ان هذا لمن اكبر العيوب وأعظم المصائب ومن لم تنبهه الحوادث فهو الغافل ومن لم يؤدبه الماضي اضربه الآتي افلا يحركنا قول اوربا لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

« انا اخوك فلم انكرتني » ما الشام ومصر الا توأمان ابوهما واحد يسوء الاثنين ما ساء أحدهما فلم تنافر ابناؤهما وانحاز السوريون في جانب بعيد عن المصريين وان ساكنوهم في مصر الم يكن الاجدر بنا ان نصرف علومنا ومعارفنا وقوانا العقلية في صلاح بلادنا وبث روح العلم والحياة الوطنية فيها . ابراتب قدره عشرون جنيهاً يبيع المرء منا اخاه ووطنه بل وجنسه ودينه ام بكلمة تغرير نصرف حياتنا في خدمة الاجنبي لنعينه على اخواننا لينتقم منهم بغير ذنب ويجني على غير جان . بئس والله ما وصلتنا اليه هذه الخزعبلات التي نسميها معارف وآداباً . زرعنا الاحقاد في قلوبنا بغيا وعدواناً . اهلكنا انفسنا بالعداوة في غير مصلحة جهلاً وحماقة . فضحنا انفسنا بنقل عوراتنا للغير سفاهة وجنوناً . بعنا هيئتنا للاجنبي بلا ثمن خبلا وبلاهة . ولو اجتمعت كلمتنا وائتلفت نفوسنا وصفت بواطننا وصرفنا هذه الهمم في حفظ الوطنيين واعلاء كلمة الجنسين لحسدتنا المعالي ووقفت اوربا تنظرنا بعين الاعظام والاجلال ولكن قضت شقوة الشرقيين ان يكونوا كحطب النار يأكل بعضه بعضاً لينتفع الغير بنارهم اصطلاء وطبخاً واستعمالاً فيما يشاء والعهد قريب والعود غير عسير فما نتكاتف في جمع

الكلمتين وتوحيدهما اكثر من الانصراف عن شياطيننا الذين قاموا فينا خطباء ووعاظاً بدروس يتلقونها اليوم بعد الآخر عن الاجنبي وتبادل الزيارات والمسامرة في المجامع واخلاص السير وما ذلك على الله بعزيز . والا اذا بقينا على هذا التنافر والتضاد اتخذنا الاجنبي آلات لتنفيذ اوامره فيوقع بيننا العداوة والبغضاء وربما انتهى الامر الى ما لا تحمد عقباه بجهالتنا واعتمادنا على العضد الاجنبي وفي ذلك من الخزي والعار ما لا تمحوه اكبر الحسنات . وا أسفاه على رجال قضى اباؤهم الدهور الطويلة يتبادلون العمران والاستيطان لا يفرق بينهم دخيل ولا يقطعهم عن بعضهم اجنبي فجاؤا من بعدهم وخالفوا سيرهم وحالفوا غيرهم وخدموا الاجنبي بمساعدته على التداخل في بلادهم بل على الاستيلاء عليها لا لعداوة بين الامتين ولا لحرب جرت في الوطنيين بل برغيف يحصله الزبال وخرقة يملكها الشحاذ . وان قيل ان جامعة الدين اضطرتهم قلنا ان عز الاستقلال بالوطنية خير من الازلال بجامعة الدين فان الاجنبي يغر الرجل منا حتى يوصله الى غرضه ثم يلحقه بغيره عند تمام الاستيلاء ولا يعرف له حقاً غير خدمته ولا يفرق بينه وبين من غايره ديناً في الاستخدام والاستعباد . انقول هذا وقتنا فنحصل فيه لذاتنا البدنية البهيمية ولا نبالي جاء المستقبل على أهلنا واخواننا بالعز أو بالهوان . بئس ما يختاره الرجل لنفسه من ان يطعم لقمته مغموسة في دماء جنسه واخوانه . ان البهيم ليدافع عن جاره فضلاً عن نوعه فكيف يرضى العاقل ان يكون اقل فضيلة من البهيم * ان كان هنالك اعتقاد بجنة ونار فتقربوا الى الله بما يدخلكم به جنته وليس ذلك الا البعد عن مساعدة الاجنبي على اخوانكم وان كان الاعتقاد وجود الله وخلود النفس فقط او لا رب ولا إله كما يقول الفريق المدني الاحمق فبيضوا صحائف التاريخ بمجد خالد وذكر جميل وان كان لا اعتقاد رأساً ولا مجد ولا شرف وانما هي بهيمية محضة تبعثنا الطبيعيات فيها الى مالا تعلق للعقل فيه فياسوء ماوصلنا اليه . وبالجملة فان آخر الدواء الكي وقد بلغ السيل الربي فان رفاءنا هذا الخرق وشددنا ازر بعضنا وجمعنا الكلمة الشرقية مصرية وشامية وعربية وتركية امكننا ان نقول لاوروبا نحن نحن واتم انتم وان بقينا على هذا التضاد والتخاذل واللياذ بالاجانب فريقاً بعد فريق حق لاوروبا

ان تطردنا من بلادنا الى رؤس الجبال لتلحقنا بالبهيم الوحشي وتصدق في قولها لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

من خطبه يوم الجمعه وهو مختفيا في الريف

الحمد لله الذي احل البيع وحرم الربا وهو اعلم بمصالح العباد * واجاز القرض والرهن والسلم بلا ازدياد * فمن اطاعه تطهر ومن عصاه تضمخ بالاوساخ * احمده حمد من اتبع الاوامر * واشكره شكر من انزجر بالزواجر * واعبده عبادة من وحده حتى كبر وشاخ * واصلي واسلم على المخصوص بالوسيلة الفيحاء * سيدنا ومولانا محمد صاحب الشريعة السمحاء * وعلى آله وصحبه الاساتذة الاشياخ * عباد الله ما شدد الله تعالى في محرم تشديده في الربا * فعد مرتكبه بعد النهي محاربا * وامره تعالى لا يقبل الانتساخ * فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله * ان شاء عفا عنه وان شاء آخذه بما جناه * ومن عاد فأولئك اصحاب النار يوم لا ينفع الصراخ * فتأملوا تهويله تعالى في خطابه اهل الدين * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين * فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فياله من وعيد يصم الصماخ * الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس * يوم يخرجون من الاجداث ويذكرون ما فعلوا بالامس * ويأكلون النار كما اكلوا الربا في البيوت والاكواخ * الربا وان كثر فهو الى قل كما قال صاحب المعراج * فلا تغرنكم ثروة المرابي فانها ابتلاء واستدراج * واثمه يشترك فيه الآخذ والمعطي والشاهد والواسطة والنساخ * غركم المرابون بالنقود فتوسعتم توسع المفاخره * ثم استولوا على العقار والمزارع فجمعتم بين خزي الدنيا وعذاب الآخره * واستخدموكم اجراء لما وقعتم في الفخاخ * وقد عمت به البلوى حتى عرفه النساء في الربوع * فتقول المرأة لجارتها اسلفيني قرشا بستين فضة الى اسبوع * وآتيك به عند بيع الغزل او الفراخ * بل استعمله الناس استعمال الامر المشروع * وعدوه نوعا من انواع البيوع * ولفقوا له صورا لتثبت صكوكه عند القضاة بلا انفساخ * وكم من حيلة يضعونها وما ربك بغافل عما يعملون

توالت علينا المصائب فانا لله وانا اليه راجعون * وقد صارت المواعظ كالزرع في السباخ * فاتقوا الله وذروا مابقي من الربا واطلبوا منه المغفره * فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره * لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين يوم ينقض عليكم الزبانية كالرخاخ

الحديث

قال صلى الله تعالى عليه وسلم من اجبى فقد اربى اي من باع الزرع او الثمر قبل بدو صلاحه * وقال صلى الله تعالى عليه وسلم الربا وان كثر فهو الى قل

﴿ خطبة ثانية ﴾

الحمد لله ذي السطوة العظيمة العامه * والوطأة الشديدة التامه * والحكم النافذ في جميع العباد * احمده حمد من عرف بطشه فخافه ورجاه * واشكره شكر من علم عفوه فلجاء اليه ودعاه * واعبده عبادة من ائتمر باوامره وانتهى بنواهيه ليبلغ المراد * واصلي واسلم على من جرت من بين اصابعه المياه * سيدنا ومولانا محمد واسطة كل مخلوق الى مولاه * وعلى آله وصحبه الموالي والاسياد * عباد الله انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان * هذا نص آله العالمين فكيف يخالفه الانسان * لايخالف مولاه الا من اضله عن سبيل الرشاد * اجتمع في الخمر من المفاسد مالا يجتمع في غيرها من البواعث * وحسبك قول الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم الخمر ام الخبائث * فانطوى تحت هذه الجملة انواع الفساد * كل مسكر خمر وكل خمر حرام * فالعصير والنبيذ شريكان في الآثام * وبه الفتوى في مذهب ابي حنيفة كما اعتمده ابن العماد * شارب الخمر يغيب عقله فيتكلم بما به يكفر * وربما طلق زوجته وهو لايشعر * والحكم عليه كالحكم على العاقل لتعديه بالسكر بعد الاعتقاد * شارب الخمر لايبالي بالزنا والقتل والسب والفحش * ويعامل الشريف والوضيع معاملة الوحش * فان الفارق بينه وبين البهيم غاب عنه وحاد * قد صرنا الى زمان فتحت فيه المواخير في الشوارع بلا نكران * وصارت مجامع الامراء والوجهاء والاعيان * وعم الامر حتى شربها النساء والاولاد * وقد تنقلت من المدن الى الارياف * واجتمع عليها مشايخ القرى والعمد والاجلاف * فلا

يوجد في البلد من لايشربها الا آحاد* وقد اختلطت بسببها الانساب في القرى والبنادر* فلا تجد ولدا يشبه اباه الا النادر* وقد فقدت الغيرة فلا انكار ولا انتقاد* واذا تأمل عاقل فيما تركناه من الاحكام* قال ان هذه الدار ليست دار اسلام* فلا زجر ولا حدود فما بقي الا الجهاد* فتوبوا الى الله تعالى من هذه الذنوب* وطهروا انفسكم ودياركم من هذه العيوب* عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عادت لكم الانكاد* وتداركوا انفسكم قبل ان تؤاخذون بما تعملون* انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون* قولوا انتهينا يارب قبل ان يحال بينكم وبين التوبة بان الله قد حكم بين العباد

« الحديث » قال صلى الله تعالى عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وعاصرها وبائعها وشاريها وحاملها والمحمولة له

عقد اتفاق

اجتمع المعلم حنفي وابو دعموم ومرعي وحنيفة ولطيفة ودميانة وزبيدة ونبوية عند نديم واانابوا المعلم حنفي ليتكلم عنهم فقال مرادنا تعمل لنا مدرسة في جرنالك تعلم الاخلاق اللطيفة والآداب الجميلة ماذا تقول يا حلو . ن . حباً وكرامة ولكن المدرسة يلزم ان يكون كلامها بالعربي الصحيح ليس باللغة العامية . ح . ويمكن اننا ما نقدر نفهم الكلام العربي النحوي لانه كلام صعب على الستات والناس امثالنا . بقى انت تريد تحرمنا من التعليم بكلامك النحوي . ن . لكم عليّ اني اخاطبكم بكلام يفهمه الطفل الصغير والرجل والمرأة من غير تعب ولا يحتاج لتفسير ولا لشيخ يقول لكم على معناه . ح . واذا كنت تمشي مثل ما كنت ماشي ماذا يكون هو احد خانقك على الكلام العادي . ن . أما ان أحداً خانقني فان ذلك ما حصل وانما رأيت بعض المشتركين في الاستاذ أرسل محاورة بالكلام البلدي تراها مطبوعة في الملزمة الثالثة نخفت ان الكتابة تمشي بالبلدي فنحارب لغتنا العربية بجيشين جيش الدخيل الاجنبي وجيش اللغة العامية فلذا جمعتكم لاخبركم اني مستعد لمخاطبتكم بكلام بسيط من جنس البلدي في سهولته ولكنه عربي صحيح . ح .

بقى الكلام المخصوص بالمدرسة يبقى بالعربي النحوي . ن . نعم . ح . الآن اسألك عن حاجة لما تحب تتكلم مع لطيفة أو غيرها تكلمها بالنحوي والا بكلام النسوان . ن . اكلمها بالعربي الذي تفهمه مثل ما تفهم كلامها العادي من غير فرق . لطيفة . اسألك عن مجلس الهوانم فقل لي على ما جرى فيه وما تمّ عليه الرأي . ن . عند ما انعقد مجلس الهوانم قالت ام حسن لما تحضر ازواجنا سكارى نضربهم . فقالت الست نجيه أولاً ضرب الرجال من النساء أمر قبيح ولا تفعله الا قليلة الحيا عديمة التربية ولا يقبله على نفسه الا رجل دون عادم الشرف ليس له بين الرجال قيمة . ثانياً ان العصمة بيد الرجال فيمكن ان المرأة اذا ضربت زوجها يطلقها اذا كان فيه حرارة وبعد ما تكون ست بيتها تصبح عدم العدم والداهية انها اذا كان معها اولاد وكانت فقيرة الحال فانها تحتار بهم وان راحت بيت ابيها تبقى قاعدة مثل الغريبة . فقالت نفوسه . اذا جاء الرجل وهو سكران نقفل الباب في وجهه ونتركه ينام على الباب لاجل يتأدب . فقالت الست سنيه . هذا رأي بطال فان المرأة اذا قفلت الباب في وجه زوجها يغضب عليها ويمكن يطلقها والواحدة اذا امكنها تطرد زوجها وتخليه ينام على باب بيتها أو في بيت ثان يبقى الرجل عندها مثل الخدام فتقل قيمته وتبهدله بين الجيران والست منا اذا ما كانت تعرف قيمة زوجها تبقى هي والكلب على حد سواء فقالت الست ام فلتاؤس . نعذّر الرجال ان سكروا ونضيق منافسهم لاجل ما يتوب الواحد منهم وكل ما جاء واحد وهو سكران ننزل عليه بالكلام المؤلم ونرذله بين اولاده حتى يعرف قيمة نفسه ويفضها سيره . فقالت الست نجيه . الواحدة اذا طال لسانها على زوجها صارت قليلة الحيا وضيعت الادب ويمكن الرجل ينفر من كلامها ويطلقها . وفي أي شريعة ان المرأة تشتم زوجها وترذله هذا رأي فاسد . نحن يلزمنا التمسك بالآداب مع الرجال ونحافظ على شرفهم ونعطيهم حقهم الواجب علينا في كل وقت حتى لو كانت الواحدة منا غنية وزوجها فقير لا بد انها تعطيه حقه وتعرف مقامه فان الرجل هو عز المرأة وحافظ شرفها وهو الساعي في المعاش التعبان فيه وعليه مدار البيت والمرأة من غير الرجل لا تساوي ابيض ولا اسود والواحدة منا على رأي المثل سيدي ما احسن وصفه لا في يده ولا في طرفه . الست عزيزه . نعمل

طريقة لطيفـة نكتب للحكومة نطلب منها انها تصرف للمستخدمين السكارى نصف ماهيتهم وتعطي نسوانهم النصف الثاني وتحيل اولاد البلد السكارى على المجلس الحسبي وتعمل لهم مشرفين مثل المعاتيه يحافظون على اموالهم اظن اننا ان عملنا هذا العمل نحفظ حقوق اخواتنا الهوانم والستات ونهذب اخلاق الرجال . الست نجيه . لا يخفاك ان الحكومة لا ترضى بهذا الرأي فان كل انسان حر في ماله وهو المسئول عن بيته وعياله ومسئلة المجلس الحسبي لا يجوزها قانون ولا حكومة ومع ذلك فان هذه فضيحة كبيرة للرجال وعار للنسوان وانما الرأي عندي اننا نكتب عرض حال للسكارى عن لسان ازواجهم بقلم النديم وننشره في الاستاذ ويكون من باب الرجا والالتماس فان نفع ورجعوا عما هم فيه من البلاوي يا دار ما دخلك شر وان استمروا في خسرانهم نكتب عرض حال للحكومة وتبقى تعرف شغلها فيمن يأخذ فلوسها ويصرفها في ضياع عقله وشرفه . الجميع . هذا هو الصواب ثم ان نجيه هانم كتبت لي تقول ان الستات اتفقت كلمتهن على انك تكتب عرض حال عن لسان نساء السكارى الى ازواجهن فانا بالنيابة عن الكل ارجوك ان تكتب عرض حال يلين الحجر ويبكي الذي عمره ما يبكي وانت لا تحتاج لوصاية فانك عارف بالحالة كما ينبغي وبالله عليك ما تخلي وراك ورا في الاستعطاف بالكلام الطيب وتعال لهم من باب مسح الجوخ وهز القاووق وعرفهم شرفهم وصبر نسوانهم عليهم كل هذه المدة الطويلة وربنا يأخذ بيدك ويجزيك عن الولايا كل خير . ن . سمعاً وطاعة لا بد ان اكتب ولو يشتموني

﴿ عرض حال نساء السكارى لازواجهن ﴾

نساؤكم اللاتي أخذتموهن بكتاب الله تعالى واستلمتموهن من آبائهن على انهن امانات عندكم وضربتم عليهن الحجاب غيرة على اعراضكم وحفظاً لانساب ابنائكم ومنعتموهن من مخالطة الرجال والخروج الى المجامع تشريفاً منكم لهن وتعظيماً لمجدكم المرتبط بعفافهن وصيانتهن يتقدمن بين ايديكم بهيئة الخضوع والادب ولسان الذل والاحترام سائلين مقام رجوليتكم ان تتفضلوا عليهن ببعض الذي تنفقونه في الملاهي ومذهبات العقل والشرف

ليسددن به رمق العيال ويحفظن لانفسهن حق التمتع بلوازم الزوجية كما يلتمسن ان تصرفوا بعض اويقات فراغكم من الاعمال بين اولادكم تلاعبونهم وتهذبونهم وتجبرون خاطرهم بوجودكم بين اعينهم والا اذا بقيتم على ما انتم فيه ونحن حبيسات البيوت من ترونه يجالسنا ويؤانسنا في الليالي الطويلة التي تقطعونها في مجالس اللهو واللعب . هلا تأملتم وتدبرتم وعلمتم اننا خلق مثلكم يطرأ علينا من العوارض ما يطرأ عليكم ولولا حجاب الشرع وشرف الواحدة منا لساءكم منا ماساءنا منكم معاذ الله تعالى . الا ترون ان الافرنج الذين اباحوا لنسائهم الخروج لا يدخل الرجل منهم مجلساً الا وقرينته معه وهي كذلك لا تخرج من بيتها ما دام زوجها في عمله وما يفعل الرجل ذلك الا ليعطيها حقها في وقت فراغه من العمل وحيث ان خروجنا ممنوع شرعاً فوفونا حقوقنا بوجودكم معنا في البيوت للانس بكم ودفع الوحشة والريبة عنا . على ان الافرنج الذين قلدتموهم في شرب المسكرات والقعود في البير لا يأكل الرجل منهم لقمة الا مع زوجته واولاده وقد رتب اوقاته وحددها لزوجته فهي تعلم انه يأتي ساعة كذا وانه الآن في مكان كذا فانه لا يخطو خطوة الا اعلمها بها مع انهم لا يشربون من الخمر الا ما يمرون به الطعام لتعودهم في بلادهم الباردة وانتم تركتمونا وديعة عند الاهال واهدرتم حقوقنا واغفلتم ابناءكم وهجرتم بيوتكم ووصلتم اللوكاندات فان كنا لا نحسن الطبخ وترتيب ادوات السفرة فاستخدموا لنا من نتعلم منهن من الطابخات لنساويكم في أكل النظيف والجميل من الاطعمة وكيف ترضون لانفسكم ان تأكلوا شيئاً لم تره اولادكم ولا ذاقته نساؤكم . ولاي علة حبستمونا في البيوت اذا كنتم لا ترضون لانفسكم القرار بها وتعلمون انكم مسترسلون خلف لذائذكم لا تبالون في تحصيلها وقمتم في الدار أو رددتم الى النار . اي شرف لرجل تضحك عليه اطفاله ويعاشر المرأة معاشرة الابله المجنون الى من تتزين المرأة منا بعد فراغها من عمل البيت اذا جئتمونا سكارى مساطيل لا تنظرون ولا تعقلون . بأي سوط تتأدب المرأة وقد تعطلت حواسكم بسورة الشراب وربما وقع الرجل منكم طريحاً كأنه بين يدي المرأة قتيل . افتونا هداكم الله تعالى اذا نزل علينا لص وانتم في خمود السكر من يدفعه . واذا احتجنا القوت أو اللباس وانتم مفلسون من يأتينا به واذا طردتم من الخدمة أو افلس

تاجركم ولا شيء عندنا من يموننا وبماذا نقيت عيالنا . ارحمونا يرحمكم الله فقد ضج منكم أهل الملاء الاعلى يشكون الى الله تعالى سوء فعلكم وقبح سيرتكم ان البهيم النفور بلاين فيرجع عن نفوره ويستأنس بصاحبه ونحن نخدمكم وننظف ثيابكم وابدانكم وبيوتكم ونطبخ ونخل ونعجن ونخيط ثيابكم ونتزين لكم بكل ما نقدر عليه ولا يزيدكم عملنا الا نفوراً منا وبعداً عنا . هل نحن جنس آخر غير مألوف عندكم . تراكمت علينا المصائب فبمن نستغيث وضاقت طرق الحيل فبمن نستجير ليس لنا في هذا الباب الا نخوتكم الانسانية وغيرتكم الزوجية وتعطفاتكم على كسيرات الجناح ضعيفات الجانب مغلولات الايدي محجوبات الابصار عما في العالم من غير ازواجهن .. رفقاً رفقاً فقد دارت حولنا الضرورات . عطفاً عطفاً فقد تلوت علينا سبل الاصطبار . حفظناكم فيما مضى فاحفظونا فيما بقي . خدمناكم بالذات فكافئونا بالالتفات . الا تذكرون اننا مع ما انتم فيه من الاغضاء عنا نجزع اذا اصبتم ونمرض اذا مرضتم ونبكي اذا غبتم ونتلهف اذا ابطأتم سيئاتكم عندنا مغفورة واساءتكم محتملة . وهذه فروض نقدمها لكم استعطافاً لخاطركم واستجلاباً لمحبتكم ولم يفرض الله تعالى علينا شيئاً من ذلك بل كلفكم بكل ما يلزم المرأة من ضروريات المعاش وما عليها الا ان تسمع وتطيع . اجيبوا ملتمسنا منكم فقد رفعنا هذه العريضة اليكم مشهدين عليكم أهل بلادنا وجموع العقلاء راجين من الله تعالى ان يلهمكم الصواب في امرنا ويردكم عن طريق الغواية الى سبيل الهداية وان يديم علينا ستره ويحفظنا من العار والنار في هذه الدنيا ويوم القرار فانه القادر على ذلك وحده جل شأنه

(الامضا) حرائركم

مدرسة البنين

(نديم وحافظ)

ح . وعدتني في الدرس الماضي ان تعلمني شيئاً من الحقوق المدنية وها انا مستعد للتلقي فتفضل بما تسمح به النفس الكريمة . ن . اراك قد ترقت افكارك ودخلت في طور ادبي وصلت اليه باحتكاك افكارك في افكار اخوانك التلامذة المتنورة بمصباح

الاساتذة القائمين بنقلهم من الجهالة الى العالمية فيجب عليك ان تعرف قدر نعم اشياخك ومعلميك وتحترمهم اذا حضروا وتثني عليهم اذا غابوا كما يجب عليك ان تحفظ حقوق اخوانك التلامذة الذين معك في مدرستك والمتعلمين في مدرسة أخرى وطهر باطنك من بغض ابناء جنسك فاذا رأيت أحداً متقدماً عليك في الدروس فبدل ان تحسده وتسعى في اضراره تمنى له النجاح لتنتفع به وجد لتدركه . وان ذكر امامك واحد من ابناء جنسك فتلطف في ذكره بخير وان ذكر الغير له معائب فادفعها بأدب واذكر محاسنه وآثاره وشرف عائلته ومجده في سيره فانك ان جريت على افكار الغير وذممت اخاك فقد قطعت الوصلة التي بينك وبينه ومكنت الغير منك ومنه فهو يلعب بك وبافكارك متى شاء . ولا تجعل محبتك لاخيك طريقاً لبغض غيركما فان المجتمع الانساني قاض بالتئام الاجناس ووقوف كل عند حدوده وانتفاع كل جنس بمزايا الآخر وفوائده العامة وقد ملئ الشرق عموماً وبلادك خصوصاً بالاجناس المتنقلة خلف التجارة والتماس الرزق فيلزمك ان تعامل الناس معاملة العارف بحقوق المدنية الحريص على حفظ الخصائص الوطنية ولا تسع في ضرر الغير لئلا تجلب على نفسك واخوانك الدمار وتمكن الغير منك . ولا تسكت عن نصح اخوانك وتعليمهم كل ماتعلمه مني ومن اساتذتك لتكون مدرساً ايضاً تعلم العاجزين عن دخول المدرسة او المتخوفين منها فتحثهم بمعارفك وآدابك على دخولهم معك في اماكن التعليم . واحرص على استجلاب رضا والديك بالتأدب معهما والتلطف في مخاطبتهما والاسراع في اجابة طلبهما والبعد عما يكرهانه واياك ان تظهر النفور من امر يأمرانك به بل اذا امرك احدهما بامر ورأيته ضاراً بك او به او مخالفاً للأدب او مغايراً لما عليه ابناء جنسك او خارجا عن حد طبقتك فتلطف في رده بتبيين السبب والضرر . ولا تقبح لهما عملاً خاصاً بهما وان رأيته موجباً لمؤاخذة او لعار فاسلك طريق الالتماس والرجاء مع الخضوع والخشوع ليكون رجاؤك مقبولاً مثلاً اذا رأيت والدك يأكل وهو ماش فلا تقل له ان هذا شأن الرعاع وعادة الاوباش فتنفره منك وربما قطعت مابينك وبينه بهذه العبارة الخشنة بل قل له ان بعض الناس كان عند القاضي يترافع مع شخص في قضية واورد

الشهود على حجة دعواه فجاء خصمه بينـة نفي ليدحض دعواه فعارضـه بان شهود النفي يأكلون في الطريق وهذا مسقط للعدالة وبتجريح شهوده حكم له بصحة دعواه لعـدم وجود مايبطلها ومن وقت ماعلمت ان الاكل في الطريق مسقط للعدالة مضيع لاعتبار الانسان عند القاضي ما اكلت شيئاً في الطريق حتى اذا اشـتريت لب البطيخ الذي يأكله الناس في الطريق فاني استحيي من اكله ماشياً لئـلا يسقط عدالتي وهكذا كلما رأيت منه امراً مخالفاً تلطف في تفهيمه مافيه من القبح او العيب وهو يتنبه لتركه وتكون نصيحتك بهـذه الصورة اوقع في النفس من التشنيع عليه الذي ربما صار اغراء على الفعل . واستشر والديك في امورك الخاصة بالبيت لتدخل عليهما السرور بارجاع امر البيت اليهما ولو تخالفهما في مشورتهما اذا رايتها غير نافعة وتعتذر لهما عن العدول عن رأيهما . واحفظ اسرارهما فانها عورتك التي اذا ظهرت كان عارها عليك . واسترعيو بهما فان مجدك الاوّلى مربوط بمجدهما . واذا ارتفعت لدرجة ثروة او رتبة فارفعهـما معك بتحسين ثيابهـما واجلال قدرهما وابعادهما عن كل مايبرّك به متتبع لعيوبك . وتغافل عن هفواتهما معك حتى اذا تمكنت من تنبيههـما فتلطف في ردهما واحرص على تعليم اخوانك التلامذة هذه الفضائل ليكون مجموع الجنس في فضـيلة واحدة . والتزم الصدق في اقوالك فان الرجل اذا كذب كذبة وعلمت للناس ترقبوه فاذا كذب ثانيـة سقط اعتباره واهدر حديثه الصدق وعدّ كذباً حتى لوحلف لهم على امرفانهـم لايصدقونه . ح . اني اذا قلت الصدق في كل شيء تتعطل عليّ اموري فان الانسان يحب ان يكذب ليروج كلامه عند السامع ويقضي له حاجته . ن . هذا عين الخطاء في الفهم فان الانسان يقضي بالصدق مالا يقضيه بالكذب حتى لو وقع في جناية وأوخذ بها لاقراره بالصـدق فانه اكتسب شرفاً يفوق ماكان يتمناه لو كذب . على أن الانسان اذا احتال لوقائعه فان احتياله الجزئيّ لايقدح في صدقه الكلي فان مايوجب الاحتيال وقائع يندر حصولهـا فلا تؤثر في عادة المرء التي رفعته بين قومه والمطلوب البعد عنه هو استعمال الـكذب لقضاء الاوطار به او لغش الناس او لايقاع الفتن والبغضاء بينهـم او لافساد طائفة او غير ذلك مما هو قبيح عند كل انسان . واياك ان تسرق دفاتر اخيك

او قلمه او دواته او شيئاً مما يختص به فان اقبح عيوب الانسان السرقة واللصوص انما الفت السرقة بالتعود والانتقال من سرقة البيضة الى سرقة الفرخة ومنها الى الخروف الى الثور الى الهجوم على البيوت فطهر نفسك من هذه الرذيلة وعوّدها على الامانة حتى لو خانك انسان في شيء فلا تخنه انت لانك استقبحت عمله وعلمت انه نقص فيه فكيف ترضى بالقبيح والنقص بعد ذلك . ح . واذا شتمني احد اخواني ماذا اصنع . ن . انت تعلم ان الشتم قلة حياء وبذالة لسان ولا يرضى به الا الدون من الناس فاذا شتمته في مقابلة شتمه فقد ساويته في رتبته وجرأته عليك وحرضته على التوسع في الشتم وافتراء القبائح اليك فالاحسن ان تسكت عنه سكوت حلم فانك تخجله وتسكته عنك فاذا اعتذر اليك فبادر بالسماح وبش في وجهه والتمس له مالا يلتمسه من الاعذار فانك تأخذه اسير حلمك وتلطفك معه وتصيره حبيباً بعد ان كان عدواً فلا يعود لشتمك مرة ثانية حتى لو كنت في المدرسة فلا تبادر بشكواه الى الضابط واستعمل الحلم معه اولا وثانياً فان رجع فقد غنمته وان استمر كان سفيهاً ينبغي ان يؤدب فارفع امرك الى رئيسك المتولي امرك ودعه يؤدبه بما يشاء . وكما تكره شتم غيرك لك فان الغير يكره شتمك له ايضاً فاياك ان تطيل لسانك على احد او تقبح عمل احد بغير حق او بتشنيع عليه او تغري انساناً بانسان ليؤذيه ويضره انتقاماً منه او تجعل نفسك بمنزلة جاسوس لغيرك تنقل له اخبار الغير فانها حالة مستقبحة عند كل انسان ومتوليها مسترذل مبغوض لا يكلمه احد الا اتقاء شره وحسب الانسان نقيصة ان يعامل بالحسنى دفعاً لشره لا رغبة في ذاته وآدابه . ح . اراك تعلمنا هذه الدروس وغيرك من المعلمين يعلمون علوماً شتى بين ابتدائية وعالية ولكني مع صغر سني اكره بعض امور تصدر من بعض الافاضل فاني كثيراً ما اسمع بعض اناس ممن انتسبوا الى العلم يسهرون مع ابي فان ذكر عندهم عالم او معلم قبحوا سيره وجهلوه وعدوا حسناته سيئآت وافتروا له ذنوباً وعيوباً ولم يردهم علمهم عن هذا الطريق القبيح فهل المقصود بالتعلم ان يصير الانسان جراباً ملئ علماً مع عدم تأثير العلم في اخلاقه واذا كان القصد ان يصير الانسان بهذه الصورة فاي حاجة للعلم وقد ضاعت ثمرته ولم يعمل العالم بعلمه . ن . ان ما ذكرته ليس امراً مطرداً في كل

فاضل معلم وانما يوجد فرد او فردان في كل اقليم تحكم عليه دناءة الاصل وكبر النفس ان يوحِّد العالمية في ذاته ويجهِّل غيره ومن اتصف بهذه الصفة تراه ممقوتاً بين الناس مطالبا نفسه بما ليست له باهل والا فاننا لم نر معلما الا وهو متحل باحسن حلية صاغتها الآداب والمعارف وله اخلاق يعشقها كل من خالطه وعاشره وقد بعد كل فاضل عن ذم الناس والوقيعة فيهم لعله قبح هذا الامر ولتصديه لتعليم الفضائل والتحذير من التلبس بالرذائل فاياك ان تقع مرة ثانية في حق المعلمين الذين هم ارواح الامم او ان تقيس الامة على فرد منها وما حملك على ذلك الاصغر سنك وعدم اختلاطك بالناس وستكبر ان شاء الله تعالى وتتأهل للدخول في مجالس العلماء وترى من محاسن اخلاقهم ولطائف آدابهم وحسن معاملتهم وتلبسهم بكل فضيلة ما يحقق لك هذا الذي اقوله لك الآن • ح • احب ان ترخص لي في التوجه فقد امرني والدي ان اكون عنده وقت الظهر • ن • لا بأس من جعل الدرس ما تقدم ولكن احرص على مافيه واتبع علمك العمل به ايضاً وساقدم لك في الدرس الآتي ما يلزم من مسائل العبادة ان شاء الله تعالى

نديم وحافظ

• ن • حفظت الدرس الماضي • ح • نعم واحب ان تعلمني الصلاة كما وعدتني • ن • قبل الصلاة يلزمك تتعلم كيفية الطهارة • اذا كانت ثيابك نجسة يلزم ان تطهرها بالماء حتى تزول عين النجاسة ورائحتها ان كان لها رائحة ولونها ان كان لها لون ظاهر في الثوب • ح • والنجاسة التي يلزم تطهير الثوب منها ما هي • ن • هي البول والعذرة سواء كان من انسان أو حيوان عندنا معاشر الشافعية ودم الحيض والنفاس ودم الجروح والخمر ولمس الكلب المبتل والخنزير أو بيد مبتلة فكل هذه نجاسات اذا تلوث الثوب بشيء منها لا يطهر حتى يغسل وتزول النجاسة والنجاسة الكلبية تغسل سبع مرات منها مرة بالتراب • ح .البول ليس له لون وكذلك الخمر اذا كانت غير ملونة فكيف نعرف طهارة الثوب منها • ن • ان كان لها رائحة فتغسل حتى تذهب وان كانت خالية من الرائحة فتغسل حتى يغلب على ظنك ازالتها ويكفيك ان تصب الماء على الثوب المتنجس بهذه النجاسة

حتى تذهب النجاسة · ح · اذا كان الانسان ماشياً في الطريق وحيوان يبول فاصابه رشاش هل ينجس ثوبه · ن · اذا كان الرشاش يرى بالعين الصحيحة ويحس باليد تنجس ويلزم غسله واذا كان لا يرى ولا يحس يعفي عنه · ح · اذا كان الانسان في زمن الشتاء والارض فيها وحل أو ماء راكد واصابه شيء من الوحل أو الماء ماذا يصنع · ن . مثل هذا يعفى عنه وان كان نجساً لان الانسان لا يمكنه الاحتراز عنه فالشرع خفف عنا ولم يلزمنا بغسل ذلك الا اذا كنت تحب ان ثوبك يبقى نظيفاً دائماً فاغسله واذا تعذر عليك الغسل او لم تجد ماء يكفي الغسل والوضوء فصل بأثر الوحل والصلاة صحيحة · ح · واذا تقيأ الانسان وأصابه شيء منه ماذا يصنع · ن · يغسل الجزء الذي يصيبه القيء فانه نجس لانه خارج من المعدة فحكمه حكم الخارج من اسفل الانسان · ح · على هـذا يصير الفم نجساً أيضاً · ن · نعم ويكفيك ان تتمضمض حتى يزول أثر القيء منه · ح · ورمص العين ووسخ الآذان نجس أيضاً · ن · لا بل هما طاهران والعرق كذلك طاهر وان كانت رائحته كريهة بل لو كانت رائحته رائحة العذرة فانه طاهر لا ينجس الثوب ولا البدن وانما اذا كان الرمص في العين قبل الوضوء يلزمك غسله لئلا يبطل الوضوء لانه يكون حائلاً بين الماء وبشرة الجفن او الماق وفضلاً عن كونه حائلاً فانه ضار بالعين مشوه للوجه امام الناس واذا كنت عرقاناً عرقاً له رائحة يلزمك الاستحمام لئلا يتضرر الناس برائحتك فتكون مبغوضاً عندهم ينفرون من مجالستك ومع ذلك فان تراكم العرق على الجلد يسد المسام ويحدث امراضاً صعبة فيلزمك تنظيف بدنك ليكون التنفس الجلدي مستقيماً ولا بد من غسل الافرازات الجلدية لنظافة البدن والتحفظ على الصحة . ويلزم ان لا تتهاون في الاشياء الطاهرة الملوثة للثوب مثل الطين والتراب ووسخ الجسد فان وساخة الثياب تضر بالصحة وتنفر الناس منك وتصيرك في حالة الازدراء فيلزم ان تكون ثيابك نظيفة طاهرة على الدوام ولاجل التحرز من النجاسة عند قضاء الحاجة يلزمك ان تقعد لقضائها ان كان في الخلاء او في المرحاض لئلا يصيبك رشاش البول اذا بلت من قيام ولا تقعد في مهب الريح لئلا يرد عليك البول فينجس ثيابك ولا تبل في الطريق لئلا تؤذي الناس وتنجس نعالهم وربما كان في المارين امرأة

فتستحي من المرور عليك ولو كنت مستور العورة على ان البول في الطريق وقاحة وتشبه بالحيوان البهيم الا اذا كان في محل معد لذلك فلا بأس به ٠ ح ٠ واذا احتلمت وتلوث الثوب بالنطفة هل ينجس ٠ ن ٠ اما عند الشافعية فانه لا ينجس لان هـذا الماء طاهر عندهم وانما يغسل الثوب تنظيفاً وعند المالكية يجب غسله لانه نجس وعند الحنفية ان كان طرياً يغسل وان كان جافاً يفرك وعلى كل مذهب يجب عليك الغسل وهو ان تعم جميع جسدك وشعرك بالماء وكذلك عند ما تتزوج كلما باضعت زوجتك يجب عليكما الغسل فانه لا تصح لك صلاة ولا يجوز لك ان تقرأ القرآن او تمس المصحف او تطوف بالبيت في الحج الا بعد ان تغتسل من الجنابة بنية التطهير منها ٠ ح ٠ ماذا اقول في نية الغسل ٠ ن ٠ تقول نويت رفع الحدث الاكبر او نويت استباحة مفتقر الى طهارة فاذا اغتسلت بلا نية كان الغسل باطلاً وبقيت على جنابتك ٠ ح . وهذه الاحكام تلزم بطرس ورحمين صاحبي ٠ ن ٠ هذه من احكام ديننا الاسلامي واما بطرس ورحمين فان لكل منهما رئيساً دينياً يأخذ عنه امور دينه ويعلمه الواجب عليه انما النظافة الاعتيادية تلزمهما كما تلزمك فيجب عليهما تنظيف جسدهما في الحمام او بالاغتسال في البيت وتنظيف ثيابهما لاجل حفظ صحتهما وعدم تضرر الناس منهما ولا تنس انسهما بالنظافة وحسن الثياب فان النفس تسر بما تراه من حسن هيئة البدن والثياب وتنقبض بالوساخة والروائح الكريهة فالدين ليس بشرط في النظافة والتجمل باحسن ما عند الانسان عند خروجه الى المجالس العامة ويلزمك ان تنبههما على ما يلزم من هذا القبيل فانهما ابنا وطنك وانسانان مثلك والدين لا يمنعك من نصح غيرك وارشاده فيلزمك ان تحافظ على دواعي الالفة ما دمت في المجالس العامة فاذا جاء وقت العبادة ذهبت الى المسجد وذهب كل الى الكنيسة وبعد العبادة تعودون لتناول اشغالكم بلا تنافر ولا اضرار فان الحقوق المدنيه تقضي عليك بامور كثيرة

الانسجام

هو عبارة عن خلو الكلام من التعقيد والحشو والكلمات المهجورة والالفاظ المستهجنة مع عدم تكلف الشاعر او الناثر شيئاً من الانواع اللهم الا ما جاء منها عفواً واسترساله في موارد الرقة حتى يصير البيت او القصيدة كالماء المنسجم وقد اعتنى به المتأخرون فهذبوه ورفعوه الى ذروة الكمال واللطف وهو اليق ما يكون بصدور القصائد والغراميات فان اتى به الشاعر في مدح او هجو او فخر او رثاء دل ذلك على اقتداره وقوة ملكته والقرآن العظيم كله من هذا النوع وانظر الى الفاتحة التي يحفظها العوام والصبيان والنساء لسهولتها وانسجامها وتأمل آية الكرسي الشريفة تجد انسجامها احلى من انسجام الماء وانور من نيري السماء وقد اشتملت على تسع جمل كل جملة تنادي بشأن من شؤن الحق سبحانه وتعالى تحته حيثيات شتى الاولى . الله لا إله إلا هو الحي القيوم فهذه لبيان وحدانيته والرد على من جعل مع الله إلهاً آخر او نسب اليه شريكا او ولداً او بنتاً تنزه ربنا عن ذلك وانه حي لاسبيل لورود الفناء عليه قيوم اي دائم القيام بتدبير ملكه من ايجاد واعدام وحركة وسكون وخلق ورزق وغير ذلك من الشؤن. والثانية لاتأخذه سنة ولا نوم أي انه كما كان قيوماً مدبراً لملكه فانه لاتأخذه سنة اي فتور يتقدم النوم فان القيوم اذا نام او فتر غفل عن ملكه فتلاشى وجود هذه الاجرام العظيمة على نسق لايتغير دليل على انه لاتأخذه سنة ولا نوم وفيه رد على من اتخذ آلهة من الانسان فانه تأخذه السنة وينام وهذه صنعة العبيد لا الآلهة . الثالثة له ما في السموات وما في الارض اي ان ما في السموات من فلك وملك وكوكب ونفس وما في الارض من عنصر ومعدن ونبات وحيوان ملك له وخلق لاتصرف لاحد سواه في شيء منها وفيه رد على من يعبدون الكواكب والحيوان فانها اذا كانت مملوكة للغير مصنوعة له مقهورة بفعله مسيرة بامره كيف تكون آلهة تعبد مع فقرها وعجزها وانحصارها في قبضة الغير فهذا الغير المالك لها هو الاحق بالعبادة والتوحيد جل شأنه. الرابعة من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اي ليس لاحد ان يتقدم بين يديه بالشفاعة لاحد الا من اذن له من خاصته واحبابه وفيه دليل سطوته وجبروته وكبريائه وانتهاء العظمة الى حد ان

لايجرأ احد من خلقه كائنا من كان على الشفاعة قبل ان يأذن له . الخامسة يعلم مابين ايديهم وما خلفهم الضميران راجعان الى السموات والارض باعتبار مافيهما من العقلاء اي يعلم ماكان قبلهم وما يكون بعدهم وما هو حاصل فيهم جزئيا وكليا فلا تغيب عن علمه ذره ولا يشذ منه هباء وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين . السادسة ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء اي لايحيط احد بشيء من معلومه تعالى الا بالذي شاء ان يحيط به من جزئيات الاكوان وطوارئها وفيها اثبات لحجب الخلائق عن الوصول الى مفاتح الغيب وانه لا يعلم اي مخلوق الا ما تصل اليه انظاره وافكاره من المرئيات علماً قاصراً عليها غير بالغ حد معرفة الحقائق على ماهي عليه في نفس الامر وفيها رد على منكرى معجزات الانبياء وكرامات الاولياء فانه تعالى اذا شاء علم نبيٌ اوولي بكائن غيبي فتح له باب الوصول اليه فيخبر عنه قبل حصوله ويترجم عن الماضي بما كان عليه من غير ان يراه ويتكلم في علوم لم تكتب في اوراق ولا مارس شيئاً منها مما هو مشاهد في كل عصر من الاولياء وما ثبت في الكتب السماوية من أخبار الانبياء . السابعة وسع كرسيه السموات والارض اي علمه او ملكه او سرير معين تحت العرش كما جاء في الحديث الشريف ما السموات السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة بفلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة وفيها دليل على احاطته بكل كائن علماً وحفظاً وتدبيراً فان السموات وما فيها اذا كانت كحلقة في الكرسي والكرسي كحلقة في العرش ونسبة العرش الى مافوقه من حجب الجلال والعظمة كنسبة الحلقة الى الفلاة كانت جزءاً صغيراً من كل كبير وهذا الكل مقهور لكبريائه متحرك بارادته فقهر الجزء ودخوله في باب العلم والاحاطة مع صغره عن الكل اولى فسبحان من قهر بعظمته كل مخلوق . الثامنة ولا يؤده حفظهما اي لا يثقله ولا يعجزه حفظ السموات والارض وما فيهما فانه ماخلقهما الا وهو قادر على حفظهما ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وفيه رد على من ينسب الحوادث الجوية الى الكواكب والحوادث الارضية الى الطبيعة فانه اذا كان

حافظاً لهما كان حافظاً لما فيهما لزوماً ويلزم من حفظهما وحفظ مافيهما ان لاتقع فيهما الا مايريد واذا امتنع وقوع غير مراده امتنع وجود مؤثر سواه . التاسعة وهو العلي العظيم اي هو العلي في ملكه وسلطانه وتصرفه واستئثاره بتدبير ملكه العظيم في عزه وجلاله ومهابته وكبريائه فلا يشبهه شيء من العوالم ولا هو من شيء منها بل هو العلي عن الصفات الخاصة بالعبيد العظيم بالصفات الخاصة بالالهية ففيها الرد على القائلين بالحلول والجسمية والابوة فانظر لفخامة قدر هذه الآية واشتمالها على علم الاصول برمته وما يلحقه من احوال النشئتين مع انسجامها وسهولة تركيبها ورقة الفاظها تعلم الفرق بين انسجام القوي القدير وانسجام العواجز الضعفاء فلو تعلق البلغاء بحبال الفصاحة في سقف البيان وامطرتهم السماء بدل المياه معاني وانحصرت انوار النيرين في عقولهم ما قربوا من باب مجاز الوصول الى مبدأ هذا البيان فضلا عن الحوم حول حماه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا

﴿ جواب على سؤال ﴾

السؤال . ما هو البرهان الذي رآه سيدنا يوسف حتى عاد عن الهم بامرأة العزيز فقد اختلفت العبارات فيه

الجواب . اعلم ان الهم مشترك في اللفظ مختلف في المعنى فانه منها كان بقصد الفاحشة ومن سيدنا يوسف لدفعها عنه والدليل ان الله تعالى قال قبل ذلك في جانبها وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك فاثبت مراودتها التي تثبت ان همها كان للفاحشة خصوصاً وقد وجدت القرائن من تغليق الابواب وقولها هيت لك . وقال في جانب الصديق قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي فشهد عليها بهم الفاحشة وشهد له بالانصراف عنه وعنها فلم يبق الا ان يقال ان الهم مختلف ولو اتحدا لقال ولقد هما بالفاحشة او ببعضهما فلما اعاد الهم تحققنا انه غير الهم الاول فهمت به مراودة وهم بها مدافعة كادت تفضي الى ضربها ولو فعل لامرت بقتله ولولا ان رأى برهان ربه وهو النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش فيكون هم بها جواب لولا ويكون

النظم ولقد همت به مراودة وطلباً للفاحشة ولولا ان رأي برهان ربه همّ بها دفعاً بالضرب المؤدي الى قتله لو فعل كذلك لنصرف عنه السوء اي القتل والفحشاء اي الزنا ولمثل هذه الآية في حذف اللام من جواب لو وتقديمه عليها امثال منها قوله تعالى « ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبه » فالبرهان هو نبوته وعلمه بتحريم الزنا على الافراد فضلاً عن المرسلين وتيقنه من انها تأمر خدمها بقتله لو ضربها في دفعها عنه او عن الفاحشة . والذين لهم تعلق بهذه القصة شهدوا ببراءته من كل سوء فلم يكن هنالك وهم لحمل الهم على همه بالفاحشة فالله تعالى اخبر عنه بقوله قال معاذ الله وقال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال انه من عبادنا المخلصين . والطفل شهد بقوله ان كان قميصه الى آخر الآيتين والمرأة قالت للنسوة انا راودته عن نفسه فاستعصم فشهدت على نفسها بطلب الفاحشة وله بالعصمة وقالت بين يدي الملك الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وزوجها قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم خاطب الصديق بقوله يوسف اعرض عن هذا ولو همّ بها لقال له استغفر لذنبك كما قال لامرأته واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين فأثبت الذنب لها وعدها في الخاطئين وابليس قال لأغوينهم اجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ويوسف من المخلصين بشهادة الله تعالى في قوله انه من عبادنا المخلصين . ويوسف قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي اي فلا اخونه في عرضه فان ذلك دناءة وخسة من الافراد فكيف من مهبط الرسالة وقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصبُ اليهن اي انه الى ساعة الدعاء التي هي على بعد من الواقعة بكثير لم يصب اي لم يمل الى النساء ولا هم بحبهن فضلاً عن القرب من الفاحشة . والنساء اللاتي قطعن ايديهن عند ما قال لهم الملك ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه فأثبت انه كان منهن مراودة كما كان من سيدته فلما سألهن قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فاذا شهد الله تعالى ويوسف الصديق والطفل والمرأة وزوجها والنساء وابليس على عصمته وبراءته من السوء كيف نحمل الهم على الفاحشة وهو تكذيب لهذا كله نعوذ بالله من ذلك . وأما ما قيل من انه عليه السلام جلس منها مجلس الرجل من المرأة أو انه هم بحل التكة أو انه حل الهميان وجلس منها

مجلس الخائن أو انها استلقت له وجلس بين رجليها ينزع ثيابه وان البرهان استحياء المرأة من صنم عندها فقامت لتستره فاستحيا من ربه او انه رأى يعقوب عاضاً على اصابعه ويقول له اتعمل عمل الفجار وانت مكتوب في زمرة الانبياء أو ان يعقوب ضربه في صدره فخرجت شهوته من انامله أو انه سمع صوتاً في الهواء يقول يا ابن يعقوب لا تكن كالطير يكون له ريش فاذا زنى ذهب ريشه أو انه لم ينزجر برؤية يعقوب فجاء جبريل فركضه فلم تبق فيه شهوة فكلام لا يقوله الا جاهل بمقام النبوّة والرسالة متتبع للخرافات من غير بحث فيما تؤدي اليه ولو علموا ان ذلك يؤدي الى تكذيب الله تعالى في الاخبار عنه بالعصمة والانصراف عن الهم لما تجرأوا على مثل هذه المفتريات التي اخفها يشين اقبح الفساق فضلاً عن نبي مرسل ولا يغرنك نسبة هذه الاقاويل الى مثل ابن عباس وعكرمة وقتادة وسعيد وجعفر الصادق وغيرهم فان مفتري الخبر مفتري النسبة ليروجه عند ضعفاء العقول كما لا يغرك وجود هذه المفتريات أو بعضها في بعض تفاسير من لا يتحاشون النقل من السير وأخبار القصاص اذ لو حصل منه ادنى سوء للزم ان يستغفر الله تعالى منه أو يتوب ولا خبرنا الله تعالى بذلك في قصته كما اخبر عن كثير من الانبياء ممن وقعت منهم صور المعاصي فاردفها بالاستغفار أو التوبة — ولله در الامام فخر الدين الرازي حيث قال هؤلاء الجهال الذين نسبوا الى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة ان كانوا من اتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وان كانوا من اتباع ابليس وجنوده فليقبلوا شهادة ابليس على طهارته ولعلهم يقولون كنا في أول الامر تلامذة ابليس الى ان تخرجنا عليه فزدنا عليه في السفاهة كما قال الخوارزمي

وكنت امرءا من جند ابليس فارتقى * بي الدهر حتى صار ابليس من جندي

فلو مات قبلي كنت احسن بعده * طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

والله تعالى يحفظنا من الخروج على انبيائه بما لا يجوزه عقل ولا نقل ويوفقنا عند تنزيه هذا المقام الشريف من كل سوء بفضله جلت قدرته

—*—

﴿ جواب على سؤال عن ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾

ارم اسم ابن سام بن نوح جد عاد بن عوص ابن ارم فهو اسم لقبيلة عاد او اسم لبلدهم التي تسمت باسم جدهم بدليل قراءة الاضافة اي بعاد ارم والمراد بعاد أولاده سموا باسم جدهم كما يسمى بنو هاشم هاشما وان اردنا بارم القبيلة كان المراد بذات العماد ذات الاخبية والخيام التي لا بد فيها من العماد والعماد بمعنى العمود أو ذات البناء الرفيع لما كان في تلك القبيلة من الشدة والقوة والصبر على الاعمال الشاقة كما قال تعالى فيهم « اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون » وان اردنا بها البلد كان المعنى انها ذات ابنية مرفوعة على عمد محكمة الصنع . والمراد بقوله لم يخلق مثلها اي مثل عاد في صبرهم على نحت الصخور واتخاذ البيوت في الجبال وما يروي من ان شداد بن عاد ملك الدنيا ودانت له ملوكها وسمع بذكر الجنة فبني مدينة سماها ارم اقام في بنائها ثلثمائة سنة وعاش تسعمائة سنة وبني قصورها بالذهب والفضة وجعل اساطينها من الزبرجد والياقوت ووضع فيها اصناف الاشجار والانهار ثم سار اليها باهل مملكته فلما كان على مسيرة يوم وليلة منها بعث الله تعالى صيحة من السماء فاهلكتهم وان عبد الله بن قلابة ندت ابله فخرج في طلبها فوصل جنة شداد وحمل ما قدر عليه منها وبلغ خبره معاوية فاستحضره وقص عليه قصته فبعث الى كعب الاحبار فسأله فقال هـذه ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله هو ذلك الرجل . فما لا دليل على صحته بل هو من وضع القصاص فان شدادا لم يملك الدنيا ولا اثر له في غير بلاد العرب وما جاورها وتاخمها وخبر كعب الاحبار لا بد وان يكون مذكوراً في كتاب ولا كتاب تسند اليه اقاصيص كعب الا التوراة وليس فيها شيءٌ من القصة ووصف ابن قلابة ويستحيل على ملوك الدول الآن بناء مدينة من ذهب وفضة ولا يوجد في معادن الزبرجد والياقوت ما يكفي لعمل عمد قصر فضلاً عن مدينة قضى العمال في بنائها ثلثمائةسنة فيلزم لها من العمد ما يساوي جبلاً عظيماً خصوصاً وانها عمد تقطع كما تقطع الصخور فلا بد وان يكون قد تخلف من الاحجار الثمينة عند قطعها ما يكون حلياً للعالم اجمع ولو كان شيء

مثل هذا ويعلمه كعب لكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعلمه اولى ولم يصح عنه شيءٌ في هذا على ان عادا كانوا يسكنون بين عمان وحضرموت وهي بلاد الاحقاف وكلها أرض ذات رمال ولم يكن فيها معادن ذهب ولا فضة ولا ياقوت ولا زبرجد وان قيل انه استحضر الذهب والفضة من بعيد قلنا ان هذين المعدنين لم يكونا مستخرجين ومستعملين بقدر ما هما عليه الآن ومع عناية الامم باستخراجها في العصر الحاضر فان المستعمل منهما لا يكفي لبناء مدينة يصرف الصناع في بنائها ثلثمائة عام والقرآن الشريف لم يتعرض لهذه القصة ولا ذكر شيئاً ما يومي اليها فلا نعول عليها والحق ان ذات العماد وصف للقبيلة او لبلادهم المحكم بناؤه الصخري أو المنحوت في الجبال فان القصد زجر الكفار بان الله تعالى اهلك عادا مع شدتها وقوتها وعملها الاعمال العجيبة كما اهلك ثمود اي قوم ثمود الذين جابوا الصخر اي قطعوه واتخذوه بيوتاً وكما انزل الهلاك بفرعون ذي الاوتاد فهو قادر على اهلاكهم لتكذيبهم رسوله كما اهلك من كذب رسله السابقين والله اعلم

بعض كلمات من كلامه ارسلها امثالاً

ادبك حياتك فطول او قصر . روحك غذاءك فاصلح او افسد . علمك قدرك فارفع او اخفض . انت لا انت فاعرف من انت تعرف . ترك الحزم يضيع الفرص . بعدك عن الشر مع حب اهله وقوع فيه . كن حيث صرت تقطع العقبات وانت جالس . كل حلاف كذاب . اذا استقبحت ما انت عليه فاختر لولدك مهذبا غيرك . امرك بيدك فاذا جذبته مطامعك تبدد . بين المبدأ والغاية التبصر فاحفظه تصلها . يومك كامسك فاعد لغدك ما تخيرته منهما . لا تضق صدراً الا بما لم يحل بمثلك . أصل الدناءة دناءة الاصل . رد بابك دون امر لم تحضر تأسيسه . دولة بلا قانون فوضي وان كثر الرعاة . كل ملك فوض الى الاحداث ضاع . اكبر لذات الملوك حرب تعدم الانسان . وقوفك عند العادة يقطع طريق الزمنيات عليك . تعلم الصنعة وانت غني عنها تحل بينك وبين المعوزات . مملكة يسوسها غارق في الشهوات مقبرة تزار ولا تسكن . اذا طلبت الراحة فارجع الى ظهر أبيك . اذا سميت ممكن غيرك مستحيلاً فانت العاجز .

جهلة الحكام حكام الجهلة • لن للظالم ماتنبه فان غفل فاحمل عليه • اذا وصلت الغاية فقف فوزاً كانت او خذلاناً فما بعدها الا العدم • لك عندي بقدر مالي عندك فلا تطالبني بمنزل لم تبنه • اذا ساعدت الاجنبي على اخذ بلادك فلا تغضب اذا نام في فراشك • المتجنس بجنسيتك طامع في متاعك او جاهك • اذا حركت الخواطر لامر فكن الاول فعلاً • من اهان ظالماً عدّ من الابرار • المطامع تحت اقدام الفرص متى تحركت وثبت • اقوى سلاح الطامع فيك اغترارك بلينه • اذا ولعت بالخمر فاحرص على نصف مالك لكفن شرفك • كل ذي امل ينتظر غفلة مثيله فكن الحذر وما عليك اذا جئت من جهل حقائق الامم قادته المرئيات • أحسن معاملة الاجنبي واحرص على خصائصك • اذا كنت وسيلة للغير فكن فضيلة لقومك • قلبك مرجع حسك فلا تقبضه بكريه المحسوسات • كل بعيد قريب وانما تبعده الابصار او الهمم • كن كيف شئت اذا لم تجد لائماً • مخك اثيرك فلا ترفع دخان الغضب اليه يعد عليك صواعق • كما يدل اللسان على العلل كذلك يدل على الامل • التمدح بالازواج بين الرجال دياثه • المشرب السياسي يغالب الجنسية والدين فانظر مع من تكون • جنسك وليك فاذا واليت غيره فوق الحاجة انكرك الاثنان • اذا نفذت كلمتك فاحفظها بالرفق وايدها بالاستقامه • اذا اختلفت الاحزاب فكن مع احفظها لوطنك • سُح الكائنات فان وجدت خالداً بالجبن فعش بما عاش به • اذا رأيت المعذبين في الحرية فجد في تخليصهم او اللحوق بهم • اذا صح تأثير المعدوم في الموجود صح تأثير مختل الملك في منتظمه • وثوقك بغير المجرب بله • علم ولدك الكلام وما عليك اذا أخرسته العوارض • اذا صاهرت من هو فوقك فتعلم عبادة الاوثان قبل الأقدام • اوصِ على أهلك قبل ان تخرج للفتنة • اذا صرت في الغوغاء فلست شريفاً • اذا ألقيت السلاح تعباً فانت المقتول • تغافلك عن اهل العيوب فضيله • من نام في جحور الافاعي خافها • مسكن بين الاعادي حبس رديء • غاية السعي رغيف او ردا • من فوض الامر لمولاه استراح • فقد الرجال علامة التقهقر • من امرك بغير حق فأتمرت له هان عليه دمك • اجهل بجهل زوجتك تلتذ ولا تجهل بجهل الملوك تقتل • هيبة الظالم بالسلاح وهيبة العادل بالصلاح • اذا حكمت فتجنب

مالا ترضاه لنفسك الا بحق . من يحملك ميتاً يحملك حياً فصله واقطع غيره . تجاهل العالم وقت الرجوع اليه انقلاب الى الحيوانيه . اذا ربحت في القمار ديناراً فهيئ ماتملك للخساره . اذا سست أمة جسمها في ملكك وفكرها في غيره فقد اضعت نفسك والملك معاً . بالمقول تعرف العقول فعنون عقلك باحسن مافيه

جزاء فعال السوء في العدل مثلها * فنفس بنفس والجروح قصاص

دنوك من مرضي القلوب تعرض * لعدواك فاحذر فالدواء عزيز

ذوق المعاني لذة * وسواه يأتي بالهوس

ذم التقى وأهله * أمر يحسن لي الطرش

خذ من زمانك صفوه * ودع التعمق تسترح

تربية الابناء

اشتغل الكتاب قديماً وحديثاً بوضع الكتب والرسائل في تربية الابناء وتهذيبهم ونقلهم من حضيض البهيمية الى اوج الانسانية ومدار الكمال وقد اختلفت عباراتهم باختلاف الافكار وتباين الاقطار وكان للشرق القدم الراسخة في هذا الباب فتهذب رجاله وترقوا الى أعلى مقامات الفضل بما أخذوه عن اساتذة التربية وكانت طريقة التعليم واحدة في جميع أقطاره ثم انتهى الى تعلم العلوم من طريقين طريق التلقي عن الاشياخ وسموه الطريق الديني وطريق الاخذ عن الاساتذة وسموه التعليم المدرسي وهذا الاسلوب معترض عند الاوروباويين فانهم الآن محل الاختراع ومرجع الترتيب فالحسن ماحسنوه والقبيح ماقبحوه والرواية ان لم تنته اليهم فهي باطلة والنسبة اذا لم تتصل بهم فهي عاطلة وهذا الذي الزمنا العدول عن البحث في طرق تعليم الشرقيين الى النظر في طرقهم لنجاريهم فيما هم فيه فان التمدن موقوف على تقليدهم والاخذ بطريقتهم والهمجية لاتوجد الا في مخالفتهم والعمل بغير آرائهم . ولا بد لنا معاشر الشرقيين من مجاراة الامم

المتمدنة للخروج من مضيق التوحش المنسوب الينا ما دمنا على تعاليم اسلافنا ولا نصل الى هذا المقصد الا بالوسائل التي اتخذتها أوروبا وكلها محصورة في طرق التعليم وهي انهم خلطوا التعليم الديني بالتعليم المدرسي وصيروهما طريقة واحدة فبنوا في كل مدرسة كنيسة يصلي فيها التلاميذ قبل الدخول الى الدرس وعند انتهاء الدروس ليخرج من صغره عارفاً بواجباته واتخذوا المعلمين من القساوسة فالكاتب والحاسب والرياضي والطبيعي حتى فراش المدرسة وطباخها كلهم منهم فقد جرَّبوا انفسهم في الوحدات الجامعة فلم يجدوا انفع من وحدة المذهب ولذا تجد الكتب التي بايدي الاطفال كلها محشوة بالامثال الدينية فاذا ترقى الطفل الى درجة عليا وجد العلوم الرياضية والطبيعية مخللة بقواعد دينية ليكون المذهب ملحوظاً بعين الاعتبار محفوظاً عند الصغار و الكبار وقد حتموا القيام بالمظاهر الدينية على الاطفال والنساء والفتيان والشيوخ حتى انك تجد أرباب الفكر الحر الذين لا يدينون بدين يجارون المتدينين فيما هم فيه فلا يقدر احدهم على فتح دكانه يوم الاحد بل يقفله موافقة للسواد الاعظم ولا يأخذ زوجة بغير تكليل شرعي ولا يترك ميته يفارق الدنيا من غير أن يستحضر له قسيساً ولا يشتغل في أيام الاعياد تظاهراً بعدم اعتقاده ولا يطعن في دينه وهو في مجمع أدبي او عامي ولا يسكت عن اقامة الحجة على صحة دينه اذا عورض فيه . وما يعتقده من فساد العقيدة على زعمه الفاسد انما هو امر باطني لا يتظاهر به الا عند من يماثله فيه . وهذا الذي جمع وحدة اوروبا الاجماعية وان اختلفت المقاصد السياسية التي هي في حكم الفروع لهذا الاصل الوثيق . ثم انهم يدونون كتب التعليم بلغتهم المستعملة في وطنهم فلا تجد فرنسوياً يتعلم بالانكليزي ولا رومياً يتعلم بالالماني ولا نمساوياً يتعلم بالروسي ولا ايطاليانياً يتعلم بالاسبانيولي بل كل دولة تحافظ على لغتها بجعل التعليم بها فتجد جميع الكتب العلمية موضوعة بلغاتهم الا ما يكون من بعض الكلمات التي تضعها العلماء باللسان اللاطيني او اليوناني فانها تقرأ بين أهل كل لغة باللاطينية او اليونانية لانها في حكم الاصطلاح الذي لا يتغير ولكنهم يترجمون المعنى بلغتهم فاذا تعلم التلميذ كلمة اخذ معناها معها حرصاً على بقاء اللغة حية بمعرفة معاني لسان الغير بها . وهذا الذي طلبنا له عقد

جمعية علمية . والسبب الباعث على المحافظة على اللغة انها العنوان الجامع للجنسية الحافظ للتاريخ الداعي لاجتماع الافراد اذا تفرقت الامم فالمحافظة على اللغة محافظة على الجنسية بل على الملك وما يشتمل عليه ولهذا لاتميل اية دولة لنقل التعاليم من لغتها الى لغة أخرى مهما مست الحاجة اليها ولا تعطي شهادة لتلميذ ادّى الامتحان في جميع العلوم بغير لغته مهما كان تمكنه من اللغة الاجنبية عن لغته وبهذه الوسيلة حفظت مقاصد الدول وامتازت كل أمة بخصائصها التي حفظتها لها لغتها . وكثيراً ماسمعنا ورأينا اناساً من اوروبا اختلطوا بغير جنسيتهم وتكلموا بلغتهم ثم جاء ابناؤهم من بعدهم وتعلموا بلغة الغير فانسلخوا من جنسيتهم وتجنسوا بجنسية من يتكلمون بلغتهم كما حصل في الالمان الذين تأنجلوا والذين تفرنجوا أيام ثورات الاوسترغوط والنورماندية وغيرهم وما ذلك الا بترك لغتهم واستعمال لغة الغير التي حكمت بتسليم الذات تبعاً لها . ومن مبادئهم تعليم روابط الجنسية وشرفها ووجوب المحافظة عليها فيخرج التلميذ عارفاً بقدر نفسه محباً لابناء جنسه حافظاً لتاريخ قومه عالماً بثارات الدول معهم وارتباطهم بغيرهم محيطاً بالفروع التي تفرعت من جنسيته والاقطار التي حلت بها باحثاً فيما يحفظ وحدة جنسيته ويجمع كلمتها ويرفع قدرها وينمي ثروتها ويكثر عمارتها ويقدم تجارتها ويصلح زراعتها ويحفظ حدودها وينور افكارها فما رأى فضيلة في امة الا نقلها اليها ولا مزية في موجود الاسهل لها الحصول عليها وبهذا رأينا كل جنس في اوروبا مرتبطة افراده ببعضها ارتباط أهل بيت واحد وان توزعت الاهواء حول المشارب السياسية والمذاهب الدينية . ومن مبادئهم تعليم التاريخ الملي والوطني فيعرف كل تلميذ اصول آبائه والمتقلبين في وطنه وادوار عمرانه واسباب تقدمه وتأخره والعوارض التي طرأت عليه من خير وشر والامم التي هاجمته والتي تاخمه والتي تواد اهله والتي تنافرهم ومن تاريخه يعلم الرجال الذين خدموا وطنه من سياسيين وحربيين وكتاب وفضلاء فترى الامة سارية خلف رجال الطبقة الاولى من المدربين على الاعمال معضدين آراءهم معارضين اعداءهم فاذا شرع العظيم منهم في مشروع نافع للوطن وأهله رأى الامة أمامه منادية بصوته مؤيدة مبتكراته فيقوي بذلك عزمه ويسهر

في طلب راحة الامة وتقدمها فرحاً بمعرفة الامة لقدره مسروراً بتدوين الامة لتاريخه اذ لا بد لكل انسان من غرض ذاتي مهما كانت حرية ضميره في أعماله ولا غرض لخدمة الاوطان والامم من كبار الرجال الا حفظ تاريخ حياتهم بين الامة التي يخدمونها ويتركون لذائذهم ومشتهياتهم في جانب تمتع الامة بنتائج افكارهم التي تركوا اللذائذ والمشتهيات لاجلها • وفي مقدمة رجال الهمم والآثار الملوك والوزراء فترى صورهم مرتسمة امام التلميذ واعمالهم مدونة بين يديه فيعرف قدر ملوك وطنه وشرف المحافظة على بيت الملك والدفاع عن اهله ومنصبهم الجليل اذ لا شرف لامة لا ملك لها ولا مجد لمملكة اضاعت بيت ملكها ولهذا نرى الاوروباويين متعاضدين على حفظ ملوكهم متدافعين في طريق وقايتهم من العوارض الضارة قائمين باداء واجباتهم وفروض رسومهم كما نراهم يتمدحون بوزرائهم وينادون بمجدهم وينشرون اعمالهم في جرائدهم ويحفظونها في في تواريخهم ويعاملونهم معاملة الآباء الرحماء ويعظمونهم تعظيم اشرف الناس واعلاهم قدراً • وبهذا افنى الوزراء اعمارهم في خدمة الامم وجدوا في حفظ اوطانهم وجلب موارد الثروة اليها وتربية ابنائها تربية الحكماء المدربين على جميع الاعمال ومن مبادئهم تحذير التلميذ من الثورة على ملكه او احداث الفتنة بين قومه وتنفيره من الانضمام الى الاحزاب الفوضوية وتقبيح كل مخالفة لاوامر ملوكه ووزرائه التي تصدر للاصلاح واحياء المعارف والصنائع ووقاية الملك من الاعداء • ويذكرون له بعض قصص الثائرين وما تم لهم من العقاب وبعض المعارضين وما انبني على معارضتهم من الدمار فيخرج التلميذ قريباً من كل خير للوطن واهله بعيداً من كل شر للوطن واهله • ثم يضيفون لهذا كله تاريخ الامم وما لهم من العلائق والروابط ويضمون الى ذلك مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات والارشاد الى الاقتصاد المالي والانتظام البيتي وتعليم ضروب التجارة وما يلزم لها فاذا تمت له هذه المبادئ وانتقل منها الى العلوم العالية خرج من المدارس قابلاً للكمالات مستعداً للادارات مؤهلاً للسياسيات فلا يزال يطبق عمله على علمه واشغاله تشهد له حتى ينتظم في سلك الرجال العظام وهناك تظهر ثمرات مجرياته وفوائد مخترعاته ومروياته ويشار اليه بانه الرجل الذي بحسن تربيته وشريف عمله زاحم بمنكبه اعاظم

الرجال . وهذه التربية هي التي رفعت ممالك اوروبا الى اوج السعادة والمنعة وانتهت بامها الى سنام الكمال

ومن هذا الانموذج نعلم ان رجال الدين في اوروبا هم اساتذة السياسة ورجال السياسة هم حفظة الدين فاتحد المبدأ والغاية وهذا عكس ما نراه في جميع اهل الشرق فان العلماء مبتعدون عن السياسة مقتصرون على العلوم الدينية فاذا عرض عليهم امر سياسي احجموا عن الخوض فيه لجهل طرقه وان تكلموا فيه بالجراءة كان الخطأ اكثر من الصواب لعدم اشتغالهم بمثله ولهذا اهملهم الامراء في المجامع السياسية واخذوا بآراء من هم دونهم في الرتبة العلمية اذا كان من المشتغلين بالسياسة المدربين على اعمالها مع ان فريق العلماء احق الناس بالاشتغال بها والتفنن فيها وغوص بحارها فان نوازل الملوك تقضي عليهم في الغالب باستشارة العلماء فاذا جهلوا ما استشيروا فيه ربما اشاروا بما فيه ضرر الامة وهم يظنون انهم محسنون صنعا بخلاف ما اذا اشتغلوا بالامور السياسية فانهم بما عندهم من تربية الملكة واقتدارهم على فهم عويص المعاني يمهرون في السياسة ويتقدمون على المشتغلين بها عمراً طويلاً اذا اشتغلوا بها زمناً قصيراً وليس في النصوص ما يمنع من الاشتغال بها حتى نعده معصية بل كل العلوم الشرعية من قواعد السياسة فان ابواب البيوع والزروع والوقف والحرب والسلم والجنايات والشهادات والحقوق والعتق والقسمة وغيرها كلها من اصول السياسة ومن درس العلوم الكثيرة لا يعز عليه دراسة القوانين والمعاهدات الدولية والاخبار اليومية بعد ان تمت له المعدات ومواد التحصيل . فما لنا نتقاعد عن طرق اوروبا النافعة ونسعى في طرق تفقدنا معاشر الشرقيين روابط الجنس واللغة والوطن والدين وما لنا غفلنا عن مبادئ الجمعيات الاوروباوية وسلمنا اولادنا الى اساتذتها فاعادوهم الينا متجنسين بجنسياتهم حقيقة وان شابهونا صورة فترى المصري والسوري والتركي والعراقي الذين تعلموا من بادئ امرهم على اساتذة الفرير والبروتستانت والجزويت صاروا قسماً ثالثاً بين الشرقيين والغربيين اللهجة شرقية والمساعي غربية . فما ذا على اغنياء الشرق لو عقدوا الجمعيات الخيرية تحت حماية دولتهم وفتحوا بها المدارس الوطنية وعلموا فيها هذه المبادئ تقليداً لاوروبا وساعدتهم الحكومة بحفظ

مشروعهم من السقوط وتسهيل طرق تعميم التعليم وتوسيع نطاق الجمعيات باعداد محافل الخطابة العلنية العلمية ونشر المطبوعات الاهلية ومكافأة النابغين ومساعدتهم على جني ثمرة اتعابهم باستخدام او تسهيل طريق معيشة او اعانة على صناعة وحفظ الامتيازات للمؤلفين والمخترعين لتنمو الافكار وتكثر المبتكرات فهذه اوروبا تنادينا

عني خذوا وبي اقتدوا ولي اسمعوا وتحدثوا بغرائبي بين الورى

بم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد

هذا السؤال لهجت به ألسنة الشرقيين واشتغل العقلاء به في كل الممالك الشرقية فغدوا يتساءلون فيما بينهم عن الأوروبيين ما قدمهم وأخرنا والخلق واحد . وكما دار السؤال على ألسنتهم دار عليها كثير من الاجوبة وكل واحد يزعم انه عرف السبب ووقف على علل التأخر فنهم القائلون ان الجو له حكم في انفعال الاجسام بحسب ما تدعو اليه طبيعته وقد قضى على الشرقيين بالكسل والتقاعد عن الاعمال العمرانية كما قضى على الاوروبيين بالعمل وعلو الهمة وعللوا ذلك بعلل تنكرها عليهم الادوار الماضية فقد اخذ الشرق ادواراً علمية مدنية استمدت اوروبا مدنيتها من دوره الاخير ايام كانت على اسوء مما عليه الشرق الآن . ومنهم القائلون ان الدين الاسلامي مانع من التقدم وهو علة العلل في هذا الباب واصحاب هذا القول كالببغا يحكون الصوت ولا يدركون المعنى فقد قلدوا في هذا الوهم اوروباويا في قوله الذي طارت به الصحف في كل مكان وفاتهم ان الشرق ممتلئ باديان تغاير الدين الاسلامي والآخذون بها اضعاف الآخذين بالاسلام ومع ذلك فان تقهقرهم في المدنية والقوى العلمية اكثر من المسلمين بل لانسبة بينهم وبين المسلمين في المدنية والالفة بين الناس ومعاشرة المغايرين لهم جنساً وديناً . فلو كان الاسلام مانعاً لرأينا الهند والصين في تقدم اوروبا وحالهم شاهدة بانهم اخط من المسلمين بدرجات . ودعوى الاوروبي ان الاسلام سبب لحركات الشرق ضد الغرب وانه لا سكون للافكار الا باعدام القرآن والآخذين به مدحوضة بالحروب المتواصلة بين دول اوروبا المسيحية من عهد الرومانيين الى الآن وكلما كثرت

مدنيـة دولة اوروبية كثر تفنها في آلات القتال والتدمير مع سكون الشرق هذه القرون الطويلة لا يتحرك الا دفاعاً عن وطنـه الموطوء باقدام اوروبا الملوثة بالدماء الشرقية . ولا يحركه الا فتنة اوروبية ولا داعي لاوروبا في تحريك الممالك الشرقية الا الطمع الملكي والتعصب الديني وانما لشدة تمسك هذا الاوروبي بدينه كره ان يرى ديناً غيره واحب ان يسمع صـدى صوته في بلاده لتميل النفوس الى رجل غيور على الدين . وقد كان للاسلام اليد القوية ايام صولته فلم يبطش بها بمواطنيه ولا مدها الى معاهديه بل ولا حرّك بها عصاه نحو المتوحشين عند نزولهم على حكمه تحت سطوة سلطانه . ولم يكن عند رجاله من التعصب ما يحملهم على قهر الناس بالتضييق على ترك اديانهم بل خير من نازلهم بين الاخذ به او الاستيطان على حكمه وهذه خصوصية له من بين الاديان ويكفيه من اطلاق حرية الاعمال ان وفداً من نصارى العرب وفد على سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في مسجده فلما ادركتهم الصلاة قاموا ليصلوا جهة الشرق فاراد الصحابة التعرض لهم فمنعهم النبي وتركهم يصلون في حضرته لغير قبلته وعلى غير ملته وليس بعد هـذا مسلك لحرية الافكار والاديان . ومنهم القائلون ان اختلاف الجنس مانع عظيم وهذا وان كان له وجه ولكن هناك وحدات اخرى تترك للجنس خصوصيات ومزايا لا تبعده عن الانقياد للسلطة الجامعـة للاجناس . ومنهم القائلون ان الاديان سبب التخاذل الحاصل في العالم ولا سبيل لمنعه الا بتركها جملة واعدامها من الوجود وهذا الفريق مقلد لدهاة اوروبا الذين افسدوا كثيراً من الاخلاق الشرقية بهذه الترهات والاوهام . مع اننا لو فرضنا عدم صحة الاديان وانها وضعت نظامات في ايام الخشونة والجهالة ولا لزوم لها الآن مع وجود القوانين الوضعية لكان من الواجب احترامها واعتبارها فان تأثير وعدها ووعيدها في النفوس لا يبلغه قانون فان الشخص يمكنه ان يفر من عقوبة القانون أما بالبعد عن موجبها وأما بالتحايل على تأويل مواده بالوسائط ولكنه لا يمكنه ان يفر من عقوبة الله باية حيلة على معتقده . ولو ترك الناس وشأنهم لأكل بعضهم بعضاً ولعجزت اية دولة قانونية عن ضبط افرادها ولو كان لها في كل ذراع عسكري حارس . وما ساعد الملوك على النظام وبث الامن الا القانون الديني وما فتح

الباب لاهل القوانين الوضعية الا الشرائع الدينية . والدين هو الذي يحمل العسكري على بيع حياته في حرب دينية انتصاراً للدين واقدامه في الحرب الدينية يفوق اقدامه في الحرب الملكية اضعافاً وما يدعوه للدخول في ساحة القتال الا الطمع الاخروي الآتي به الدين . فلو علم العسكري ان لا بعث ولا اجر على عملة لفر من ساحة القتال فان ارغم قاتل مكرها . ولا يقال ان الشرف الوطني يلزمه باقتحام غمرات الموت فانه اذا علم انه يقدم للموت ليفوز الملك او الامير بمراده ولا ثواب ولا نعيم فانه لا يبيع حياته بلذة غيره واذا بطل هذا كله لزمنا البحث في العلل التي اوجبت التأخر ولا نتوصل اليها الا بمعرفة الاسباب التي قدمت اوروبا فبضدها تتميز الاشياء

السبب الاول

لا ينكر ان ممالك اوروبا كانت دوقات وكونتات وايالات وممالك صغيرة وكبيرة وان الذين صيروها الى ما هي عليه الآن عائلات تسلطت على عائلات وضمت الاجزاء الى بعضها وصيرت كل قطعة عظيمة مملكة مستقلة . وعند ما تغلبت هذه العائلات خافت من تحرك الهمم خلف الاستقلال فهدتها التجارب الي توحيد اللغة في بلادها لتميت حمية الجنس التي تدفع اليها اللغة فلم يكن في بلاد فرانسا وانكلترة او المانيا من يتكلم بغير لغة البلاد والمراد بعدم التكلم بلغة الغير ان المملكة توحد اللغة في المعاملات والتأليفات والتعليم والمخاطبات فلا يستعملون لغة الغير الا لضرورة تدعو اليها بحيث لا يتوسع فيها الى حد ان تسطو على اللغة المحلية . وقد اعتنت الدول بذلك حتى ان مثل البلغار قلدت الدول الكبيرة ومنعت لغات الغير من استعمالها في مدارسها . وبهذا القانون نقلوا كل جنس دخل تحت سطوتهم الى لغاتهم فحكمت اللغات على الاجناس التي اخذت بها وصيرتهم كاهلها في الاخلاق والعادات لنسيانهم لغاتهم وانفعالهم بفواعل اللغة الموضوع لها تلك الالفاظ . وملوك الشرق اخطأوا هذا الغرض وتركوا المحكومين يتكلمون بلغاتهم ويتعلمون بها فبقيت الجنسيات حية بحياة اللغة وذلت خاضعت بقدرما دعت ضرورة الضعف والفراغ من المعدات وكلما فتح لجنس باب ثورة او محرك لاستقلال تدافع حول الداعي وتفانى في الخروج من اسر الغير يشهد بذلك الامم التي حكمها العرب ولم يوحدوا

اللغة فيهم فخضعوا بقدر ما استعدوا للخروج من سلطتهم او للتغلب عليهم حتى تمزقت المملكة وتوزعت في ايدي الثائرين والمتغلبين . والترك والفرس عند ما افرغت اليهم دولة العرب تركوا الناس ولغاتهم ولم يوحدوا لغتهم في محكوميهم لا بطريق الاجبار ولا بطريق التعليم فبقيت نار الجنسيات تحت ردم انتهاز الفرص حتى تمت المبادئ فقامت عليها الاجناس ثائرة بنفسها او منبعثة بتحريك الغير لها . ولا ينكر ذلك الا من جهل استقلال الفرس والافغان وبخارى واليمن وتونس ومراكش ومسقط وزنجبار والبلغار ورومانيا والجبل الاسود والسرب وممالك السودان والهند الاسلامية وقد كانوا تحت السلطة العربية ثم التركية والفارسية بعدها . وهذا الذي اخاف ممالك اوروبا فاتخذت ما حصل للعرب والترك والفرس كتاباً تدرس فيه وقاية ممالكها من العوارض المعددة لوحدة كل امة منها . وكما اتخذت هذه الطريقة لتوحيد الجنسية في بلادها التزمتها في الامم المتغلبة عليها ولكنها لم تجعل الانتقال الى لغتها اجبارياً بل التزمت التدرج لذلك بتعميم التعليم بها لئلا ينفر المحكومون اذا علموا سعيها في اماتة لغتهم فهي تخادعهم باسم التعليم حتى اذا انقرضت الطبقة الحاضرة خرجت التي بعدها مذبذبة فاذا مضت جاءت الطبقة الثالثة من جنس الامة الحاكمة لغة ودينا فتأمن ثورتها وتحركها عليها لكونها صارت منها واذا دامت هذه الحرب الخفية قرناً او قرنين والشرق في غفلته منحدر في تيار الاوهام ماتت الاجناس العربية والتركية والفارسية والهندية والمغولية والحبشية والافريقية واصبح الشرق مسكوناً باامم اوروبية لغة وديناً وان ولدوا في آسيا وافريقيا

السبب الثاني

عند ما تم لكل عائلة اوروبية الاستيلاء على قطعة مخصوصة وحدت السلطة في الجنس المتغلب فلم تمكن أي انسان من المتغلب عليهم من اي ادارة فراراً من توزيع السلطة وضياع القانون بالاهواء والاميال الجنسية وخوفاً من اتساع سلطة المقهورين بما يحركهم للاستقلال . واستمرت الحال كذلك حتى تم نقل الاجناس لغةً وديناً وصار المجموع جنساً واحداً . وعند تغلب مملكة اوروبية على مملكة شرقية تجعل الادارات العالية بيد رجال منها لتوحد السلطة وتتمكن من القبض على ازمة القوى الحربية والمالية والادارية

فتراها تسوق الملايين من الشرق بعشرة رجال منها . وهي لا تمكن اجنبياً من ادارتها فلا ترى روسياً قائداً لجيش انكليزي ولا انكليزياً وزيراً لمالية روسيا ولا فرنساوياً وزيراً لمعارف ايتاليا ولا ايتالياً وزيراً لحربية فرانسا وهكذا بقية الدول . ودول الشرق اخطأت هذا الطريق ولفقت العمال من الاجناس المحكومة وغيرها فانحلت عرى قواها وكثر فيها الثورات والتغلبات حتى جاءت الدولة العربية فوحدت سلطتها في دورها الاول فنمت مملكتها بكثرة فتوحاتها ونفذت قوانينها الشرعية والوضعية في الممالك التي ربطت خيولها بابواب ملوكها وامرائها . فلما اتسع نطاق المدنية وجنح الخلفاء والامراء الى الرفاهة والسكون اسلموا امور ادارتهم الى الاجناس المحكومة بهم فدعاهم حب الاثرة الى نزع ما بيد مواليهم وساداتهم ورجعت العرب القهقري وكثر المتغلبون وفسد النظام وجرت الدماء في كل جهة وطمعت دول اوروبا فهاجمت الشرق بعد ان كانت ترعد من ذكره ثم انتهى الامر بجمع السلطة للامة التركية فاخذت دورها الاول بما لا ينزل عن دور العرب بل تخطت من آسيا لاوروبا وفتحت بعض قطع منها واستولت عليها قروناً وما زالت تزاول الاعمال بنفسها حتى وقفت برزخاً ضيقاً بين اوروبا وبين بلادها وممالك الشرق ولما انتهت في المدنية الى حد الرفاهية والخلود الى الراحة وفوضت امر كثير من الادارات الى غير جنسيتها كانت تلك الاجناس الوسيلة العظمى لتداخل اوروبا في مملكتها وكذلك بقية الممالك الشرقية التي اصبحت ميداناً للعب رجال اوروبا بعقول اهلها

السبب الثالث

كل عائلة تغلبت على قطعة في اوروبا وحدت دينها والزمت المحكومين بالاخذ به واراقت غزير الدم في سبيل توحيد الجامعة الدينية لئلا تترك بينهم ديناً آخر يوجب النفرة والفتن الداخلية والتداخل الخارجي وقد اعتنت اوروبا بالدين اعتناء غريباً حتى ملأت بكلماته كتب التعليم من اي فن كانت ورسمت الصليب الذي هو الصورة المحترمة ديناً على الملابس واواني الاكل والشرب والبسط والفرش والآلات واوراق الزيارة والمباني حتى على اعتاب الابواب فلا يكاد يقع بصر انسان على شيء الا وعليه هذه الصورة المقدسة ليكون الدين في فكر الواحد منهم في كل طرفة عين . ولعلهم

ان وحدة الدين اذا انضمت الى وحدتي اللغة والسلطة قامت المملكة على اساس متين اهتموا بنقل الامم الشرقية بطريق التدرج فلم تقهر فرانسا اهل الجزائر وتونس على ترك دينهم كما فعلت اسبانيا في مسلميها عند تغلبها عليهم حيث الجأتهم الى التنصر او الخروج من البلاد وكذلك انكلترة لم تكره مسلمي الهند ولا روسيا قهرت مسلمي طاغستان والتركمان وغيرهم ممن هم في حوزتها وانما التزمت كل دولة ان تعمم لغتها فيهم وان تفتح المدارس لتعليم الابناء على اخلاق الامة الحاكمة وتمنع تعلم الدين الا مبادئ قليلة جدا تموه بها على ضعفاء الادراك ليخرج المتعلمون فارغين من الدين فيسهل نقلهم لأي دين بعد . فان تعرضت امة شرقية لذكر دينها ولو لم تكن محكومة بامة اوروبية نودي عليها بالتوحش والخشونة والهمجية وقيل ان هذا تعصب ديني مع ان التعصب الديني لا يوجد الا في صنع اوروبا ولكن القوة تقول للضعف ما تشا . وقد اخطأ ملوك الشرق هذا الطريق واكتفوا بالفتوح او التغلب على الغير وتركوه على معتقده كما كان يصنع قدماء المصريين والبابليين والفرس والهنود وغيرهم ثم جاء الاسلام فاكتفى من الناس بالاخذ به او الاذعان لملوكه وعند ما نشر جناحيه في الشرق والغرب ترك أمماً كثيرة على اديانهم المسيحية والموسوية والبرهمية والمجوسية والوثنية واعطاهم حرية التعبد من غير ان يتعرض لهم احد من المسلمين وهذه مزية لا توجد في دين غيره . ولكنه لم يجن من هذا الغرس الجميل ثناء ولا شكوراً بل هاجمت اوروبا باجمعها الشام بالنزعات الدينية وخربت دياره واراقت في كل شبر منه دم انسان فجلبت الدمار على مسلميه ومسيحييه واسرائيلييه واصبح فارغاً من معدات العمران محالاً بينه وبين التقدم بسور الفقر الذي بنته اوروبا بيد التعصب الديني . ومع كل هذه الفتن فان اصول ديننا توجب علينا حسن معاملة من غايرنا ديناً ومعاشرة الوطني والمستوطن معاشرة المثيل وان عاملنا بضد معاملتنا له لعدم امكاننا التصرف في اصول ديننا . ولم تكتف اوروبا بتوحيد الدين في بلادها بل عقد الاهالي الجمعيات الدينية وربوا لها الوفاً من القسوس وبذلوا لهم الملايين من الذهب وبثوهم في الشرق تحت حماية دولهم ورعايتها فجاسوا خلال افريقيا وآسيا داعين الى الدين وقد انحدر الشرق في هذا التيار الذي لا مرسى له ولا مرجع الا

توحيـد الدين شرقاً وغرباً . وقد اخطأ الشرقيون هذا الطريق فنامت الامم في زوايا الاهمال وعكفوا على الملاهي يصرفون فيها الذهب والفضة وتركوا العلماء والاحبار والرؤساء يجلسون في المساجد والمعابد والهياكل منتظرين من يقطع البراري والقفار ليتعلم منهم الدين وقد التزموا الطرق البطيئة وصعبوا على المتعلم طريق الحصول على المعارف ولا نعيبهم بالتقاعد عن جوب الاقطار مع ما هم عليـه من الفاقة والحاجة الى القوت الضروري وانما نعيب الاغنياء واصحاب الاوقاف الذين ضلوا هذا الطريق وجعلوا اموالهم غنيمة لمن لا يستحقها من نائم في تكية او شموع لمولد او نذور لاضرحة حتى من وفق لرصد شيء للتعليم صودر بما لم يكن في حسابه ولهذا تأخرت المعارف في الممالك الشرقية وعمت الجهالة عوامه واقتصر العلماء على التعاليم الدينية في بعض البلاد وتركت العلوم الرياضية فماتت الصنائع بموت اهلها وعدم بحث الملوك في احيائها وغفلة الامم عن فتح المدارس والمعامل على ذمة الجمعيات الخيرية والتجارية فاصبح الناس يعدون مخترعات اوروبا من وراء العقول وحكموا على انفسهم باستحالة الوصول الى تقدم اوروبا لفراغهم من المبادئ العلمية وبعدهم عن المسائل الدولية

السبب الرابع

لما تمت تربية امم اوروبا تحت احضان ممالكها وجمعياتها العلمية والتجارية ورأت الدول انها لو بقيت على التقاطع والتضاغن مع توحيد الدين بينها صارت عرضـة للتفاني في سبيل الاطماع وفتحت للشرق بتخاذلها باب تداخل في شؤونها الحربية او السلمية ولم تجد شيئاً تسد به هذا الباب الا المعاهدات الدولية لتأمن كل مملكة شر جارتها وتلتفت لتنظيم ادارتها فاجتمعت كلمة ملوك اوروبا على حفظ الوحدة الاوروبية من مس الشرق لها مهما تقلبت المسائل الدولية بين ايديهم وعلى توجيه الهمم الى الشرق فتحاً واستعماراً فتراهم اذا هموا بامر ضد مملكة شرقية خابر بعضهم بعضاً فاذا ارضى هذا ذاك وتمت كلمة التداخل والاستيلاء وثبت الدولة العاملة تحت مراقبة اخواتها فان فازت بالظفر فذاك وان خذلت تداركها الكل واوقفوا الشرقية عند حدودها وكلفوها ما لا يطاق . فاذا انتهت من دورها قامت الاخرى لوثبتها التي اباحها لها الاتفاق وعلى هذا

جرت ممالك اوروبا حتى مكنها الوفاق من التغلغل في افريقيا وآسيا • وقد اخطأت ممالك الشرق هذا الطريق الجليل فاستبدلت الاتفاق بالنفرة وبث العداوة بين افراد الامم وانتهت العداوة الى مساعدة دولة شرقيـة لدولة اوروبية على امة شرقية مثلها لاستيلائها عليها وما تشعر انها واقعة في حبالتها بالقوة او بالحيلة المالية ولهذا لا نرى اتحاداً بين ملوك الصين والهند ولا بين هؤلاء والفرس ولا بين المجموع والترك ولا بين هؤلاء والافغان وبخارى ومراكش وزنجبار وبهذا التقاطع تمكنت اوروبا من التداخل بين ملوك تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى فبتقاطعهم صارت ممالكهم اجزاء صغيرة في قارتين عظيمتين فسهل الاستيلاء عليها واحدة فواحدة وكل ملك ينظر الحاصل لجاره ولا تتحرك همتـه لجمع الكلمة الشرقية او الاتفاق الدفاعي • وكان لاوروبا اليد القوية في افساد ملوك الشرق وايقاع العداوة بينهم بالاكاذيب الموهمة حتى صيرتهم اشد عداوة لبعضهم من عداوتهم لهـا بل بتلطفها في الخداع والتمويه صارت محبوبة عند البعض من ملوك الشرق • وعلى هذه الاصول الاربعة بنت اوروبا قواعد ممالكها وبتربية الامم تحت احضانها على هذه المبادئ العظيمة تفرع عن هذه الاسباب اسباب ثانوية كانت قوة على قوة بل صارت مادة الحياة المدنية وتقدم العلم والصناعة واتساع العمران

السبب الاول الفرعي

اطلاق حرية الكتاب في نشر افكارهم بـين الامم لحياة افكار العامة باحتكاكها في افكار العقلاء وبهذه الواسطة ربى الكتاب الامم وهذبوهم ونقلوهم من حضيض الجهل والخمول الى ذروة العلم والظهور ووجدت الدول رجالاً مدربين لم تنفق في تربيتهم درهماً ولا ديناراً وانما رباهم المحررون والعلماء وقد اخطأ الشرق هذا الطريق فخاف ملوكه من الكتاب والعقلاء فضغطوا على افكارهم حتى اماتوها في اذهانهـم الى ان جاءت الدولة العربية واطلقت حرية الافكار وجمعت العلماء من جميع الجهات وترجمت كتب الاوائل الحكمية وغيرها وفتحت باباً اغلقه الجهل قروناً طويلة ثم انقضى دور الضخامة وتوحيد الكلمة وجاء وقت المتغلبين فتجزأت المملكة وتصدي الثائرون لقتل العلماء واحراق

الكتب وهدم المدارس فانطفأت انوار العلوم الشرقية وضيق ملوك الشرق على ارباب الاقلام فبات الصين والهند والعراقان وبلاد العرب والجبال والغرب على ما كانوا عليه من عداوة الكتاب ونفي الظاهر منهم او اعدامه حتى الجأوا كثيراً منهم الى الالتجاء لاوروبا وخدمتها بتعرير قومه وتضليلهم انتقاماً او قياماً بحق حاميه من الاعدام ولو اطلق ملوك الشرق حرية التحرير وجعلوا المحررين تحت مراقبتهم وساعدوا المخلص في خدمة مملكته وجنسه واسكتوا المفسد والمهيج لاحيوا الامم التائهة في القفار وبعثوا فيهم ارواح غيرة وحمية تصان بها الممالك

السبب الثاني الفرعي

بهداية الامم الاوروباوية الى المعارف وطرق التقدم تجمع ارباب الاموال منهم لفتح صناديق الاعمال المالية فتحصلوا بالسهام القليلة على نقود كثيرة واستعملوها في المعامل والتجارة وساعدتهم الدول فحجرت على مصنوع الغير وتجارته لترويج البضاعة الاهلية وتحفظ الثروة في داخلية البلاد وبهذه الطريقة اتسعت الثروة وارتفع الفقراء الى مقام الاغنياء واصبحت الممالك تباهي بعضها بثروة اهاليها ووفرة ما ليتها . وقد اخطأ الشرقيون هذا الطريق وجمعوا المال لوضعه تحت الارض خبيئة او لصرفه في الملاذ والشهوات وتركوا صنائعهم عرضة للضياع واستعملوا مصنوع اوروبا حتى اماتوا الصنعة والصناع وحولوا ثروتهم الى اوروبا فترى الصانع الشرقي يئن من الم الفقر وهو جار الغني ولكنه لا يشعر بانينه لاشتغاله عنه بالملاذ والملاهي

السبب الثالث الفرعي

لما رأت دول اوروبا ان المخترعات والصنائع النافعة لا تكون الا من فريق الفقراء سنت قانون الامتياز والمكافاءة والشهادات العلية والعملية ونياشين الشرف لتبعث في الناس غيرة المجاراة والمباراة في التفنن والاختراع وكلما اخترع واحد شيئاً كوفئ على اختراعه والتزمه منه الاغنياء وارباب المعامل فكثر المخترعون وانتهت بهم البعثة العلية الى استخدام البخار والكهرباء واكتشاف العوالم القديمة والحديثة . وقد اخطأ الشرقيون هذا الطريق فحطوا على المخترعين وتركوهم واعمالهم وانكبوا على الاجنبي ومصنوعه واغمض الملوك عنهم عين

الرعاية والاعتبار ففترت الهمم وقعدت عن السعي خلف النافع من بنات الافكار واكتفى كل صانع بالبسيط من الاعمال المتداولة التي لا بد منها لكل امة

السبب الرابع الفرعي

لما رأت دول اوروبا ان الامية ما تمكنت من امة الا عرضتها للضياع والاستسلام الى الغير عممت التعليم وجعلته اجبارياً حتى اصبح الاميون يعدون في ممالكها العظيمة . وقد اعتمدت كل دولة على توحيد التعليم فعلمت الامة الدين وتاريخ الجنس واللغة واخلاقها وعاداتها والقانون المدني الجامع لوحدة الامة وتاريخ المملكة وحقوق الملك وواجبات الدفاع عنه حتى سرت روح الحياة الدولية في كل فرد من افرادها واتسع نطاق الافكار فاصبحوا في حروب فكرية نتائجها الاحياء وامتداد السلطة . وقد اخطاء الشرقيون هذا الطريق فتركوا الامم تائهين في الجهالة العمياء لتوهمهم ان المتعلمين يعارضونهم فيما هم فيه وما صيرهم لذلك الا اسناد بعض الاحكام الى الجهلة وضعفاء العقول . وقد نامت الامم الشرقية تحت ردم التهاون وعدم التبصر حتى مات العلم وأهله وما تحركت طائفة لعقد جمعية تساعد من بقي من العلماء على نشر المعارف وتوسيع دائرتها بل كل غني وامير يجعل الذنب للعلماء لتقاعدهم عن جوب البلاد وجوس الفدافد والقفار وهم يعلمون من شأن العلماء انهم لا يملكون شيئاً من الذهب والفضة وقد حبس الامراء والاغنياء الذهب والفضة وجعلوهما وقفاً للملاهي واللذائذ وكلما هبت عليهم ريح تبكيت قالوا ما اخر الشرق الا العلماء . وبموت أهل المعارف احتاج ملوك الشرق لاستخدام اناس من اوروبا يقومون بهم أود ممالكهم . ومن نظر لجمعيات اغنياء اوروبا وعدم حصر مدارسها في الشرق والغرب ورأى اغنياء الشرق وهم يبعثون اولادهم الى مدارسهم ليتعلموا على قساوسة اوروبا امور دينهم ودنياهم سفه احلامهم وايقن انهم العلة الوحيدة في تأخر الشرق عن اوروبا فالفقير العالم ماذا يقول والصانع المعدم ماذا يصنع والعاقل المحتاج ماذا يعمل وكلٌ يحتاج الى المادة ولا مادة الا جمعيات الاغنياء والامراء واتجاه الملوك اليها بالعناية والمساعدة المادية والمعنوية

السبب الخامس الفرعي

لما رأت ممالك اوروبا كثيراً ما يقعون في خطاء الرأي بالانفراد فيه احدثوا مجالس الوزراء والشورى التي تقيدت بها الممالك ظاهراً فالقت اوزارها على عواتق أعيان الاهالي ومنتخبيهم لتستمد من افكارهم ما به يحسن النظام وتبقى المملكة حية بحياة قواها العاملة وصار للامم الثقة بملوكهم ووزرائهم لعلمهم انهم لا يصرفون شيئاً ولا يحدثون عملاً ولا يبرمون أمراً الا بمشورة نوابهم وبتبادل الافكار بين الوزراء والنواب ظهرت ثمرات عظيمة واشتد عضد الدول وعظمت قوتها واتسعت تجارتها ومعارفها وكثر المرشحون للاعمال والادارات العالية بالتربية في المجالس . وقد اخطأ الشرقيون هذا الطريق بسبب الجهالة التي عمت الامم الشرقية فلم يكن عند ملوكهم ثقة باعيانهم ووجهائهم ولا يحبون كثرة العقلاء خوفاً من التغلب الذي يحلم به كل ملك شرقي وهو وهم لا حقيقة له ولذا نراهم اذا نبغ في ممالكهم اناس وضعوهم تحت سوط التضييق حتى يبغض الغير طريق العقلاء والنبهاء فراراً من الوقوع فيما وقعوا فيه من البلاء والعناء

السبب السادس الفرعي

انتجت تربية الامم على المعارف احداث أندية السمر والتجارة فاتخذت المجالس العديدة لاجتماع أهل الافكار ممتزجين ببعض الضعفاء لينقلوا عنهم ويتربوا تحت احضانهم وفي تلك المجالس تدور الاحاديث على الامم والممالك وأعمال الملوك واخلاق العالم وتاريخ العمران فكانت هذه المجالس روحاً ثانية في جسد المملكة المتحرك بروح الوزراء والنواب والعمال وقد علم الملوك حسن مقاصدهم فلم يضيقوا عليهم بشيء يحول بينهم وبين مدارسهم الادبية . والشرقيون اخطأوا هـذا الطريق وجعلوا مجالسهم قاصرة على الغيبة والنميمة والسعي في اذية فلان ومعاكسة علان والتحاسد والتباغض وتقبيح بعضهم بعضاً واللهو واللعب وانقطعوا عن العالم بالمرة . ومنهم من اقتصر على الاقامة بين أولاده . ومنهم نفر قليل اشتغلوا بالمعارف واضطرهم تيار المجتمع المدني الى الانحدار معهم في غالب الاوقات وقلّ ان يجتمع جماعة للبحث فيما ينفع الامة او الدولة لعلم العقلاء ان ابحاثهم غير معول عليها ولا ملتفت اليها لانصراف منظم الامـة الى الشهوات . فهذه هي

الاسباب التي قدمت اوروبا ونشرت ألوية التقدم في جميع جهاتها وبالوقوف عليها عرفنا العلل التي اخرت الممالك الشرقية على اختلاف مواقعها واوقعتها في نخاخ اوروبا وعلمنا ان الدين الاسلامي والاديان الشرقية لم تكن السبب في التأخر كما يزعم كثير من الطائرين حول دهاة اوروبا بل ان الدين الاسلامي كان السبب الوحيد في المدنية وتوسيع العمران أيام كان الناس عاملين باحكامه . والجو هو هو الذي كان فيه المتقدمون من المصريين والفنيقيين والفرس والهنود والعرب والترك وقد تحققنا ان التأخر انما جاء من تعميم الجهالة باغضاء الملوك عن وسائل التعليم والتضييق على ارباب الاقلام والافكار وبعد الاغنياء عن الجمعيات وتقاعدهم عن ضروب التجارة والصناعة والزراعة ورضاهم بالبقاء تحت اسر الشهوات فاذا اطلق الملوك حرية الافكار والمطبوعات تحت المراقبة وبذل الاغنياء الذهب في حياة الصنعة وتعميم المعارف في المدن والقرى ومساعدة العلماء على الرحلة خلف حياة العلم واجتمعت كلمة الملوك والوزراء والامم على السعي خلف التقدم امكنهم ان يوقفوا تيار اوروبا شيئاً فشيئاً حتى يضارعوها قوة وعلماً . والا اذا تركوا هذه الاسباب وبقوا على ما هم فيه من التقاطع والتحاسد والجهالة كان من العبث تجمعهم في الاندية وتمشدقهم بقول بعضهم لبعض بم تقدم الاوروبيون وتأخرنا والخالق واحد

اشتات الشرق وعصبيات اوروبا

من نظر في تقدمُ الشرق في الاعصر الاول قوة وعلما ومدنية وتأخره مبتدئاً بالتقهقر من اربعة قرون مضت قال ما لهذه الامم العظيمة صارت كتفاريق العصا ورجعت شعوبا وقبائل وبطونا وافخاذا وانزوى كل فريق في قطعة من الارض اتخذها وطنا فيها ولد وتربى وان سرت فيه حمية آبائه عنها يدافع وفي احيائها يموت وبتعدد الجوامع الشرقية من جنس ولغة ودين ووطن نبذوا الوحدة الاجماعية ظهريا ومالوا مع الاهواء وجعلوا المنافع الذاتية والسطوة الشخصية وجهة فانحلت العرى التي ربطها الجنس العربي الذي دلك كثيرا من عروش اوروبا وجلس على كثير من كراسي ملوكها واذا نادى تلك الجموع الخاضعة اليه نسمع لبيك لبيك الجواب العربي ممن جوابه سي سي او وي وي

وطرد جياده من تهامة فسمع صهيلها في ليون من اراضي فرانسا وفي جميع اراضي اسبانيا والبورتغال وصقلية ونابلي وجزائر البحر الابيض وسمع صداه في خط الاستواء والممالك الهندية والفارسية والتركية والتركمانية وان شئت فقل لم تبق أذن في آسيا وافريقيا الا وقد سمعت صهيل خيل الفريق العربي حتى لهج كل ناطق باسم الارب او ارابو .
ولتجرده من الانفعالات النفسية وتحركه بروح الدين وقوة الملك سوّى بين عربيٍّ وتركي وفارسي وهندي وقبطي وشامي بل بين كل افريقي واسيوي وضم الجموع تحت نظام واحد يرجع اليه رجوع الابناء الى ابيهم فاختلفت المشارب والمذاهب وتوحدت الوجهة الملكية انتظاما واستيطانا ودفاعا فكنت ترى في المسلمين سنيين وشيعيين وخوارج ومعتزلة ودهرية ومعطلة ودروزا وكل قسم من هذه الاقسام يشتمل على مذاهب شتى وترى في النصارى الروم الكاثوليك والارثوذكس والمارونية والاروسية والانجيلية وفرق اليعقوبية والنسطورية واليسوعيين وما في كل مذهب من الفروع والشعب وترى في اليهود الهارونية والموسوية والقرابين والسامريين وما في كل قسم من الفروع والاحكام المتغايرة وربما رأيت كل هذه الاديان باقسامها وفروعها في بلد واحد يجري كل انسان في طريقه الدينيّ غير معارض في شيء من أصوله او فروعه او عاداته فاذا انتهى من العبادة عاد الى المجتمع الملكي وانتظم مع حزبه يؤيده برأيه او يساعده بما له في الخصائص والمزايا فاذا سمع الصيحة الجامعة انضم مع عصبيته الى مجموع العصبيات الشرقية وطوى الخصائص المشربية تحت بساط الحاجة حتى يفرغ من صيانة الوطن والدفاع عن الملك ثم يعود الى حزبه يشتغل معه في صالح الوطن والمنفعة العامة من طريق المشرب الخاص تحت عناية عظيم يدبره وعاقل يرشده فكنت ترى المسيحي والاسرائيلي يقاتلان مع المسلم من ماثلهما ديناً دفاعا عن الوطن وشرف الملك لاستوائهما معه في الجوامع الوطنية والقوانين الملكية . وهكذا الشأن في كل اقليم وبلد . والقائمون بامور الامة يربون الرجال تحت حضانتهم باحتكاك الافكار والمشاركة في الاعمال وترقية الاهلين الى الرتب العالية بعد التجربة والاختبار والتمرين على شاق الاعمال والتربية في الادارات المختلفة المواضيع . وبهذه العصبيات ارتفع كثير من العقلاء

الى رتب الوزارة والقضاء وولاية الاقاليم باصوات حزبه او جملة احزاب تؤيد مبادئه وترجو حسن غايته وانحط كثير ممن تحولوا عن الوجهة الوطنية والحق الدولي بسعي الاحزاب المخالفة لحزبه . والمدقق الخبير يجد هذا الاختلاف ظاهريّ الصورة يرجع الى غاية متحدة هي وقاية الوطن والملك . وعند مخالطة الاوروبيين للشرقيين في الحروب الصليبية التي عادت على اوروبا بكل خير ومنفعة اخذوا عنهم هذه الطريقة السياسية وانقسموا احزابا بين حرّ ومحافظ وجمهوري وملكي وكوني ونهليست وسوسيالست ومتطرف ومعتدل واتخذت كل عصبية وسيلة تتوصل بها الى حياة الامة وصيانتها وحفظ الوطن وامتداد سطوة الدولة ونفوذها في التخوم وما يصلح للاستعمار فاختلفت الوسائل وتعددت العصبيات مع اتحاد الوجهة فكان للمجموع مبدا يبني عليه اعماله التي يريد الوصول الى غايتها وترقت هذه الافكار عاما فعاما حتى انتهت بهم الى انتخاب الوزراء باصوات العصبيات وعظمت ثقة الاهلين بالحكومات المقيدة باصواتهم فنفذت في اقاليم كثيرة وممالك متباعدة ووضعت بيت الملك على اساس متين اذ صارت وقايته مفروضة على العصبيات بالمسابقة الى التقدم الملكي . ولم يجر المجموع تحت حكم وزير يستعملهم آلة في تنفيذ آرائه بل اتخذ كل فريق رئيسا عاقلا مجربا محنكا وعلموا مبادئه وغاياته فصاروا اعضادا ينصرونه ويؤيدونه وينادون به في الانتخابات وينبهونه على الاغاليط ويساعدونه على امتداد نفوذه المؤيد للدولة بكل ما يقدرون عليه وكل رئيس يربي رجالا يخلفونه اذا انقضى دوره ويمدونه بآرائهم اذا قبض على زمام الاحكام . وبهذه الوسائل المحكمة عظمت ثقة الملوك بالوزراء فاسندوا اليهم الاحكام موقنين انهم يحافظون على الملك اعظم من محافظتهم لو استقلوا بالحكم والادارة حتى انهم لو عينوا سفيرا او قنصلا في جهة قالوا له ان سلفك وقف عند نقطة كذا الدولية فاذا لم تتمكن من التقدم عليها فاجتهد في محافظتك على ما وصلنا اليه بهمة غيرك . ولهذا لا ترى دولة اوروبية تتقهقر في الشرق او في جهة اوروبية الا بقوة عظيمة مشكلة من مجموع دولي . وفي مقابل هذا الاتقان البديع مع علمنا بما عليه عصبيات اوروبا لم نزدد الا تقهقرا باعراض رجالنا الشرقيين عن تربية الخلف والاعضاد ونوم الافراد تحت ردم الغفلة او الخوف

الوهمي فلا نسمع الا عزل فلان وأسند امر الوزارة الى فلان في الآستانه او طهران او مصر او مراكش او تونس واذا بحثنا في المعزول والمولى رأينا كلا منهما لا يقول الا برأيه ولا يعتمد الا على قوته العاقلة وتدبيره الذي كثيرا ما يراه أحدهم صوابا وهو خطأ عظيم ونرى حول كل وزير ووال ومتصرف ومدير ومفتش ومأمور زمرا توسم بالمحاسيب وهي اخلاط من الغوغاء والرعاع يستعملهم مع الجهل في الادارات والوظائف فيعيثون في البلاد عيث الذئب في الغنم المهملة فاذا عزل احدهم جاء الثاني بمحاسيبه وطرد السابقين ووضع جماعته مكانهم فيفعلون فعلهم غير مبالين بسوء ما يرتكبونه لعلمهم ان المنتهى الى من لا يسألهم عما يفعلون وبهذا ضاعت المصلحة الوطنيـة وتوزعت في الشهوات والاهواء وصرنا نعـد العقلاء ثلاثة او اربعة في الاستانة واثنين او ثلاثه في مصر واذا رأينا تخلخل وزارة اخذنا نهجس ونخمن فيمن يكون بعـد الحاضر لعلمنا انه لا يوجد من المرشحين المؤهلين لهذا المنصب الا فـلان وفلان وهما لم يربيا احدا مدة توليهما الاحكام حتى يخلف الواحد منهم آخر من مشربه فيسـير بسيره ليتمم عمله الذي كان مشتغلا به وانما كنا نرى هذا يشتغل بوضع اللوائح والنظامات وترتيب الاعمـال والعمال واحكام العلائق بين حكومته وغيرها ويسعى في توسيع التجارة والصناعة والزراعة بطرق سهلة وقبل ان يتم عمله يعزل ويخلفه من يخالفه مشربا فيهدم ما بناه ويفسـد ما احكمه ويغير نظامه ويأخذ في مجاراته باحداث اعمال تنسب اليه ويشتغل بما اشتغل به سابقه وقبل ان يتم عمله يعزل ويأتي غيره على هذه الطريقة . وبهذا السير اختلت ممالك الشرق وكثر فيها الفساد وتمكن الاجانب والدخلاء من الرؤساء الذين لم يربوا احدا من اهل بلادهم وخافوا من العقلاء من قومهم وظنوا استخدام الدخيل يقيهم فتنة الرعايا ويؤيد سطوتهم فيهم فاكثروا منهم فجاؤهم بالمصائب ولكننا اذا قابلنا اعمالهم باعمـال رجال اوروبا وجدناهم في خطا عظيم وقد تحملوا مسؤليـة امم عظيمة باهدارهم طرق الاصلاح . وانا نرى الآن المشابهة سرت في رجال الشرق فاخذوا يحاكون اوروبا فيما به يفرون من اسم الهمجية والتوحش وسعوا في جمع كلمتهم وعقد الجمعيات لفتح مدارس العلوم والصنائع وتهذيب النفوس وتعميم الآداب ولكنهم مع بقائهم على التفريق وعدم

اتخاذ مبدأ يبنون عليه اعمالهم لاتزال الايام تقيمهم وتقعدهم وهم حيارى بين المقعد والمقيم . فلا بد ان يكون لكل عصبية وزير مدرب يرجعون اليه فاذا اسندت اليه وزارة عانوه وساعدوه وبثوا مبادئه وتعاليمه في العالم المحكوم ليقروا بذلك أعماله الداخلية والخارجية فاذا خالف مبادئهم انضموا الى العصبيات الاخرى وعارضوه برفع أعماله المختلة الى الملك أوالامير حتى يغير وجهته أو يتخلى عن الوظيفة ويتولاها آخر له مبدأ وطني أيضاً تؤيده عصبية أخرى تحت مراقبة العصبية الثانية كما هو حاصل في بلاد الانكليز الذين تخللوا ممالك الدنيا باعمال حزبي الاحرار والمحافظين واحكام سيرهما في توحيد الوجهة الملكية مع اختلاف الوسائل المؤدية الى القصد الاجماعي . نعم ان الاستانة ومصر ليستا متأهلتين للانتخاب وحرية الافكار كما ينبغي ولا تتوسع الحكومة باكثر مما هو حاصل الآن ولكن اذا اجتمعت الامة على مبدأ وطني دولي غايته حفظ كرسي الملك الامير الاعلى وعقدت اجماعها على الخضوع اليه والرضوخ لاحكامه وتأييد مبادئه وتعضيد مقاصده وحفظ النظام الذي يبثه فيها وربطت عزائمها على حفظ مركزه ووجوده في منصة حكمه مؤيداً باتحاد الامة معضداً بانقيادها مسروراً بما يراه من الامن وحسن المخالطة والمعاشرة امكنها ان تعطي لجماعة من الامراء جانباً من الاعتماد على هذا الاتحاد والثقة بصالح نية العصبيات فاذا علم الوزير منهم انه مسئول بين يدي عصبيته عن أعماله وهم يرون ان غيرهم يراقب أعمال رئيسهم انبعثت في الوزير حمية الخدمة الوطنية وتقوت افكار عصبيته في مراقبته وبحث أعماله وتنبيهه على كل ما يؤاخذ به أو يلام عليه أو يوجب سقوطه من منصبه . وهذه الاماني وان كنا لا نثق بالوصول اليها تماماً في عصرنا ولكننا اذا بدأنا بتأسيس المبادئ وتخصيص العصبيات وجرينا على ذلك الهوينا جاء من بعدنا على نظام لا يكلفه الا القيام بما فيه . وهذه العصبيات والاحزاب لا يمكن تكوينها الا من الوطنيين الذين دفنوا اجدادهم في البلاد فهم يخافون ان تطأ خيل الغرباء تلك القبور الحافظة لعظام المجد الوطني والشرف الملكي ففي مثل بلاد الدولة العلية غير الممتازة تتكون من الترك والعرب والجركس والكرد والارمن وفي مثل مراكش والجزائر وتونس تتكون من العرب والافريقيين وفي مثل مصر تتكون من المسلمين والاقباط

والاسرائيليين وفي مثل طهران تتكون من الفرس والكرد وهكذا تتكون العصبيات من أهل كل وطن ويعقدون عزائمهم أولاً عقد اجماع على تقديس مناصب الملوك والامراء ثم يبحثون فيمن يمشي بهم في طريق حفظ الملك أو الامير من كل ما يمس اي حق من حقوقه المقدسة . ولا يفهم غبي من ذكر العصبيات والاحزاب ان المراد عصبيات افساد أو احزاب فتن وحروب فان ذلك محض الجنون لاننا محاطون بدول اوروبا وان كنا في قطعة شرقية وقد امتلأت بلاد الشرق وممالكه بالاوروبيين متجرين وسائحين ومعلمين وصناعاً ومع هذا الاختلاط القاضي بالمحافظة على الامن والراحة فان افتراق ممالك الشرق واختلاف كلمة معظم أهله يقضي عليهم بالعدول عن كل فتنة توقعهم في حرب اوروبية لا يقدرون على اقتحام عقباتها لاتفاق ممالك اوروبا عليهم واختلاف ممالكهم الشرقية مع فقد المعدات والمواد الحربية واذا كان ذلك مرسوماً بين اعين العقلاء منا استحال تصور التجمع لفتنة أو لمعاكسة دولة اوروبية وتعين فهم مجاراتنا لاوروبا في اتخاذ طرق المدنية . خصوصاً ونحن معاشر المصريين بين يدي أمير سكنت محبته قلوبنا وتخللت اجزاء ذواتنا وتعلقت آمالنا بهمته العالية وافكاره المنيرة ولكننا لا ننسى اننا تحت مراقبة دولة عظيمة تسعى في تقدم مدنيتنا وتوصيلنا لمعرفة حقوقنا الوطنية وتبذل جهدها في نشر التعاليم الاوروبية في انحاء بلادنا وتفتخر وزراؤها ووكلاؤها بانهم اوصلونا الى المدنية وعلمونا كثيراً من طرق الاصلاح التي كنا نجهلها ونبهونا للمطالبة بحقوق خديوينا المفخم ووطننا العزيز وارشدونا الى طرق حرية الافكار والمجامع فعملاً بهذه العلوم النفيسة واتباعاً لنصائحها واقتداء برجالها ينبغي ان نقابل سعيها بالتظاهر أمامها بثمرات اتعابها ليكون فخرها بين الدول بنشأتنا الوطنية وعصبياتنا المصرية اكبر واعظم وليعلم العالم المدني الاوروبي انها وعدت ووفت والا فان بقيت على اجتهادها وبقينا على تقاعدنا كنا علة لما نحبه ولبسنا ثوب عار بين الامم واصبحت الدولة المراقبة لنا تبكتنا وترمينا بفساد الاخلاق وجبن الطباع وعدم الاقتدار على الاختراع فعلينا معاشر المصريين خصوصاً والشرقيين عموماً ان نبحث في طرق احزاب اوروبا وروابطهم وكيفية سيرهم وموجب استمرارهم على ما هم فيه وتقلدهم بسير لطيف واعتدال في الحركات والسكنات

مع لزوم الهدو وحسن الانقياد والمحافظة على حقوق الاجانب والنزلاء والانتباه لدسائس الدخلاء وفتن الاجراء ولتكن لكل فريق جرائد تنشر اعماله وتؤيد اقواله وتبين له دسائس بقية الجرائد وتنبهه على ما يجب اتخاذه مما تراه صالحاً آخذة افكارها عن مجموع اعمال الحزب اوآراء عقلائه بحيث تلزم مشرباً لا تحول عنه بتحول الاحوال ولا تتلون امام حزبها بتلون المطامع ولا يلزم من اختصاصها ان تكون مضادة لغيرها من الجرائد في كل ما يكتب فيها فان الجرائد مدارس الافكار ومعارضتها اقفال لباب التعلم الادبي وانما تحافظ على مبادئ حزبها وتجاري الجرائد في المقالات العامة والافكار النافعة والا اذا تركت الاحزاب والجرائد وأخذت بالقبول من غير بحث في مصدره وما تحته من الدسائس تحول مجرى سيلها الوطني الى الاودية الاجنبية ووقعت في اشراك اوروبا وهي لا تشعر ولتكن المجامع مطهرة من ذوي الافكار الفاسدة محفوظة من الطائرين خلف المحسنات الاوروبية مصونة من التخاذل والتباغض متعلقة برئيس لا يختلف في استحقاقه للرياسة اثنان فاننا ان فعلنا ذلك قالت اوروبا قد عمت المدنية واستوى فيها اشتات الشرق وعصبيات اوروبا

إِنَّمَا يَقْبَلُ النَّصِيحَةَ مَنْ وُفِّقَ

ايها الشرقي — نمتَ حتى اذا سمعتَ الصيحة تنبهت ولكني اراك مذعوراً مدهوشاً وقد اختلفت كلمة الدعاة فاذنك ملأى بعبارات متناقضة وافكار متضاربة وانت متردد بين المنافقين وطبيعتك المائلة بك الى مماثلة الاجناس علماً وشرفاً . لا تأس فان معك من اخوانك الوفا من الافاضل العقلاء والملاء الذين ينفقون اموالهم في سبيل الصلاح والاصلاح والبلغاء الذين اقاموا انفسهم خدماً بين يديك ليرشدوك الى سواء السبيل والاستاذ اضعف اخوانه الشرقيين واحوجهم الى الاستمداد من افكارهم العالية احب ان يكون خلف الناصحين ليخدمك بقدر ما يمكن ويبين لك بعض ما اقتبسه من حكم اخوانه واكتشفه من خفايا وضعائك المصطنعين فاسمع وقيت الشر وكفيت السوء — احسن ما اتخذته قاعدة تبني عليها تقدمك الهدو والسكون والبعد عن اهل الفتن . وافضل

اساس تضعه لعمار بلادك تعاونك باخيك على تمهيد طرق التقدم . اياك ان تظن ان التقدم موقوف على ثورة تريق فيها الدماء فان من زين لك هذا العمل فقد اضلك واسلمك الى الغير . لا يتوقف التقدم الا على قطع الاضغان وترك التنافر بالدنيئات وجمع الشتيت مما تفرق من الاجناس الشرقية ولا يكون ذلك الا بالتربية على الآداب ومكارم الاخلاق . وليس القصد بهذا الجمع ان تثور في وجه الاجانب مزحزحاً لهم عن اوطانك بل القصد ان تشابه الاجنبي في سعيه العلمي والتجاري . ولا تنظر لسوء تأخرك فتيأس من الوصول الى التقدم المطلوب واعمل من الاعمال ما يكون كالأساس لمن يأتي بعدك فتكون كمن غرس لغيره يجني والفضل للغارس . والا فانك ان دخلت باب اليأس وانت انت فكراً ونظراً جاء من بعدك قانطاً مستسلماً لاهل التقدم استسلام ضعف وذلة . واذا رأيت مصرياً او سورياً او تركياً او هندياً او فارسياً او مغربياً يوقع النفرة بينك وبين جنس شرقي كأن تكون مصرياً وترى شرقياً ينفرك من السوري او التركي فاعلم انه اجير يشتغل لغيره ويريد ان يأكل خبزه مؤتدماً بدمك ان اهاجك للفتنة او بثروتك ان اسلمك الى الغير بشقاشقه . فلا تغرنك عبارته العربية ولهجته الشرقية فما هو الا شرك نصب لتصاد به فاضرب بما يسميه نصحاً ووعظاً حائط الاهمال والاهدار واستمسك بمحبة اخيك السوري او التركي او الفارسي او غيره فما ارجعك عن طريق التقدم الا اغترارك بالمصطنعين واقوالهم . واذا كنت في مصر ورأيت من يميل لمس حق من حقوق اميرك الخديوي الافخم ويوهمك ان صالحك موقوف على ذلك فارفض قوله وحذر قومك منه فانما هو خادع غاش بل عدو مبين واستمسك بحبل الانقياد الى اميرك واملأ باطنك بحبه واخلص في خدمته فلا حياة لك الا بحياة سلطته ولا شرف لك الا بشرف وزرائه الحافظين لنظام حكومته . وان رأيت تركيا يستهيج سوريا او سوريا يحرك شامياً فابذل لهما النصح وذكرهما بحاجتنا الى السكون وقطع عروق الفتن الداخلية وبعدنا عن كل ما يوجب تداخل الغير في شؤوننا . واياك ان يحملك الطيش على ان تسيء معاملة اجنبي استوطن بلادك او اجتاز بها فتجلب الدمار على بلادك بل عامل كل مستوطن في بلادك بالحسنى فان اوروبا لا تلتمس من الاعذار

عن تداخلها في الشرق الا دعوى همجيتنا وعدم استعدادنا للقيام امامها بمواد العمران وضروريات المدنية فان اسأت اجنبياً مستوطناً بلادك فقد قويت دعواها وساعدتها على فتح باب التداخل . وان رأيت من يطعن في سلطانك او يستميلك الى غيره من الشرقيين فاعلم انه اجنبي وان اتصل بك نسباً وقرابة . وما ضر الشرق وفرق جمعه وبدد ممالكه الا امثال هذا فاقرب من الافعى ولا تقرب منه فانه تاجر يتجر ببيع الارواح بثوب او لقمة . ولا ازال اكرر عليك لزوم الهدو والسكون وحفظ حقوق الوطنيين والغرباء والاجانب واستعمال الرفق واللين مع الجد في احياء العلم والصنعة وتقدم الزراعة في مثل مصر التي وقفت ثروتها على خدمة تربتها . واعلم ان افاضل الشرق ليسوا قليلين حتى نستبعد الوصول الى معارف اوروبا او الى مبادئها ان قصّرنا ولكنهم يحتاجون لشدة ازر بعضهم بعضاً في فتح محال التعليم وتكثيرها في المدن والقرى . فاجتهد في تعليم الابناء ودع العلم يطالب بمجد الجنس وشرف الشرق فالبعثة العلمية خير من البعثة الحربية ولا شاهد اكبر مما نشاهده من قوة اوروبا بقوة علمائها . هذه نصيحتي الى كل شرقي سمعها مسلماً كان او مسيحياً او اسرائيلياً او غيره

باب الادبيات

يا آل بيت المصطفى اني لكم * عبد لما قلدتموني من منن
ماسرت قط الى عظيم راجياً * الا اليكم فالرجا فيكم حسن

واحد في خلقه فيه انطوت * وحدة الافعال من باري الرماح
سره في كل ذات كامن * يصقل العقل فلا تهوى الجماح
جنة فيها لارباب النهي * نور نعمى حوله نور الاقاح
كعبة طاف بها الارواح في * عالم الذر ولبت بارتياح
رفرف من تحته حجب علت * في ذرا الافلاك والأجوا الفساح
قاسر دارت به الافلاك في * ساحة ما طار فيها ذو جناح
حامت الارواح في اشباحها * حول معنى دونه ضرب الصفاح

صدق النبي اتى به * وحي تنزل م السما
فالله قال لقـومه * ماضل صاحبكم وما (غوى)

اعلم ان المرء يلقى سعيه * يوم الجزا ابداه اواكنه
وان للرب العظيم المنتهى * وانه وانه وانه
وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيي وانه خلق الزوجين الذكر والانثى

تنهد من جواه فقيل انا * وشبب بالعقيق فقيل حنا
اذا كان الانين يعد ذنباً * فكيف بفاتك قتل المعنى
برزتم كالشموس بغير ستر * وصرتم تحجبون اذا فتنا
لو انا قد لثمناكم عذرتم * وماذا غير قتلتنا لو آنا
اسرنا معشر العشاق حزنا * غدرنا دون من نلقاه هنا
خرجتم للرياض فكل غصن * للثم نعالكم ادباً تثنى
وعود السرو لما ان رآكم * تمثل قائماً والورد هنى
ومال النخل يتحفكم بنثر * من الياقوت والكرم اطمأن
وحياكم من التفاح خد * اسيل ورده بالثغر يجنى
وضم الفل للتقبيل فاه * ولكن ما اجيب ولا تهنى
وحيا حي عالكم بلثم * لترب النعل لما صار ادنى
وقام الموز يرفع في يديه * شماسى كي يظللكم بمعنى
ومدّ الباع عناب واوما * بانملة مخضبة بحنا
وقام قرنفل بالكاس يسقي * رحيق الطل واللوز استكنا
وست الحسن قدالقت ازاراً * تزركش بالزمرد فوق مغنى
ورمان الرياض غدا يهادي * بحق الماس مقفولاً فاغنى
وقام التين يشكو فقر حال * ومد الكف يطلب ماتمنى
وقامت قشطة تهدي حليباً * لطيفاً قد حوى زبدا وسمنا

وعلقت القناديل ابتهاجاً * باغصان فصار الروض زينا
وصاح الماء يمدحكم ولكن * للطف فيه لم يظهر وكنى
وطار النسر خوفاً من نبال * تفت الصخر والشحرور غنى
اذا حن الجماد وهام طير * فلا تعجب اذا الانسان جنا
عشقناكم عشقناكم فصولوا * وتيهوا واهجروا بالعشق دنا
اذا جاء العذول فوشوشوه * والا فاجهروا همنا شهرنا
قطفنا ورد خدكم جهاراً * ومن خمر المراشف قد سكرنا
وعربدنا بتقبيل وضم * ومزقنا اللثام وما جبنا

دع عنك لومي في شيء خصصت به * وانظر لنفسك تعذر مثلك الجاني
فتركك الشيء لايعنيك منقبة * بل ذاك للمرء يدعى حسن ايمان

طأ حامي الصخر في الرمضاء ممتطيا * ظهر الثبات ترد الصعب للذلل
كم جاء قبلا ملايين مملينة * وليس في الصحف غير الحر والبطل

انظر لما تبديه من فعل يرى * فعل الرجال لعقلهم عنوان
والناس شتى في التنافر والمرا * والكل ان الفهم انسان

سلوا السيوف من الجفون تدللا * فمن اهتدى بجمالهم لهم نحر
وتعلموا بقدودهم في تيههم * طعن المدرع في فؤاد المتجبر
وضعوا على الياقوت طلسم فضة * سموه من عجب لثام المختمر
وتكحلوا بالليل في اجفانهم * وتلثموا بالصبح من حسن شهر
وتدرعوا في حربهم بعفافهم * شأن الكريم مع الشجاع المنكسر
اسروا جنود غرامهم بجفونهم * ومحارب الغزلان يعذران اسر
نظم اللئالي في ثغورهم حوى الـ * ـحسن الذي في كل ذي حسن نثر

شهودي على دعوى الغرام عدول * فيلي لتجريح العذول عـدول
فقلبي يزكيه اصفرار وعبرة * وجسمي يزكيه جوى ونحـول
واقلام جفني فوق خدي سطرت * كتاباً به ما في الفـؤاد يصول
وقاضي الهوى امضي بعشقي حجة * وحـدّد فيها ما اليّ يؤل
لخدى من شرق الغرام صبابة * وحدى من غرب الهيام ذهول
ومـني الى حر الجنـوب تولهٌ * ومني الى برد الشمال ذبول
وفي باب هذا البيت قاعة عبرة * ومخزن حزن للهموم طويـل
ومنـه الى حوش التيتم طرقة * بها لوفود العاشـقين وحـول
وفي الحوش باب فيه سلم حسرة * رصالون هجر للشـوق مهول
وفيـه على الخط اليمين مواقـد * بها الكبد والاحشاء ثم نزول
وعنـد شمال الداخلين منـاظر * بهـا مهجتي وسـط الظلام تحول
وفي الصـدر حمام تزايد حرها * وليس بهـا غير الدموع غسول
وقد شهد المحبوب ان محبه * يحـل له في ذا المكان حلول
وحرر هـذا في محرّم وصـله * وسجـله يوم الفراق عذول

ما قام حظي وعمري في شـبيبة * وان يقم بعد شـيبي كان كالعدم
ما في المشيب سرور لو أُرى ملكا * وان يكن قصرت عن دركه قدمي

واخجلتي من اربعون قطعتهـا * لعبا وقـد سبق النديم نسـاء
ولّى الشباب وصحتي في زهوهـا * واتى المشـيب وبنيتي حنواء
لا في الشباب عملت ما يرضي ولا * وقت المشيب يرى النشاط عساء
اعريت افراس التقى فتأخرت * فالسبق لا تجرى له الاعراء
لو اسرجت بلغت مدى مضمارها * سـبقا فجري المذكيات غلاء
من لى بذا والنفس في بحر الهوى * يجرى بهـا التسويف والعدواء
نسبي مظـاهره مطـالع للتقى * لكن اعمالي بهـا اسـترخاء

أأجى ممن اشرعوا طرق الهدى * واعقهم ما هكذا الابناء

يا سيد السيدات قلبي خائف * مما يرى العاصون في الميعاد
انا منهم فالنفس كم شطحت على * أرض الضلال وماصبت لرشاد
اجهدتها في الغي يا ليت النهي * رد الشريدة باجتهاد جهاد
سودت صحفي بالذنوب وقد علا * عين السواد اختلاط سواد
ما كان في الآباء مثلي مسرف * فالكل كانوا قدوة السجاد
خالفتهم جهلا وسرت مغورا * اذ سار منجدهم مع الاصعاد
واتيت بابك فارغا من كل ما * يرجوه وفد الخير والزهاد
ما في الفؤاد سوى محبتك التي * هي جنتي حصني شرابي زادي

اترك النفس والورى وتعالى * تلق من جل شأنه وتعالى

﴿ انتهى الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث ان شاء الله ﴾

فهرست

﴿ المجلد الاول من سلافة النديم ﴾

صحيفة		صحيفة	
٣	ترجمة الفقيد	٧٨	المقدمة
٢٤	لوآ النصر في ادباء العصر	٧٩	مجلس طبي على مصاب بالافرنجي
٢٩	التنور المسجور في المفاخرة بين السفينة والوابور	٨٢	عربيٌّ تفرنج
٣٣	طالع الكرامة بحسن السلامة	٨٣	سهرة الانطاع
٣٤	نار الغدو وثار العدو	٨٥	تخريفة (الجنون فنون)
٣٦	استعطاف المقرر قلب المحرر	٨٦	محتاج جاهل في يد محتاج طامع
٣٩	درر النحلة وغرر الرحلة	٨٨	غفلة التقليد
٤٥	حفظ الودائع لدرر البدائع	٩٢	اضاعة اللغة تسليم للذات
٥٠	تنبيه اللبيب وتسلية الحبيب	٩٤	رسالة في الحكم بين متناظرين
٥٢	رسالة على لسان المرحوم السيد عبد الواحد الحريري	١٠٠	جرائد الاخبار مدارس الافكار
٥٣	دفع الغرام بذل الغرام	١٠١	هف طلع النهار
٥٤	رسالة شكر على لسان الشيخ احمد ابراهيم الاسكندري	١٠٤	كم في الزوايا خبايا
٥٥	نجوم الليالي في عقود اللآلي	١٠٥	جواب عن سؤال
٥٩	رسالة شوق لبعض اصدقائه	١٠٧	تخريفة خد من عبد الله واتكل على الله
٦٣	الساق على الساق في مكابدة المشاق	١٠٩	انذار صادر عن لسان الانسانية
٦٧	رسالة شوق لبعض اصدقائه	١١٠	تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الانسان
٦٨	رسالة اخرى مثلها	١١٥	حوادث خارجيه
٦٩	رياض الرسائل وحياض الوسائل	١١٦	اخبار آخر ساعه
٧٢	زند الاذهان وزبد الادهان	١١٧	اعتراض على التنكيت وجوابه
٧٣	حوض الخمر وخوض الجمر	١١٨	حر الكلام كلام الحر
٧٧	منتخبات التنكيت والتبكيت	١٢٠	اتبع الحق وان عز عليك ظهوره
٧٧	اعلان الى النبهاء والاذكياء	١٢٣	ألسن الخطباء تحيي وتميت
		١٢٨	منثورات

